د. عصام كمال خليفة
أحد أساتذة التاريخ في الجامعة اللبنانية

أبحاث
في تاريخ لبنان المعاصر

دار الجيل
بيروت

الطبعة الأولى
١٩٨٥

توطئة

هذه الأبحاث تعالج ثلاثة مواضيع من تاريخ لبنان المعاصر، وهي تحاول أن تطرح آفاقاً جديدة أكثر مما تزعم أنها تقفل امكانيات المزيد من البحث في أي من هذه المواضيع. لكن ما نستطيع أن نشير اليه هو اعتمادنا المنهج العلمي الموضوعي من جهة، واعتمادنا بشكل رئيسي على الوثائق، مع اخضاعها لعملية النقد الخارجية والداخلية، من جهة اخرى.

إن علم التاريخ، خاصة في مدرسته الجديدة، لم يعد سرداً مسطحاً تراكمياً لأحداث الماضي، بقدر ما هو علم يحلل حركة الماضي ببناها الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية والثقافية المتفاعلة انطلاقاً من الوثائق والمصادر الموثوق بها. في ضوء ذلك حاولنا أن نبرز دور البطريرك مسعد في حركة كسروان(١٨٥٨— ١٨٥٩) في اطار صعود الكنيسة كمؤسسة بمقابل تراجع نفوذ المقاطعجية. كما حاولنا ابراز تيارات سياسية هامة في فترة— مفصل من تاريخ لبنان (١٩١٨— ١٩٢٠)، كانت مختلف الدراسات تتجاهلها. ولقد تناولنا أيضاً مجمل الأسباب التي كانت في أساس رفض اغلبية النخب الاسلامية للدولة اللبنانية ابان فترة الانتداب مع لحظ التغيّر الذي طرأ على هذا الرفض من خلال الميثاق الوطني.

ان المدرسة الجديدة في الكتابة التاريخية تفترض وجود جهد جماعي من قبل مؤرخين متعاضدين في اطار مؤسسات علمية (جامعات، مراكز ابحاث، جمعيات تاريخية... برعاية الدولة). فهل يجب أن نستمر في الانتظار أم أن الوقت أضحى ملائماً للانطلاق برغم كل المصاعب المصيرية التي يواجهها الوطن؟

حدتون ١/ ٢/ ١٩٨٥

د. عصام خليفة

البطريرك بولس مسعد (تلميذ المدرسة المارونية):
مدخل حول الاطار التاريخي للنشأة
ومسألة السلطة في حركة كسروان (١٨٥٨ — ١٨٥٩)*

* بحث مقدم الى المؤتمر الذي عقد حول المدرسة المارونية في روما — كلية الآداب (الفرع ٢) — الفنار — الجامعة اللبنانية. (١٠، ١١، ١٢ تموز ١٩٨٤)

بعد الأبحاث البارزة في مجال الجمع والتقميش التي تمّ إنجازها حول المدرسة المارونية لا سيما
لك التي قام بها كل من الآباء بولس قرألي[١] بيار روفايل[٢] سركيس الطبر[٣] ناصر
لجميل[٤] ، والعدد الخاص الذي صدر عن مجلة المنارة[٥] بإشراف الأب اغناطيوس سعاده ،
ـ بما غيرها من الدراسات ، أصبح من واجب العاملين في مجال التاريخ لهذه المدرسة ، الانتقال
ـ مرحلة جديدة من البحث. ومن أبرز الجوانب التي يجب التوقف عندها :

- تقييم المردود الإيديولوجي الذي كانت تنتجه ثقافة المدرسة المارونية ، وكيف كان خريجو هذه المدرسة يعيدون إنتاج هذه الإيديولوجية من مواقعهم في المسؤولية الدينية والاجتماعية .
- تحليل مضمون الثقافة — وخاصة الدينية — التي كان يتلقاها الطلاب الشرقيون في روما .
- تفكيك عملية التثاقف التي كانت تتم في هذه المدرسة بين الموروث الثقافي الذي كان يحمله الطلاب الشرقيون ، ومضمون الثقافة التي يتلقونها في الغرب . فإذا كانت ظاهرة التثاقف هي «حركة التحول الذي يحصل في ثقافة تقليدية تحت وطأة التأثير الناجم عن ثقافة متفوقة ، وإن ديناميات التحول الخارجية تسيطر على ديناميات التحول الداخلية إما بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر»[٦] ، فإلى أي حدّ يمكن اعتبار المدرسة المارونية مركز تثاقف بامتياز ؟ .

---

١. الخوري بولس قرألي ، لمحة تاريخية في المدرسة المارونية الحديثة برومية (١٨٩٠ — ١٩٢٧) . مطبعة علم ، بيت شباب ، ١٩٣٩ .

٢. P. Pierre Raphaël, le rôle du Collège Maronite romain dans l'Orientalisme au XVI/e et XVIII siècles. Imp. Catholique, Beyrouth, 1960.

٣. P. Sarkis Tabar, Fondation et première siècle de vie du Collège Maronite de Rome (1584 - 1684). Thèse de doctorat, Institut Oriental de Rome, 1980.

٤. Nasser Gemayel, les échanges culturels entre les Maronites et l'Europe du Collège de Rome (1584) au Collège de "Ayn-Waraqa" (1789), Beyrouth, Liban, 1984.

٥. المنارة ، السنة ٢٥ ، العددان الأول والثاني ، ١٩٨٤ .

٦. L'Histoire et ses méthodes, Actes du Colloque Franco-Nèerlandais de novembre 1980 à Amsterdam, Presses Universitaires de Lille, 1981, p. 187.

٤. ما هو تأثير العملية التثاقفية عبر المدرسة المارونية على البنى الاقتصادية والاجتماعية في الطائفة المارونية وسائر الطوائف المسيحية الكاثوليكية الشرقية خاصة وفي لبنان والمشرق العربي بشكل عام؟ ثم ما هو تأثير هذه الثقافة [٧] على علاقة الطائفة المارونية بباقي الطوائف؟ وما هي الجوانب السلبية والإيجابية في هذا السياق؟.

٥. رصد التفاعلات الناجمة عن عملية تغلغل القيم الثقافية التي كان ينقلها طلاب المدرسة المارونية إلى تلامذتهم مع فتح المدارس بعد عودتهم إلى لبنان.
   — ما هي النتائج على العقليات؟
   — ما هي النتائج على السلوك الديني والإجتماعي؟
   — ما هي جدلية التأثر والتأثير على البنى السياسية القائمة؟
   — ما هي التغيّرات التي أصابت الليتورجيا الدينية والفكر اللاهوتي؟.

٦. كيف أثرت الصراعات العميقة التي كانت تحتدم في قاع المجتمع الأوروبي عامة وتنعكس على الكنيسة كمؤسسة في الغرب[٨] وخاصة بعد انتصار الثورة الفرنسية، كيف أثرت وكيف تمظهرت هذه التغيرات في مضمون الثقافة التي تلقاها الطلاب الشرقيون في روما؟

٧. أين كانت تقع هذه المدرسة وخريجوها في الاستراتيجيات السياسية للكرسي البابوي بالنسبة للشرق من جهة، وبالنسبة للسياسات الفرنسية خاصة والأوروبية عامة من جهة أخرى؟ لاسيما وأن هذه السياسات كانت ترتكز على الأقليات في إطار صراعها الشامل أو مصالحها المتزايدة باتجاه السلطنة العثمانية. وكيف حصل التطبيق العملي لهذه الاستراتيجيات في مواقف خريجي هذه المدرسة وإنجازاتهم في مختلف الحقول؟.

٨. ماذا عن اللغات المستعملة من قبل تلامذة هذه المدرسة؟ وكيف يمكننا انطلاقاً من دراسة بعض نصوصهم تسليط الأضواء على جوانب مختلفة من التاريخ الاجتماعي وتاريخ العقليات للطوائف المسيحية الكاثوليكية في الشرق. ذلك أن علم الألفاظ يساعد، كعلم الإجتماع، في دراسة الظواهر الإجتماعية. فانطلاقاً من دراسة المصطلحات يمكننا أن

---

٧. «الثقافة هي كل ما صنعته يد الانسان وعقله من أشياء ومن مظاهر في البيئة الاجتماعية، أي كل ما اخترعه الانسان أو ما اكتشفه وكان له دور في العملية الاجتماعية». ومعنى هذا ان الثقافة تشمل اللغة والعادات والتقاليد والمؤسسات الاجتماعية والمستويات والمفاهيم والأفكار الى غير ذلك مما نجده في البيئة الاجتماعية من صنع الانسان. حمد لبيب النجيحي، الأسس الاجتماعية للتربية، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة، ١٩٦٨، ص ١٩٢، نقلاً عن

W.H. Kilpatrick, Philosophy of education Mac millan, New York, 1956, p. 69.

٨. يمكن في هذا المجال مراجعة المؤلفات الهامة للأستاذ Emile Poulat ومنها:

- Histoire, dogme et critique dans la crise Moderniste, Casterman, 1962.
- Intégrisme et Catholicisme intégral, Casterman; 1969.
- Catholicisme, Démocratie et Socialisme, Casterman, 1977.
- Eglise contre Bourgeoisie, Casterman, 1977.

ندرس المجتمع. حتى أنه يمكننا تحديد علم الألفاظ بكونه نظاماً اجتماعياً يستعمل الأدوات اللغوية التي هي الكلمات[٩].

تطبيقاً لهذه النقلة الجديدة الواجب إحداثها في مجال الدراسات حول المدرسة المارونية، وجدت من المناسب انتقاء أحد كبار خريجي هذه المدرسة (البطريرك بولس مسعد) وتحليل دوره في حدث بارز كان له نتائجه العميقة في مسار تاريخنا الحديث (حركة كسروان ١٨٥٨ — ١٨٥٩).

ولكن ثمة عدة ملاحظات منهجية أخال أن من الضروري إيرادها:

١. إن المؤرخ الصادق مع مهنته لا يتجه إلى التنظير إلا انطلاقاً من النتائج التي توصله إليها أبحاثه.
٢. إن العودة الى الوثائق الأصلية وإخضاعها لمنهج الشك التاريخي هو أمر بالغ الأهمية.
٣. من واجب المؤرخ أن يقيم باستمرار نوعاً من العلاقة مع اللغة. فإذا لم يعمل باستمرار انطلاقاً من النصوص، فإن النصوص تبقى برغم كل شيء الأكثر وضوحاً بالنسبة للمادة الأولية التي يعمل بها.
٤. هذا البحث لا يزعم أنه دراسة معمّقة لشخصية البطريرك بولس مسعد، فعدّة أطروحات جامعية لا تفي هذا الموضوع حقه. كما أننا لا نطمح لأن ندرس حركة كسروان (١٨٥٨ — ١٨٥٩) دراسة معمّقة في مجمل أسبابها وأحداثها ونتائجها[١٠]. إنما حدود هذا البحث هو تسليط بعض الأضواء الجديدة — على ما أعتقد — على دور البطريرك مسعد في هذه الحركة، وربط ذلك بالإطار التاريخي للثقافة التي تلقاها في عين ورقة وفي روما.

---

٩. Regine Robin, Histoire et linguistique, Armand Colin, 1973, p. 35 - 36.

١٠. هذا عمل نسعى لأن نعالجه في المستقبل القريب.

القسم الأول

البطريرك بولس مسعد : الإطار التاريخي للنشأة

ولد هذا البطريرك في أوائل[11] سنة ١٨٠٦ ببلدة عشقوت — قضاء كسروان . «وبعد أن تعلم القراءة سريانياً وعربياً في بيت أبيه في قرية عشقوت درس مبادئ اللغتين الايطاليانية واللاتينية عند المرحوم الخوري انطون عريضه في مدرسة الرومية ثم في مدرسة الموارنة بعين طورا عند الخوري المذكور إلى أن دخل تلميذاً إلى مدرسة عين ورقة سنة ١٨٢٠ ودرس فيها ما كان يدرس من العلوم في ذلك الوقت وهناك رسمه البطريرك يوسف حبيش المطوّب الذكر مرتلاً وقارياً في ١٩ نيسان سنة ١٨٢٤ ثم شمعدانياً في ٢٠ أيار من هذه السنة وأرسله إلى روميه لمدرسة انتشار الإيمان ليدرس فيها ما يلزمه من العلوم سنة ١٨٢٦ ثم عاد منها إلى جبل لبنان سنة ١٨٣٠ فوضعه البطريرك المومأ إليه كاتم أسرار لديه . وفي ١٣ حزيران من هذه السنة رسمه رسايلياً وإنجيلياً وفي ٢٠ من هذين الشهر والسنة رسمه كاهناً وقلّده أشغاله الروحية كنايب روحي عنده . وفي ٢٨ آذار سنة ١٨٤١ رسمه مطراناً على طرسوس في دير مار جرجس — علما ، وجعله نايباً بطريركياً له في الروحيات . واستمر في هذه الوظيفة مدة حيوة البطريرك هذا الذي رقد بالرب في ٢٣ أيار سنة ١٨٤٥ ومدة خليفته المطوب الذكر البطريرك يوسف الخازن الذي بعد وفاته في ٣ تشرين الثاني سنة ١٨٥٤ خلفه البطريرك بولس المذكور في ١٢ تشرين الثاني هذه السنة وتثبّت في ٢٣ آذار سنة ١٨٥٥ من الحبر الأعظم البابا بيوس التاسع وعندما تشرف باقتبال الباليون المرسل له من قداسته ، لبسه بالاحتفال المعتاد في ٢٩ حزيران من هذه السنة بحضور

١١. يذهب الأب بطرس فهد في كتابه تاريخ الرهبانية المارونية ، ج ٧ ، مطابع الكريم ، جونية ١٩٦٨ ، ص ١٦٦ الى القول بأن البطريرك ولد في أوائل شهر شباط .

جم غفير من مطارين وإكليروس قانوني وعلماني وأمرا ومشايخ وأعيان وغيرهم في كنيسة القديس يوحنا مارون الكاينة في الديمان في جبة بشراي. صح»[١٢].

إذا كان هذا النص الذي كتب بيد البطريرك نفسه يختصر مسار حياته منذ ولادته حتى تسلمه سدة البطريركية، فما هي الخطوط العامة للتحولات التي شهدتها الكنيسة المارونية إبّان نشأته؟ وبالتالي كيف كان باختصار وضع الكنيسة الرومانية في الغرب في الفترة نفسها؟ وما هي المرتكزات الأساسية للثقافة التي تشرب بها مسعد خاصة من خلال مدرسة عين ورقة والمدرسة المارونية في روما، أو بالأحرى مدرسة انتشار الإيمان؟.

أ) مدخل حول التغيرات في الكنيسة المارونية إبّان نشأة البطريرك مسعد:

كانت الكنيسة المارونية، منذ أواخر القرن الثامن عشر، قد عرفت بوادر تطور وازدهار في ظلّ رعاية المقاطعجيين الذين كانوا مشجعين للمشاريع الاقتصادية التي تقوم بها الكنيسة وللخدمات الروحية التي تقدمها للفلاحين في آن. ولقد استقطبت الرهبانيات المزيد من الفلاحين في المناطق التي شجع فيها المقاطعجيون إنشاء الأديرة. من هنا بروز الرهبانيات كقوة اقتصادية رئيسية. وفي هذا السياق يجب أن نشير إلى النهضة الإقتصادية التي أحدثها البطريرك يوسف حبيش[١٣] بالنسبة لموارد الكرسي البطريركي. فبدلاً من الاتكال على الرهبنات وما يعكس ذلك من موازين القوى ضمن المؤسسة، فقد اعتنى في تكثير أرزاق الكرسي وزيادة مداخيلها لأنه لما ارتقى إلى الوظيفة البطريركية كان مدخول الكرسي من الأرزاق نحو عشرة آلاف غرش. ولما استأثرت به رحمة الله بلغ مدخولها نحو مائتين وخمسين ألف غرش وقد جعل دير سيدة بكركي كرسي البطريركية[١٤]. وهكذا بعد أن كانت الكنيسة الشريك الأضعف للإقطاع والأكثر اتكالاً وخاصة من خلال الملكية المشتركة للعديد من الأديار بين العائلات الإقطاعية والكنيسة معاً، ومن خلال تبعية الكنيسة لتوجيهات الإقطاعيين الكبار وتدخلاتهم في السياسة الإكليريكية والتعيينات في المراكز الكنسية العليا، فقد بدأ هذا التحالف بالتصدّع «مع نمو استقلال الكنيسة الإقتصادي في نهاية القرن الثامن عشر. هنا بدأت الكنيسة تظهر روحاً استقلالية قوية عن الطبقة الحاكمة. وبالتالي، نتيجة لقوتها الإقتصادية النامية، صارت الكنيسة

---

١٢. هذه الترجمة لحياة البطريرك مسعد مكتوبة بخط يده على الصفحة الأخيرة من كتاب الدر المنظوم الذي اهداه الى شقيقه. وهذا الكتاب موجود الآن بدير مار شليطا بعجلتون، وقد تفضل الأب بولس مسعد رئيس الدير باطلاعي عليه.

١٣. انتخب بطريركاً في ٢٥ أيار ١٨٢٣ وتوفي في ٢٣ أيار ١٨٤٥. راجع الخوري مخايل غبرئيل، تاريخ الكنيسة الانطاكية السريانية المارونية، المجلد الثاني، القسم الأول، المطبعة اللبنانية بعبدا، لبنان، ١٩٠٤، ص ٧٥٧. وكذلك الخوري منصور الحتوني نبذة تاريخية في المقاطعة الكسروانية، لا اسم للمطبعة ١٨٨٤، ص ٣٠٩.

١٤. الخوري منصور الحتوني، المرجع السابق، ص ٣٠٩ – ٣١٠.

قادرة على تحمل نفقات إدارتها بدون مساعدة الإقطاعيين. وهكذا صارت الكنيسة قادرة على الدفع لموظفيها وعلى بناء أديرتها وتأسيس مراكز لرؤساء الأساقفة»[١٥].

إن هذا التغير في موازين القوى ربما حمل الصدر الأعظم رأوف باشا على الاعتراف — من قبل الدولة — بزعامة البطريرك حبيش على الطائفة[١٦] : «حيث أنكم بطرك الملة المارونية أصدقاء الدولة العلية ذات الشوكة السامية الشاهانية المتصفة بكمال المعدلة في حق التبعة بالحماية. فالملة المذكورة لأجل راحة بالها وسريان أمورها وخصوصياتها وتنظيمها. ولتكميل ذلك لزم بحسب مأموريتنا من طرف صاحب السلطنة أن نبلغكم بأن ما يتوقع إلى الملة من الأمور والمصالح راجعوا به حضرات والي ودفتردار صيدا لكن إذا لزم إعراض خصوصيات ترسل لهذا الجانب... ومن كون الياس حوا من معتبري التجار وموثوق بكلامه من الدولة العلية فبموجب الإرادة السنية تعيّن لكم قبوكتخدا (أي وكيل) فمن بعد الآن جميع الأمور المختصة بالملة وسائر المصالح التي تتوقع أعرضوها بواسطته واخبروه عنها».

بالإضافة إلى الجانب الاقتصادي والسياسي فقد تمتعت البطريركية بسلطة تعيين «قاضيين لفصل الدعاوى في حكومة الجبل»[١٧]. بل ان تعيين حيدر إسماعيل اللمعي بعد عزل عمر باشا النمساوي، ثم طبقاً لرأي البطريرك حبيش[١٨].

أما الجانب الأهم في سلطة البطريرك، فهي سيطرته على إيديولوجية[١٩] الطائفة، وعندما نقول إيديولوجية، لا نعني فقط الأفكار وإنما أيضاً الممارسات الإجتماعية والقيم والتناسق المنظم وغيرها... في هذه الفترة، موضوع بحثنا، من الصعب فصل الديني عن غير الديني. فالكنيسة

---

١٥. ايليا حريق، التحول السياسي في تاريخ لبنان الحديث، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٢، ص ٢٠٠— ٢٠١.

١٦. الخوري ميخائيل غبرئيل، المرجع السابق، ص ٧٦٤. وهذه الرسالة مؤرخة في ٢ جماد سنة ١٢٥٧هـ.

١٧. الخوري منصور الحتوني، المرجع السابق، ص ٣٠٩.

١٨. المرجع السابق، ص ٣٠٦.

١٩. ثمة تحديدات عديدة لهذا المصطلح ابرزها، في رأينا، اثنان:

L'idéologie, définie avec le sociologue G. Rocher comme "un système d'idées et de jugements, explicite et généralement organisé, qui sert à décrire, expliquer, interpréter ou justifier la situation d'un groupe ou d'une collectivité, et qui, s'inspirant largement de valeurs, propose une orientation précise à l'action historique de ce groupe ou de cette collectivité".
(Maurice-Pierre Roy, les régimes politiques du tiers monde, L.G.D.Y, Paris, 1977, p. 180).

اما التوسير فقد حدد الايديولوجية:

"Comme le rapport imaginaire des individus à leurs conditions matérielles d'existence". (Idéologoe et appareils idéologiques d'Etat, la Pensée, n° 151, juin 1970).

تلعب الدور الحاسم وتتدخل في كل شيء محددة الحلال والحرام. وان المواقف الدينية، والعقائد الايمانية، والطقوس كان لها أهميتها الكبرى. في هذا الزمن حيث صورة الله توحي بالقوة والقصاص، والمجتمع قائم على الزراعة، ثمة تصور تراتبي للمجتمع ثلاثي الحلقات:

— أصحاب الصلاة وهم يتشكلون من الجهاز الإكليريكي (كهنة ورهبان وأساقفة وعلى رأسهم البطريرك[٢٠]. هذا الجهاز الإكليريكي، وخاصة بعد مطالع القرن التاسع عشر، أخذ يجهد لأحكام قبضته على مواقع النفوذ الايديولوجي في المجتمع، ومن أبرز هذه المواقع: العائلة والقرية، المدرسة، المطابع، ناهيك عن الدين والأوقاف...

— أهل المناصب والأعيان الذين كان دورهم التقليدي في السلطة يتراجع لصالح الفئة الأولى، فهم قد «افتقروا الى العلم وإلى جماعة متعلمة كرجال الإكليروس تتولى الدفاع عنهم»[٢١].

— العوام الذين يعملون في الزراعة وينتجون من أجل الجميع. هؤلاء «العوام» أخذوا ينتظمون في جمعيات غالباً ما تكون دينية، يوجهها عادة رجال الإكليروس، كما راحت تتصاعد نسبة المتعلمين بينهم ولو ببطء. ولقد انتخبوا من بينهم وكلاء متحدين، بشكل مباشر أو غير مباشر، سلطة المقاطعجية، مطلقين — بالتعاون مع بعض المقاطعجيين المعارضين والإكليروس المتنور — ما سمي بالعاميات الشعبية[٢٢]. هذا الشعور بالرفض لسلطة المقاطعجية تطور باتجاه تعزيز الانتماء الطائفي. فقد أخذ الموارنة، في هذه المرحلة «ينظرون إلى كونهم طائفة بمعنى الأمة، أي الجماعة ذات التاريخ والموطن والقيم المشتركة»[٢٣].

ضمن هذه الحلقات الثلاث تصاعدت سلطة البطريرك، ليس فقط بسبب التغير الذي حصل في موازين القوى الاقتصادية والاجتماعية[٢٤]، وإنما أيضاً بسبب ما أعطته قوانين المجمع اللبناني من صلاحيات واسعة خاصة في مجال الإشراف على إيديولوجيا المجتمع. ففي باب طبع

---

٢٠. «في عام ١٨٤٤، على سبيل المثال، كان في جبل لبنان ١٢٠٥ كهنة، من أصل ربع مليون ماروني، أي بنسبة تقارب كاهناً واحداً لكل مئتي شخص». ايليا حريق، المرجع السابق ص ١١٦. نقلاً عن

Murad, Nicolas, Notice Historique sur l'origine de la Nation Maronite et sur ses rapports avec la France, sur la Nation Druze et sur les diverses populations du Mont Liban. Paris, Le Clère, 1844, p. 46.

٢١. ايليا حريق، المرجع السابق، ص ١٢٣.

٢٢. يمكن مراجعة كتاب أ. سميليا نسكايا، الحركات الفلاحية في لبنان، تعريب عدنان جاموس، دار الجماهير - دمشق، ودار الفارابي - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٢.

٢٣. ايليا حريق، المرجع السابق، ص ٢٠٥.

٢٤. يمكن في هذا السياق مراجعة كتاب:

William R. Polk, The opening of South Lebanon (1788 - 1840), Harvard University Press, U.S. 1963

الكتب واستعمالها يحتّم «أن لا يطبع أحد أو ينشر بالخط كتاباً أو رسالة في أي فن أو معنى وضع نظماً كان أو نثراً أو تاريخاً أو ما سوى ذلك بأية طريقة أو لغة وضع ما لم يعرض أولاً على النقدة الذين ينصبهم السيد البطريرك السامي الاحترام والأساقفة في كل من[٢٥] أبرشياتهم. فيأذنون هم أو نوابهم في ذلك «كتابة».

«والذين يطبعون أو ينسخون أو يقرأون أو يقتنون كتب قوم مبتدعين تحرمها الكنيسة لاشتمالها على بدعة أو مظنّة تعليم كاذب أو ما يؤيد جانب بدعة بأي وجه كان تحلّ بهم عقوبة الحرم المحفوظ للرؤساء المحليين...».

أما بالنسبة للتعليم فيأمر المجمع اللبناني بعدم السماح لخاصة الطائفة وعامتها بتخريج «بنيهم عند أساتذة أجنبيين وذلك توجبه قيد طائلة تأديب الحرم المنزل من لدن الأسقف ويتناول هذا التأديب أيضاً أولئك الذين يأتون مدارس الكفار أو المبتدعة سواء أتوها بأمر آبائهم أو دون أمرهم»[٢٦].

إن تحليلنا لا يتطرّق إلى الجانب الميتافيزيقي لجوهر الدين. المسألة تكمن في تحليل الظواهر الدينية المتنوعة التي تتخذ طابعاً اجتماعياً. ففي ضوء ما تقدّم إذا تساءلنا عن ماهية الشروط الفعلية التي تشكل المرجع الإيديولوجي في مجتمع الطائفة المارونية وعن ماهية المضمون الذي ينبع منها، وكيفية تأثير هذا المضمون على التطبيقات الإجتماعية للدين ومفاعيل ذلك على الصيرورة الإجتماعية، لأمكننا أن نفهم بوضوح السلطة الزمنية والروحية التي يتمتع بها البطريرك. فمع مجيء الإرساليات الإنجيلية إلى بيروت وجبل لبنان ونجاحهم الجزئي في استقطاب بعض الموارنة[٢٧]، بادر البطريرك حبيش إلى إصدار منشورين يحرّض بهما ويحتّم على أبناء طائفته «ليكونوا محترصين من غشهم وخداعهم» وأن لا يقتني أحد من كتبهم الدينية «ولا يتعاطاها أو يطالع فيها» ثم «يمنع عن التعليم عندهم أو في مدارسهم» تحت عقاب الحرم[٢٨].

ولقد بادر إلى سجن أحد الذين انضموا إليهم (أسعد الشدياق)، وهو من خريجي عين ورقة، فتوفي أسعد نتيجة التعذيب والقهر[٢٩].

---

٢٥. المجمع اللبناني، ترجمة المطران يوسف نجم، مطبعة الارز، جونيه ١٩٠٠، ص ٢١ وكذلك قوانين المجمع اللبناني، اقتطفها وجمعها ورتبها الخوري الياس الزيناتي، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٢٦، ص ٢٥.

٢٦. الخوري الياس الزيناتي، المرجع السابق، ص ٣٥.

٢٧ Emile G. Léonard, Histoire Générale du Protestantisme, T. III, P.U.F. 1964, p. 478.

٢٨. الخوري منصور الحتوني، المرجع السابق، ص ٢٥٧ــ ٢٥٩ وكذلك الخوري ميخائيل غبرئيل، المرجع السابق، ص ٧٥٧.

٢٩. لقد كتب احمد فارس الشدياق كتاب «خبرية اسعد الشدياق» وطبع في مالطه سنة ١٨٣٣، كما أن بطرس البستاني كتب «قصة اسعد» ويوجد في مكتبة الآداب الشرقية بالجامعة اليسوعية مخطوطة حول هذا الموضوع.

ب) مدخل حول وضع الكنيسة الرومانية في الغرب في فترة نشأة البطريرك مسعد :

في مجال عرضنا التطورات التي عرفتها الكنيسة الرومانية كمؤسسة في النصف الأول من القرن التاسع عشر، حسبنا التوقف عند بعض النقاط البارزة التي تهمنا في إطار بحثنا. وان تطرقنا لهذه التطورات ينبع من يقيننا بأن البطريرك مسعد، بوعيه التاريخي وثقافته الموسوعية كان مدركاً لمجمل هذه الأمور، وبالتالي فإنها قد أثرت بشكل مباشر أو غير مباشر على سلوكه الديني والإجتماعي، بل على مسار فكره التاريخي.

مع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وما تلاه من إجراءات كفصل الدين عن الدولة، وإلغاء دويلات البابا طبقاً لاتفاقية (تولنتينو) عام ١٧٩٧، وسجن البابا بيوس السادس في (فالانس) (عام ١٧٩٩)[٣٠]، عرفت الكنيسة مرحلة صعبة وخطيرة. لقد خلقت الثورة الفرنسية مناخاً روحياً جديداً: إنه مناخ الديمقراطية. فمبدأ المساواة بين الناس، العزيز كثيراً على الفلاسفة والمصلحين أصبح للمرة الأولى حقيقة واقعة، وعلى أساسه قام مبدأ الحداثة. وفي هذا السياق كان هناك مسائل ثلاث تشغل الكنيسة:

— مسألة العلاقة بين الكنيسة والدولة.
— مسألة العلاقة بين العلم والإيمان.
— ومسألة وحدة الكنيسة.

وبالرغم من أن تسوية ١٨١٥ أعادت بعض الاعتبار لمركز البابوية إلا أنه لم يكن بين الدول المسيحية أية واحدة تريد أن تجعل من البابا حكماً فيما بينها وبالتالي فالمصاعب استمرت تواجه الدويلة البابوية، وخاصة من قبل الحركة الوحدوية القومية الإيطالية. لقد حاولت السدة البابوية أن تكون حريصة على تقاليدها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، بينما كانت الأفكار الليبرالية تتصاعد اتساعاً. كانت البابوية تحاول أن تتمسك بأفكار تعود الى القرون الوسطى في مطلقيتها وتحاول أن تستعمل القوة لقمع الأفكار الجديدة، وبرغم ذلك فالتيار القومي والليبرالي استطاع أن يسيطر على مجمل الأفكار.

مع لاوون— XII (١٨٢٣ — ١٨٢٩) لم تحدث أمور هامة نسبياً. لكن هذا البابا استمر بالصراع ضد قطاع الطرق، وضد الكاربوناري وبشكل عام ضد الجمعيات السرية[٣١].

فالكردينال (ريفارولا) الذي أرسل إلى (رافين) أوقف ٥٠٨ من عناصر الجمعيات السرية، فردت الكاربوناري باغتيال سكرتير الكردينال وقد تبع ذلك موجة من الاعتقالات[٣٢]. كما تم إصدار براءة بابوية، في ٢٤ آذار ١٨٢٤ تمنع شرب الخمر في

.٣٠ J. Lortz, Histoire de l'Eglise, Payot, 1962, p. 296.

.٣١ Pierre de Luz, Histoire des papes, ed., Albin Michel, Paris, 1960, p. 208

.٣٢ Nouvelle Histoire de l'Eglise, T. 4, ed. du Seuil Paris, 1966, p 310.

الكبريهات [٣٣] . إلا أن الكونت سان سيمون ، طرح أمام البابا ما سماه (نوڤو كريستيانيسم) وذلك عام ١٨٢٥ . لقد حرص سان سيمون على البرهنة للبابا أن شرط استمرار القوة الأخلاقية للكنيسة على الشعب مرهون بقيادتها لإصلاح عميق يحصل في قلب المجتمع . «لا يمكن أن يقتصر عملكم — قال سان سيمون للبابا — على تبشير المؤمنين بأن الفقراء هم الأبناء الأعزاء لله ، وإنما يجب أن تستعملوا بوضوح وبقوة كل السلطات وكل الوسائل من قبل الكنيسة — وبسرعة — لتحسين الحالة البيولوجية والأخلاقية للطبقات الشعبية الواسعة» [٣٤] .

بعد موت لاوون الثاني عشر دعمت النمسا الكاردينال (كاستيغليوني) ، بينما دعم شاتوبريان — سفير فرنسا في روما — الكاردينال (غريغوريوس) . فانتصر الأول وأطلق على نفسه إسم بيوس الثامن . وعيّن الكاردينال (ألباني) سكرتيراً له وهو مؤيد للسياسة النمساوية [٣٥] . لكن هذا البابا ما لبث أن توفي في ٣٠ ت٢ ١٨٣٠ [٣٦] .

بعد مئة دورة عقدها المجمع ، تمت السيطرة للتيار الـ (زيلانت) ، فانتخب (كابيلاري) بابا وسمي غريغوار (٢ شباط ١٨٣١ [٣٧] . هذا البابا كان قد عيّن عام ١٨٢٦ مديراً للبروباغندا فأعطى دفعاً جديداً للإرساليات التي كانت قد أهملت منذ أواخر القرن الثامن عشر . وبعد انتخابه استمر في دعم هذه الإرساليات ، كما عيّن الكاردينال (بيرنيتّي) كسكرتير للدولة ، وقد قام هذا الأخير بإدخال علمانيين إلى الإدارة البابوية ، وبإنشاء جيش بابوي كأداة لمواجهة أخطار الثورة دون الاضطرار لطلب المساعدة من الجيوش الغربية . إن البابا غريغوار XVI كان معارضاً للتيارات الليبرالية ، فتحالف سياسياً مع الحلف المقدس ، وتصدّى للخروقات الليبرالية التي طالت حتى اللاهوت [٣٨] . ففي عام ١٨٣٢ اجتمع مع المفكر المسيحي الإصلاحي (لامنّيه) الذي عرض أمام البابا ضرورة فصل الكنيسة عن الدولة ، والموافقة على شعارات الثورة الفرنسية : مبدأ الإرادة الشعبية ، حرية الضمير ، حرية الصحافة والتعلم والاجتماع . وباختصار وقوف الكنيسة إلى جانب الديمقراطية بمواجهة السلطات المطلقة . إلا أن البابا أدان مثل هذه الطروحات من خلال رسالته (ميراي فوس) [٣٩] . ومن جملة ما ورد فيها : «إن

---

٣٣. عندما توفي لاوون XII قيل : «لقد استراح وأراح» .
op. cit., p. 310
وكذلك
Fernand Hayward, Histoire des Papes Payot, Paris, 1942, p. 374.

٣٤. Pierre de Luz, op. cit, p.210.

٣٥. Pierre de Luz, op. cit., p. 210.

٣٦. Nouvelle Histoire de l'Eglise, op. cit., p. 312.

٣٧. op. cit., p. 313.

٣٨. Ludwig Hertling, l'Histoire de l'Eglise, Mame, France, 1962, p. 501 - 502.

٣٩. Pierre de Luz, op. cit., p. 216 - 217.

السدة البابوية قد تزعزع وضعها. وشائج الوحدة تنفصم عراها يوماً بعد يوم. والكنيسة أصبحت مستسلمة لبغض الشعب[٤٠].

إن رفض الليبرالية ومنجزاتها حملت البابا غريغوار حتى على منع السماح بإنشاء سكك حديدية في المناطق التي يشرف عليها[٤١]. إلى أن توفي في ١ حزيران ١٨٤٦.

في ١٦ حزيران ١٨٤٦ انتخب الكاردينال (ماستا فيررتي) بابا، فحمل إسم بيوس التاسع وبقي حتى العام ١٨٧٨، أي أطول فترة في تاريخ البابوية[٤٢] من أبرز الإصلاحات التي قام بها: السماح بإنشاء أول خط سكة حديد في المناطق البابوية، السماح بقيام صحف في روما وهي كانت ممنوعة حتى ذلك الوقت، إنشاء نوع من مجلس وزاري (كونسيلتا) وإصدار دستور جديد يحمل بعض الملامح الليبرالية، إلغاء وسائل القمع وإطلاق سراح الأسرى (أكثر من ٣٠ ألف إنسان اعتقلوا وسمح لهم بالذهاب إلى بلدانهم، وكان عدد المسجونين في السجون البابوية يزيد على ١٣ ألفاً)[٤٣]. لقد استقبل كل ذلك بحماس شعبي كبير، وكان يصب في تقوية الحركة الوحدوية الإيطالية الصاعدة. وما لبثت ثورة ١٨٤٨ أن طالت روما مع (مازِّيني) الأمر الذي أدّى الى هرب البابا إلى مملكة نابولي فألغيت سلطته الزمنية عن روما، ورفعت يد الإكليروس عن مؤسسات التربية. ولم يعد البابا إلى روما إلا بتدخّل قوات فرنسية إسبانية ونمساوية. وفي ٨ كانون الأول ١٨٦٤ أصدر بيوس التاسع رسالته البابوية (كوانتا كيرا) يدين فيها مقومات الدولة العلمانية وحرية الضمير والعبادة، وسيادة الشعب، كما يؤكّد على الاستقلالية للكنيسة، وحقّها في صياغة المعتقدات والسلطة المطلقة للبابا. وقد أرفقت الرسالة بملحق (سيلابيس) ينص على المفاهيم التي تحرمها وتدينها الكنيسة، ومن بينها ٨٠ قضية أو مفهوم أبرزها (العقلانية والإشتراكية والليبرالية...)[٤٤].

إذا كانت إدانة الليبرالية من قبل بيوس التاسع هي إدانة للناس الذين وافقوا، تحت شعار الحرية، على القانون المدني النابع من الثورة الفرنسية[٤٥]، فإن فترة هذا البابا عرفت جملة أحداث:

١. انقراض الدويلات الكنسية.
٢. الصراع المبدئي الذي وضع الكنيسة بمواجهة مفهوم الثقافة المعاصرة والدولة الحديثة.

---

٤٠. J. Lortz, op. cit., p. 316.

٤١. Fernand Hayward, op. cit., p. 379

٤٢. Pierre de Luz, op. cit., p. 221.

٤٣. Jacques Pirenne, les grands courants de l'Histoire Universelle, Ed. Albin Michel, T. 5, paris, 1953, p. 142.

٤٤. Histoire générale de l'Europe, dirigée par Georges Livet et Roland Mousnier, T. 3. P.U.F, Paris, 1980, p. 163.

٤٥. Yves Congar, l'Eglise de Saint Augustin à l'époque Moderne, les éd. du C.E.R.F, Paris, 1970, p. 425.

٣. تحديد الأسس الإيمانية من قبل المجمع الفاتيكاني.
٤. إعلان عقيدة الحياد من قبل البابوية[٤٦].

ج) البطريرك بولس مسعد: من عين ورقة إلى روما:

إذا كانت التغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي عرفتها الطائفة المارونية في النصف الأول من القرن التاسع عشر، قد أثرت إيجاباً على موقع البطريرك كسلطة إيديولوجية في المجتمع، وإذا كانت التغيرات المتسارعة التي عرفتها الكنيسة الرومانية في الغرب، في هذه الفترة، قد طرحت على المؤمنين وعلى قادة الكنيسة تحديات الحداثة، فإن ما كان له التأثير الكبير في شخصية البطريرك بولس مسعد هو الإطار الثقافي الذي نشأ فيه ابتداء من مدرسة الخوري انطون عريضة مروراً بمدرسة عين ورقة وصولاً إلى روما.

إن مضمون التعليم الذي تلقاه بولس مسعد التلميذ على يد الخوري انطون عريضة يجب أن يندرج ضمن إطار ما أوصى به المجمع اللبناني منذ العام ١٧٣٦:

«... فليعلموا الأحداث في المدارس أولاً القراءة والكتابة في السريانية والعربية ثم المزامير ثم كتاب خدمة القداس والفرض اليومي والعهد الجديد ثم إذا توسموا في بعضهم مزيد الأهلية لتحصيل العلوم فليعلموهم قواعد النحو والصرف في السريانية والعربية ثم علم اللحن والحساب البيعي ثم يرقوهم إلى درس العلوم العالية أي الفصاحة والنظم والفلسفة والمساحة والحساب وعلم الفلك وما أشبه ذلك من الرياضيات ثم مبادئ الحق القانوني وتفسير الكتاب المقدس واللاهوت الاعتقادي والأدبي ولا سيما ما يرونه مناسباً لقبول الأسرار وتوزيعها ولمعرفة طرق الطقوس والاحتفالات...»[٤٧].

عام ١٨٢٠ التحق مسعد بمدرسة عين ورقة «أم المدارس في سوريا ولبنان»[٤٨] هذه المدرسة أنشئت عام ١٧٨٩ «أولاً لتربية الأولاد بخوف الله والعبادة وحفظ طقوس رتبتنا المارونية الأنطاكية المقدسة منذ حداثة سنهم. ثانياً: ليرتشدوا بالعلوم المقدسة أولاً النحو السرياني والعربي ثانياً الفصاحة ثالثاً علم المنطق والفلسفة رابعاً علم اللاهوت النظري والعملي

---

٤٦. Lortz, op. cit, p. 321.

٤٧. المجمع اللبناني، ترجمة المطران يوسف نجم، المرجع السابق، ص ٥٣٥ - ٥٣٦.

٤٨. حول مدرسة عين ورقة يمكن مراجعة: اطروحة الأب ناصر الجميل، المرجع السابق ص ١٠١١ ١٠٨٢ واطروحة رينيه اسكندر: «مدرسة عين ورقة ودورها التربوي في لبنان» كلية التربية - الجامعة اللبنانية، ١٩٧٠.

وأطروحة انطوانيت فغالي: «عين ورقة — قضايا ملكية وادارية» كلية التربية. الجامعة اللبنانية، ١٩٧٨.

والمجادلات الدينية وشرح الكتب المقدسة وحوادث علم الذمة وإتقان الوعظ الروحي (والتبشير بكلمة) الله على الشعب المسيحي»[٤٩].

وإذا لم يكن من هدفنا التوسع في بحث منجزات هذه المدرسة وقوانينها وإدارتها ومستواها الثقافي وما إلى ذلك، فإننا سنتوقف عند بعض الخصائص السلوكية والعلمية البارزة التي طبعت هذه المدرسة تلاميذها بها. وفي هذا السياق يمكن أن نفهم الأجواء التي اكتنفت نشأة البطريرك مسعد العلمية. فعلى الصعيد السلوكي:

ثمة تشدّد لا هواده فيه على صعيد النظام السلوكي — الروحي للتلامذة. فالمدرسة تتدبّر أمورهم «جسدانياً وروحانياً» على نحو يطال دقائق حياتهم اليومية منذ الصباح وحتى المساء.

- عند نهوضهم صباحاً من النوم يتلون الصلوات المعتادة.
- بعد نهاية ذلك بنصف ساعة يركعون نصف ساعة بالاحتشام في العلية للصلاة (لفظياً وعقلياً)[٥١].
- كل يوم يسمعوا القداس في الكنيسة وأيام الآحاد والأعياد قداسين[٥٢].
- قبل التوجه للغداء تتم تلاوة طلبة جميع القديسين في الكنيسة[٥٣].
- في وقت الأكل تتلى أجزاء من الكتاب المقدس[٥٤].
- القيام بزيارة القربان الأقدس بعد نهاية الغدا والعشا[٥٥].
- زيارة الكنيسة بعد النزهة[٥٦].
- القيام برياضات روحية أسبوعية وسنوية، والاعتراف وتناول القربان مرتين في الشهر على الأقل، وسماع الوعظ في الآحاد والأعياد، وكذلك سماع التعليم المسيحي بعد ظهر كل أحد[٥٧].

أما على صعيد علاقة التلامذة بغيرهم من خارج المدرسة:

- ثمة ضبط حازم لمسائل الزيارات وحتى انه لا يمكن للتلامذة أن «يطلوا من الطاقات والشبابيك التي منها يشاهدوا الغير والغير يشاهدوهم»[٥٨].

---

٤٩. عن صورة حجة تأسيس المدرسة، ارشيف بكركي.
٥٠. المادة ١١ من قوانين مدرسة عين ورقا
٥١. المادة ١٢ من قوانين مدرسة عين ورقا
٥٢. المادة ١٦ من قوانين مدرسة عين ورقا
٥٣. المادة ١٣ من قوانين مدرسة عين ورقا
٥٤. المادة ١٧ من قوانين مدرسة عين ورقا
٥٥. المادة ١٨ من قوانين مدرسة عين ورقا
٥٦. المادة ١٩ من قوانين مدرسة عين ورقا.
٥٧. المواد ٧ و٨ و٩ و١٠ من قوانين مدرسة عين ورقا.
٥٨. المادة ٤٥ من قوانين مدرسة عين ورقا.

— التشديد على «الاختلا والبعد عن معاشرة الخارجين عن المدرسة لئلا يتعلموا طرايقهم...»[٥٩].

أما على الصعيد العلمي، فقد كان هناك مراحل ثلاث: الإبتدائي، والثانوي والعالي. وكان هناك تشديد على المنحى اللغوي (صرف ونحو وإنشاء وبيان وعروض وخطابة...) والمنحى الديني والفلسفي (تفسير كتب مقدسة، جدل ديني، فلسفة، لاهوت نظري وعملي، ومنطق...) وبعض العلوم. أما اللغات السائدة فكانت العربية والسريانية والإيطالية واللاتينية. وقد بقيت الإيطالية لغة لبنان الدولية منذ عهد المعنيين حتى السنة ١٨٤٧ وفيها بدأ تقدّم الفرنسية. وكان هناك تخوف من أن تكون اللغة الفرنسية أداة لنقل الأفكار الثورية الجديدة بخلاف الإيطالية أداة الإستقرار والمحافظة[٦٠].

أما لجهة القراءات فكان هناك حزم في مسألة التوجيه الفكري «لا أحد يستطيع أن يحفظ عنده كتب لا تكون مفيدة لدرسه... وبأولى حجة لا يمكنهم يستعملوا كتب باطلة وغير مفيدة ومضرة التهذيب الجيد ومضادة الإيمان الكاثوليكي»[٦١].

أما على صعيد النقاش الفكري فكان هناك سيادة أو بالأحرى تبعية صارمة للأساتذة «وليحترسوا بالمجادلات من أن يكونوا غضوبين وعنودين في رأيهم الخصوصي بل في كل المجادلات يقنعوا من رأي ريس العلوم»[٦٢].

لقد تخرج البطريرك مسعد من عين ورقة متقناً اللغات العربية والسريانية واللاتينية والايطالية[٦٣]. ولقد لفت رؤساءه[٦٤] بذكائه وتقواه. فأرسله البطريرك حبيش لإكمال دروسه في روما.

د) البطريرك مسعد في روما:

عام ١٨٢٦ سافر مسعد إلى روما لمتابعة دراسته على نفقة المدرسة المارونية. فماذا كان وضع هذه المدرسة في هذه المرحلة؟ وما هو الجو الثقافي الذي اكتنف دراسته بين عامي ١٨٢٦ — ١٨٣٠؟

إبان حملته على إيطاليا واحتلاله لروما، أصدر نابوليون عام ١٧٩٨ أمراً بإلغاء كل المؤسسات الخيرية والدينية وسلب أموالها. ومن جملة هذه المؤسسات وضع يده على المدرسة

---

٥٩. المادة السابقة نفسها.
٦٠. اليسوعيون في الشرق الأدنى والعالم، دار النهار للنشر، ١٩٧١، ص ٦٤— ٦٥.
٦١. المادة ٢٦ من قوانين عين ورقة.
٦٢. المادة ٤٠ من قوانين عين ورقة.
٦٣. المطران يوسف الدبس، تاريخ سوريا، المجلد ٨، المطبعة العمومية ببيروت، ١٩٠٥، صفحة ٧٥٣.
٦٤. سنة ١٨٢٣ انتخبت عائلة بني اسطفان «لرياسة مدرستهم عين ورقة الخوري يوحنا توما أبي رزق من جزين لما يعهدون به من الأهلية لهذه الوظيفة»، الخوري منصور الحتوني، المرجع السابق، ص ٢٥٤.

المارونية ، فألغاها وباعها مع ممتلكاتها[٦٥] . وجعل بعض تلامذتها تراجمة في جيشه أو مراقبين للمطبعة الشرقية التي نهبها من البروباغندا[٦٦] . لكن في المرحلة اللاحقة تمكن الكردينال (أركولاني) محامي المدرسة المارونية والمنسنيور (الجياتي) وكيلها من استعادة تنظيم مداخيلها. ومنذ عام ١٨٢٢ أخذت إدارة المدرسة تدفع لمدرسة البروباغندامبلغ أحد عشر سكودي شهرياً عن كل تلميذ من المدرسة المارونية يتعلم فيها. وفي فترة وصول مسعد إلى روما كان للمدرسة المارونية إدارتها المصغّرة وكان التلامذة يتعلمون في المدرسة (الأوربانية) أو مدرسة البروباغندا ويعودون للنوم في غرفة واحدة ، وحوفظ على زيهم الإكليريكي وهو يختلف عن زي تلاميذ البروباغندا[٦٧] . وكانت تجلب لهم كل احتياجاتهم ليكون كل ما في غرفتهم خاصاً بالمدرسة المارونية[٦٨] .

لكن ماذا عن وضع مدرسة البروباغندا في الفترة التي تعلم فيها البطريرك بولس مسعد؟.

بعد المعاناة من السيطرة النابوليونية وبمواجهة سلطات الملوك ورغماً عنهم ، وبمواجهة حركة الإصلاح البروتستانتي ، وكذلك بمواجهة مدّ أفكار الثورة الفرنسية ، بادرت الكنيسة بالقيام بإصلاحات سياسية وخاصة لاهوتية. لقد استعاد المعهد الأورباني[٦٩] حيويته الداخلية على مستوى التلاميذ وعلى مستوى الإدارة بعد تخطيه للصعوبات الأولى. ومما أعطاه دفعاً التدخل من قبل الآباء اليسوعيين في إدارة المعهد ، ولذلك لم تأخذ المراحل التالية أي طابع خاص ، والحياة اليومية لم تخرج عن الطريق التي خططت لها من فوق. فالتلاميذ كانوا يقضون حياة إكليريكية عادية على ضوء نظام جدّد بإتقان بعد العام ١٨١٨ ، أكان ذلك في (بيازا دي سباغنا) أم في (ال غيانيكولو) أو في (تورّه روسّا) . فمن بعد رجوع البابا بيوس السابع والكردينال المدير إلى روما أخذت الأمور تأخذ مجراها العادي ، وأخذ ينمو في النفوس الأمل في إعادة افتتاح المعهد

٦٥. الخوري بولس قرألي ، لمعة تاريخية في المدرسة المارونية الحديثة برومية (١٨٩٠ — ١٩٢٧) مطبعة العلم ، بيت شباب ، ١٩٣٩ ، ص ١٣. كذلك يراجع مقال د. جوزف ابو نهرا (الظروف التاريخية لنشأة المدرسة المارونية الحديثة) في العدد الخاص من المنارة ، السنة ٢٥ ، ١ و٢ ، ١٩٨٤ ، ص ٣٣٥ — ٣٥٤.

٦٦. من الجدير بالذكر ان الماسونيين قاموا عام ١٨١٣ ، مع هجوم الفرنسيين على ايطاليا بتحويل قاعة البروباغندا الى مكان لاجتماع المحفل الماسوني . وقد امتنع طلاب البروباغندا عن خلع اللباس الذي كانوا يلبسونه كما أمر الفرنسيون ، واستمروا بالتشبث بمدرستهم.

Sacrae Congregationis de Propaganda Fide Mermoria Rerum, Herfer, Rom-freiburg Wien, T. II, 1971, p. 297 - 298

٦٧. «وكان لهؤلاء التلامذة ثيابهم الرسمية درّاعة سوداء (قنباز) وزنار مثلها مع رداء طويل وقبعة اكليريكية وهم يحافظون على طقسهم السرياني» . الأب لويس شيخو اليسوعي ، الطائفة المارونية والرهبانية اليسوعية في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٢٣ ، بيروت ، ص ٧٧.

٦٨. الخوري بولس قرألي ، المرجع السابق ، ص ٢٠.

٦٩. هو نفسه مدرسة البروباغندا أو مدرسة مجمع انتشار الايمان.

٧٠. هذه اماكن شهيرة في روما.

من قبل المنسنيور (فيفس). وهذا كان ممكناً فقط بعد إعادة ترتيب أمور البروباغندا[٧١]. وفي السنة الأخيرة التي قضاها تلاميذ البروباغندا في بيت الآباء اللعازاريين في (مونتيسيتوريو) كان عددهم ١١ تلميذاً[٧٢].

في ٣٠ ك٢ عام ١٨١٧ عيّن رئيس جديد للمعهد هو الكاهن العلماني: (ريموندو سيردومينيسي) (١٨١٨ — ١٨٣٠)، وقد كان في الوقت نفسه رائد التعليم في مجال الحق القانوني. كما أن الأب (انطونيو بيرّون) الكاهن العلماني، والذي كان سابقاً معرّف الطلاب، أخذ مركز الأب الروحي. ولم يستعد الآباء اليسوعيون إدارة المعهد الا عام ١٨٣٦.

إن الإنتشار العددي للمعهد أدى إلى مشكلة الأماكن أكان ذلك للطلاب أم لغرف التدريس، خاصة وقد قصد المعهد تلاميذ من معاهد أخرى[٧٣]. والمجموعة الأولى التي فتح المعهد لأجلها كانت مؤلفة من ١١ تلميذاً لكن سنة ١٨٢٢ زاد العدد تدريجياً إلى أن بلغ ١١٠ تلاميذ. ففي سنة ١٨١٨ كان العدد ٣٥ يتوزعون على الشكل التالي: الماني واحد، إيرلندي واحد[٧٤] والآخرون من البلقان والشرق الأدنى بينهم ٥ موارنة. وفي عام ١٨٢٨ بلغ عدد التلاميذ ٧٨ بالإضافة إلى الخارجيين الذين كانوا يقصدون مدارس البروباغندا ولم يكن من بينهم إلا لاهوتي واحد و٣ فلاسفة. أما البقية فكانوا من طلاب الآداب.

أما على صعيد الحياة اليومية فقد دلّت الأبحاث أن ثمة شبه كبير بين حياة المعهد آنذاك وحياة المعاهد لسنين خلت. فالحياة العقلية والفكرية، والأعياد الكنسية، والاحتفالات الفولكلورية كلها كانت معدّة منذ سنين. الروزنامات كانت تطبع وكذلك البرامج، وكان هناك وجود لحلقات فلسفية ولاهوتية، وكان يدرس اللاهوت العقائدي في غرفة مزينة ببردايات حول الشبابيك. والحياة الطقسية كانت منظمة بدقة توفر النضوج الروحي عند التلاميذ، كما أن احتفالات معيّنة، كانت تزيد الجو فرحاً وحيوية.

إن إدارة المعهد كانت تقوم بتغييرات تثير الإعجاب عند الطلاب، كمثل تأمين المياه بطريقة أوفر، إبدال الساعة الشمسية بأخرى أكثر تطوراً، تعليق الخرائط الجغرافية على الحيطان مما يسهل على الطلاب معرفة بلدان بعضهم بعضاً. والأدلة على الفقر لم تكن قليلة كما أن الرسائل المجهولة أو المغفلة كانت تثير الاستغراب، فكان يقرأها رئيس المعهد علنية على المائدة. إنما على العموم كان الطلاب يستنكرون ذلك. وثمة مشاكل تثار إذا قصد أحد الطلاب سكرتير المعهد

---

٧١. خاصة على يد الكرادلة: Litta, Pacca e Consalvi

٧٢. لم يكن بينهم أي طالب من الشرق الأدنى.

٧٣. في سنة الافتتاح عرض المهندس (بترولي) على الكرادلة ضم قسم المعهد بدير (سانت اندري) اما لم يقبل الاقتراح.

٧٤. لما بيع بيت هؤلاء في القطاع الفرنسي استقبلوا لوقت معيّن في بيت رسالة مونتي شيتوريو، وفي بدء سنة ١٨٢٢ ضموا موقتاً الى طلاب معهد اوربانو.

وليس الرئيس بالذات لتقديم بعض المطالب ، وتذكر الوثائق أن عدة أساتذة كانوا يحركون المعهد بطريقة تعجب وتسر التلاميذ(٧٥) .

أما بالنسبة للمواد التي كان يدرسها الطلاب ، فقد كانت الدروس اليومية تتناول اللاهوت الأدبي والنظري والسكولاستيكي والأخلاقي ، والكتاب المقدس والتاريخ الكنسي وعلم الجدل والليتورجيا وأسرار البيعة. بالإضافة إلى العديد من اللغات الشرقية والغربية(٧٦) .

إن قدرة البطريرك مسعد وصبره على الانكباب على الدرس ، وتوقّد ذكائه غير العادي والثقافة الواسعة التي كان قد حصّلها في عين ورقة سمحت له ، كما تقول المصادر ، على أن يتفوّق بين زملائه في روما ويلفت أنظار القيّمين عليه . ولا بدّ لنا في هذا السياق من الإشارة إلى دور أحد أساتذة المدرسة الأوربانية(٧٧) اللبنانيين (متى شهوان) الذي كان صديقاً لمسعد والذي كان له تأثيره الواضح عليه ، في مجال الجدل الديني كما في مجال الفكر التاريخي(٧٨) .

ومهما يكن من أمر فإن هذا المدخل التاريخي المقتضب حول نشأة البطريرك مسعد يحملنا على طرح العديد من الأسئلة :

١. ما هو تأثير التوجيه السلطوي في عين ورقة على شخصية البطريرك مسعد؟ وما هو أيضاً تأثير الأجواء المتشدّدة في المدرسة الأوربانية على تقوية المنحى السلطوي لديه؟
٢. متى بدأ يتقن الفرنسية؟(٧٩) وهل قرأ فكر الثورة الفرنسية عند متابعته لدروسه في عين ورقة أم في روما أم بعد ذلك؟.
٣. هل اطلع على تيارات الفكر المسيحي الإصلاحي وبخاصة كتابات سان سيمون ولامنيه؟
٤. ما هو تأثير الصراعات التي كانت تحتدم في المجتمع الايطالي خاصة وفي أوروبا على عامة على فكره السياسي؟.

---

٧٥. Sacrae congregationis de propaganda fide memoria rerum, Herder, Rom-Freiburg Wien, 1975, V. III/1, (1815 - 1971), p. 99 - 107.

وقد تفضل الأب د. سركيس الطبر والأب لويس خليفة بمساعدتي في ترجمة النص الايطالي إلى العربية .

٧٦. Sacrae congregationis de propaganda Fide, Memoria Rerum, T, II, op. cit., p. 293. et Solemnis Draemiorum distributio, Romoe, 1925, p. 17 - 20.

٧٧. كان يدرس اللغتين العربية والسريانية ، الأب لويس بليبل ، تاريخ الرهبانية اللبنانية المارونية ، ج ٣ ، بيروت ، ١٩٥٩ ، ص ٢٧١.

٧٨. هناك مخطوطة في دير الكريم لمتى شهوان تتضمن رداً على البطريرك مظلوم قبل طبع كتاب «الدر المنظوم» بعشرين سنة تقريباً .

٧٩. في كتابه «دحض رسالة فتح الله مراش الذي بها ينكر انبثاق الروح القدس من الابن» رومية ، ١٨٥٦ ، مطبعة انتشار الايمان ، ص ٣٥ أورد ما يلي : «فقد راجعناه (أي تاريخ الاباتي فلوري) في المحلين المشار اليهما بحسب النسخة المطبوعة فرنساويا في مدينة بروكسل سنة ١٧١٤».

٥. هل قرأ جيو برتي ومازيني ومانزوني وغيرهم من رواد الانبعاث الإيطالي؟.
٦. ما هي الأجواء العميقة لإجراءات نابوليون إزاء البابوية كمؤسسة وبالتالي إزاء الكنيسة في نفسية مسعد؟ وكيف كان عليه تأثير الإجراءات العميقة ضد الإكليروس واحتلال الماسون لمقر البروباغندا لفترة من الوقت؟.
٧. هل إن مجمل هذه التحركات الثورية أوجدت في نفسه المزيد من التصلّب في ربط الكنيسة بشؤون السياسة في الشرق بدلاً من انكفائها نحو الجوانب الروحية؟.
٨. ما هو أثر الإصلاحات التي أدخلها المصريون في سوريا ولبنان وفلسطين على موقف البطريرك؟[٨٠].
٩. بل ما هو دور حركة الإصلاح «والتنظيمات» التي كانت تعرفها السلطنة العثمانية في هذه المرحلة؟[٨١] وإلى أي حدّ كانت التحولات عميقة وبنيوية في الوجه المدني والديني للشرق الأدنى بين العامين ١٨٣٠ و١٨٦٢[٨٢]. وفي ضوء ذلك كيف استوعب مسعد هذه المتغيرات وفرض نفسه على لبنان المسيحي وعلى الديبلوماسية الأوروبية وعلى المبعوثين البابويين بديناميكيته وبُعد نظره وحسن تنسيقه، وثقافته التاريخية العميقة؟.
١٠. كيف استفاد مسعد من عمله قرب البطريرك حبيش في بكركي، وإلى أي حدّ، من موقعه هذا، تمكن من رصد التناقضات العشائرية والمناطقية التي كانت تواجه الطائفة المارونية، فحاول مع البطريرك حبيش أن يجمع عناصر هذه الطائفة في مشاريع توحيد[٨٣] في مواجهة الأخطار التي تواجهها؟.
١١. واستطراداً ألم يلاحظ مسعد بدقة الصعود الاقتصادي والثقافي — وبالتالي السياسي —

---

٨٠. يمكن مراجعة مخطوطة البطريرك بولس مسعد: «تاريخ سوريا ولبنان في عهد الدولة المصرية»، وهي موجودة في مكتبة نعمة يافت، الجامعة الاميركية، بيروت.

٨١. يمكن مراجعة كتاب

Stanford J. Shaw, Ezel Kural Shaw, History of the Ottoman Empire and Modern Türkey, V. II, Combridge University Press London, New York; Melbourne, 1977, p. 55 - 171.

٨٢. ان الكنائس التوحيدية تحررت من الهيمنة الرسمية للكنيسة الاورثوذكسية واتجهت نحو نوع من التنظيم الداخلي المتصف بطابع اللبتنة. ففي ٣ حزيران ١٨٣٤ اعلن الباب العالي، في فرمان اصدره أحد الكهنة الارمن الكاثوليك (أغوب ثوكوريان) رئيساً دينياً ومدنياً لكل الملل أو الكنائس الكاثوليكية للسلطنة. هذا الكاهن — البطريرك كان يمثل رسمياً الموارنة والملكيين، والسريان والكلدان الذين تم الاعتراف بهم شرعياً للمرة الأولى.

Joseph Hajjar, les Chrétiens Uniates du Proche-Orient, Ed., du Seuil, 1962, p. 264 - 265.

٨٣. يمكن مراجعة صك البطريرك حبيش حول وحدة الطائفة، الشيخ طنوس الشدياق، اخبار الاعيان في جبل لبنان، ج ٢، مطابع سميا، ١٩٥٤ ص ٢٥٠ — ٢٥١.

للمؤسسة البطريركية في مواجهة القوى المنافسة داخل الطائفة، أو خارجها، فحاول عند تسلمه لسدة المسؤولية عام ١٨٥٤ أن يرسخ هذه السلطة.

على قاعدة هذه الأسئلة الهامة يمكننا أن نلج إلى القسم الثاني من بحثنا وهو المتعلق بدور مسعد في حركة كسروان ١٨٥٨ــ ١٨٥٩.

● ● ●

القسم الثاني

البطريرك مسعد ومسألة السلطة في حركة كسروان (١٨٥٨ — ١٨٥٩)

لقد كتب الكثير من الدراسات حول حركة كسروان (١٨٥٨ — ١٨٥٩)، منها ما حاول أن يتصف بالطابع العلمي الموضوعي، ومنها ما صبغ بالطابع الايديولوجي. ومن هذه الدراسات ما صدر في كتب أو مقالات خاصة ومنها ما صدر في سياق أبحاث مطوّلة أو تقارير. أبرزها على سبيل المثال لا الحصر:

– ما ورد في كتاب الخوري منصور الحتوني[٨٤].
– تقرير الكونت (بينتيفوغليو) قنصل فرنسا في بيروت إلى وزارة الخارجية الفرنسية[٨٥].
– انطون ضاهر العقيقي، ثورة وفتنة في لبنان، نشرها وشرحها وعلّق حواشيها يوسف ابراهيم يزبك[٨٦].

Kerr, Malcolm H.; Lebanon in the last years of feudalism, 1840 - 1860: A contemporary by Antun Dahir al Aqiqi and other documents. American University of Beirut: Faculty of Arts and Sciences Publications, Orientale series, N' 33, Beirut, Catholic Press, 1959.

- Dominique Chevallier, Aspects sociaux de la Question d'Orient: aux origines des troubles agraires libanais en 1858. Annales: Economies, Sociétés, Civilisations, XIV, n' 1, 1959, pp. 35 - 64.
- Ye hoshua Porath, the revolt of 1858 - 61 in Kisrawan, Asian-African Studies, V. 2, 1966, pp. 77 - 157.

---

٨٤. الخوري منصور طنوس الحتوني، المرجع السابق، ص ٣٢٩ - ٣٥٣.

٨٥. Adel Ismail, Documents diplomatiques et Consulaires relatifs à l'histoire du Liban, éd. des œuvres politiques et historiques, Beyrouth, 1978, pp. 161 - 169.

٨٦. منشورات مجلة الطليعة، ١٩٣٩.

- الأب فيليب الخازن، كسروان عبر التاريخ، المطبعة التعاونية اللبنانية، درعون حريصا، ١٩٧٠. عن حركة كسروان من ص ٥٧ إلى صفحة ١٧٥.

أ) سميليا نسكايا، الحركات الفلاحية في لبنان، المرجع السابق، خاصة الصفحات ١٧٧ — ٢٢٥.

Toufic Touma, Paysans et institutions féodales chez les Druses et les Maronites du Liban du XVII siècle à 1914, T. I,
Publications de l'Université Libanaise, Imp. Cath. Beyrouth, 1971, pp. 259 - 272.

وبالرغم من أهمية هذه الأبحاث فإن المجال ما يزال واسعاً لمزيد من الدراسة والبحث حول هذه الحركة، وحسبنا الآن أن نتطرق، باختصار، إلى جانب من دور البطريرك مسعد فيها، مستندين إلى وثائق لم تنشر قبل الآن من أرشيف البطريركية المارونية[٨٧].

ماذا ورد في بعض الدراسات عن دور البطريركية المارونية؟

أ. **الخوري منصور الحتوني**: عندما تحرك المشايخ الخازنيون (عام ١٨٥٨) ضد الأمير بشير أحمد لإقالته، «ولما بلغ مسامع غبطة البطريرك بولس مسعد اجتماعهم وتنصيب وكلاء للقرايا وما أشبه ذلك فساءه ذلك لإدراكه بأن هذه الأعمال يخشي من أن تأول لضررهم كالباحث على حتفه بظلفه. فتدارك الأمر وطلب البعض منهم وأخذ يحذّرهم وينصحهم ليقنعهم بالانكفاف عن هذه الأعمال والتهرب موضحاً لهم سوء العاقبة فلم يذعنوا لنصائحه»[٨٨].

وعند اندلاع الحركة ضد المشايخ كان البطريرك مسعد في دير مار يوحنا مارون وعندما عاد إلى بكركي بدا عليه «إمارات الغم والاضطراب من جراء هذه الحركة[٨٩]. وما لبث أن بادر إلى التشاور مع المطارنة» فأجمع رأيهم بأن مداركة الحال لمعاطاة المصالحة والوفاق هو الأوفق. فمن ثم أخذوا يبحثون عن وجه يمكنهم إقناع الطرفين به»[٩٠].

وبعد طرد المشايخ من كسروان يذكر الحتوني أن البطريرك حاق به «الحزن والشجن والقلق والاضطراب بداعي ما التحق بالمشايخ من الإهانة والأضرار»[٩١]. فطرح على قادة الفلاحين «بالاتفاق مع مشايخهم على هذا الوجه وهو انه ينتخبون مأموراً واحداً منهم على الثلاثة عهد

---

٨٧. لقد تفضل الأب الدكتور بولس صفير بالسماح لنا بالاطلاع على هذه الوثائق فله شكرنا.
من جهة أخرى يبدو أن بعض الوثائق التي نشرها المرحوم يوسف ابراهيم يزبك نقلاً عن أرشيف بكركي، فيها بعض التحريف لعدة وثائق.

٨٨. الحتوني، المرجع السابق، ص ٣٢٨.

٨٩. المرجع السابق، ص ٣٤٠

٩٠. المرجع نفسه، ص ٣٤٠

٩١. المرجع نفسه صفحة ٣٤٣.

ليتعاطى الأحكام وحده وباقي الخازنيين لا يكون لهم سلطة فأقنعهم بهذا. وعرض هذا الوجه على المشايخ فأبوا قبوله ...[٩٢] . فأجابهم غبطته إن القبول بهذا الوجه الآن أوفق لتخميد الأمور وتسكين الهيجان». وعندما تخوف البطريرك من إمكانية دخول العساكر العثمانية إلى كسروان، عرض ذلك لقنصل فرنسا فضغط على خورشيد باشا، فتراجع[٩٣] .

ب. **تقرير القنصل الفرنسي**: تطرق التقرير في عدة أماكن لدور البطريرك والإكليروس من الحركة فبعد أن يعرض مطالب الفلاحين يشير إلى أن «الإكليروس الماروني (هو) الأكثر تنوراً بين إكليروس سائر الطوائف الشرقية في سوريا، ويتمتع بتقدير واحترام عميق. وغبطة البطريرك بولس مسعد ومطارنته، كان باستطاعتهم إيقاف التحرك في بدايته لولا غطرسة المشايخ الذين أعمت بصائرهم سيطرتهم السابقة، والذين قصروا في فهم أبعاد الخطر الداهم، فلقد رفضوا بشكل مطلق التراجع عن تصلبهم وإعطاء أي مطلب للفلاحين»[٩٤] . ثم يضيف التقرير: «ولما ازدادت ثقة الفلاحين بأنفسهم وتقبل غبطة البطريرك للمطالب المطروحة، تعرض البطريرك لاتهامات من قبل المشايخ بأنه ما انحاز إلى جانب الفلاحين إلا بسبب أصوله الفلاحية هو الآخر»[٩٥] . وفي مكان آخر من نفس التقرير: «غبطة البطريرك تصور حينئذ أنه يجب عليه استعمال سلطته فوجه إلى الفلاحين، بأمل توقيف تحركهم، توبيخات وبعض التهديدات، وكما فعل المشايخ سابقاً اتهم الفلاحون البطريرك بتأييد خصومهم، فوجد نفسه في موقف لا يحسد عليه ولا يمكنه من أية مبادرة»[٩٦] . وبعد أن يتطرق التقرير لتعرض بعض الأديار إلى إطلاق الرصاص بسبب اختباء بعض المشايخ وعائلاتهم فيها يقول: «الثورة كانت تنذر بالولوج إلى مرحلة جديدة بحيث تطال حرمة الإكليروس. ومما زاد الطين بلّة غياب غبطة البطريرك الماروني الذي استفاد من فترة الهدوء الظاهر في الشهر السابق ليقوم بزيارته السنوية إلى أبرشيته الخاصة في منطقة بشري»[٩٧] .

بعد تفاقم الوضع طلب القائمقام المسيحي من بونتيفوغليو التدخل «وفي نفس الوقت طلب مني المطارنة وغبطة البطريرك الماروني التدخل مباشرة في الموضوع. فقنصلية فرنسا كانت على الحياد منذ بدء الأحداث في كسروان، الأمر الذي فسره الفلاحون كمظهر رضى عما

---

٩٢. المرجع نفسه، ص ٣٤٤.
٩٣. المرجع نفسه، ص ٣٥٠.

Archives du Ministère des Affaires étrangères, Paris, Turquie, corresponsance politique des Consuls, Registre n° 12, p. 4 (Verso) le 7 janvier 1860.

٩٤. تقرير القنصلية، المرجع السابق، ص ٥ (قفا كل الصفحة).
٩٥. المرجع نفسه، ص ٦.
٩٦. المرجع نفسه صفحة ٨ (قفا).
٩٧. المرجع نفسه. صفحة ٩.

يحدث »[٩٨] . وبعد أن يذكر القنصل الفرنسي أنه عين السيد سان شافري من قبله — وهو الضليع في العربية والمطّلع على شؤون الجبل — يجمل تقريره بالقول : « توصلت إبان هذين الشهرين إلى التقريب بين المشايخ والفلاحين وكل شيء يسمح لي بالأمل لاتوصل إلى حلحلة كاملة لدى زيارتي الأولى إلى غبطة البطريرك الماروني العائد لتوّه إلى مقرّه الشتوي والذي يعاونني للوصول إلى هذا الهدف بنصائحه وخبرته »[٩٩] .

ج. **انطون ضاهر العقيقي** : يولي العقيقي أهمية كبرى لدور طانيوس شاهين في الحركة . أما بالنسبة لدور البطريرك مسعد فيأتي على ذكره على نحو هامشي « ومقدام الجميع — يقول العقيقي —[١٠٠] كان طانيوس شاهين وكنّوه بك فأخذ المذكور يتحايل على المشايخ ليقيمهم من كسروان فأحياناً « يدعي بأنهم أرادوا قتله وأحياناً يقول إنهم كبسوه في بيته وأطلقوا عليه الرصاص وأحياناً يسند قوله على قول السيد البطريرك بولس مسعد الجالس يومئذ مع أن غبطته كان يضادد جداً هذا العمل لأن الكلّ رعيته وكان قصد طانيوس شاهين بذلك هو أن يضع العداوة بين المشايخ والأهالي ... » .

وفي مجال تقديره لثبات المشايخ الخوازنة على الإيمان المسيحي يقول[١٠١] « ولم حصل لا من عمومهم ولا من أفرادهم ما يخلّ بشرفهم الديني والزمني ... مع انه كان يلوح في عقول البعض منهم ومن غيرهم أن ينبوع هذه الحادثة عليهم كان أكثر أسبابها من الإكليروس ... » .

وبعد أن كلف يوسف بك كرم في الحكم من قبل فؤاد باشا ، على أثر حوادث الستين يذكر العقيقي انه « صار بعض بواعث بينه وبين طانيوس شاهين فطلع إليه من جونيه إلى ريفون . وصار طلق بواريد خفيف من دون أذية أحد ... أخيراً هرب طانيوس شاهين ومن معه فحضر يوسف بك إلى ريفون وقعد في مدرسة ريفون وأمر في نهب بيت طانيوس شاهين فنهبوه وكلما فيه وطانيوس ولّى الإدبار خفية » وقيل إن ذلك كان برأي غبطته لأجل بعض بواعث[١٠٢] .

د. **دومينيك شفاليه** : وصف هذا الباحث الفرنسي دور الإكليروس في مطلع الحركة ، بأنه دور تأجيلي[١٠٣] . لكنه لا يلبث أن يصف البرنامج الإصلاحي المقدّم من القرى بأنه برنامج ملائم للإكليروس الماروني للتخفيف من نفوذ منافسيهم المشايخ » . وان كهنة القرى شاركوا فعلياً

---

٩٨. المرجع نفسه
٩٩. المرجع السابق ص (١٠ قفا) .
١٠٠. انطون ضاهر العقيقي ، المرجع السابق ، ص ٨٤ .
١٠١. المرجع نفسه ، ص ١٣٦ .
١٠٢. المرجع نفسه ، صفحة ١٣٥ .
١٠٣. دومينيك شفاليه ، المرجع السابق ، ص ٦٢ — ٦٣ .

في صياغة هذا البرنامج الموجه إلى البطريرك[١٠٤]. ولكن يبدو أن التحركات الثورية التي حصلت تخطت بكثير الحدود التي تصورها الإكليروس»[١٠٥].

هـ. **توفيق توما**: يؤكد توفيق توما في كتابه الرصين على دور الإكليروس ومصالحه في حركة كسروان (١٨٥٨ — ١٨٥٩)[١٠٦]. فبالإضافة إلى القوة الاقتصادية للكنيسة فإنها تتمتع وحدها بالعناصر المثقفة في القرى. وان مشاركة الإكليروس من كافة المراتب وتضامنه، تفسر إلى حدّ كبير التنظيم والهرمية والفعالية للحركة منذ بدء انطلاقها[١٠٧]. ويسوق الأستاذ توما جملة أسباب منها وقوف المشايخ الخازنيين إلى جانب سياسة «بريطانية البروتستانتية»، وطموحات عائلة البطريرك مسعد «أل المشروقي» في الصعود، وكذلك حقد البطريرك الشخصي للإهانة التي أوقعتها إحدى الشيخات الخازنيات بوالدته بسبب لباسها للطنطور يوم عرسها. ويعتبر الأستاذ توما أن عمل البطريرك في الحركة هو عدم تدخله لإيقافها، ومما يدل على تعاطفه مع الفلاحين هو اقتراحه بانتخاب شيخ واحد من قبل المشايخ والشعب حاكم من العوام ينتخب من قبلهم، الاقتراح الذي رفض من قبل المشايخ ووفق عليه من قبل الفلاحين[١٠٨].

و. **الأب فيليب الخازن**: يحاول أن يفند مجمل الكتابات التي تشيد بمواقف طانيوس شاهين ويدافع عن مآثر العائلة الخازنية وإذا تطرّق لموقف البطريرك مسعد في الحركة، فلكي يشير إلى عطفه على عائلة آل الخازن.

ز. أ— **سميليا نسكايا**: لاحظت هذه المؤرخة الروسية أن «غالبية الأساقفة الموارنة في منتصف السنوات الخمسين لم تكن تنتسب للأرستقراطية الإقطاعية. ولنذكر بأن بولس مسعد الذي تلقى ثقافته الدينية في روما، والذي كان يتحدث بثمان لغات كان يعود بأصله إلى أسرة الفلاحين... وكانت الكتلة التي رشحته والتي يتمتع طوبيا عون بنفوذ كبير بين أفرادها، تشاطره موقف المعارضة إزاء الأرستقراطية الإقطاعية. وكان رجال الدين يرمون إلى التضييق على الأرستقراطية الإقطاعية في المجال السياسي. كما ضيّقوا عليها في مجال ملكية الأرض»[١٠٩]. وفي مجال عرضها لردّ البطريرك على طلب المشايخ الخازنيين بالتدخل تقول: «وأخبر المشايخ البطرك الماروني بما حدث آملين أن يستعمل البطرك سلطته الدينية في صالحهم ولكن البطرك اقتصر على إجابتهم بأنه أنغم بسبب ما حدث وأنه يخشى أن يؤدي الأمر إلى «تبلبل الجبل» ودعا المشايخ إلى التبصّر في مغزى هاتين الحادثتين وأخبرهم بأنه سيحضر سريعاً إلى طرفهم للمفاوضة. ويبدو أن

---

١٠٤. المرجع السابق، ص ٦٣.
١٠٥. المرجع نفسه، ص ٦٣.
١٠٦. توفيق توما، المرجع السابق، ص ٢٦٢— ٢٦٦.
١٠٧. المرجع السابق، ص ٢٦٣.
١٠٨. المرجع نفسه، صفحة ٢٦٤.
١٠٩. أ. سميليا نسكايا، المرجع السابق، ص ١٨٧— ١٨٨.

البطرك قد فوجيء بالأمر ولم يحدد بعد خط العمل الذي سيتبعه . وبعد فترة قصيرة عزم البطرك على أن يلعب دور الوسيط السامي شكلياً لكي يصون سلطة الكنيسة ويحتفظ بنفوذه بين الفلاحين[١١٠] .

وتميل سميليا نسكايا الى التقليل من دور رجال الدين في الحركة فتقول : «واضطر البطرك بعد فشل رسوليه[١١١] الى عقد المجلس البطركي الذي توصل الى رأي مشترك بضرورة بذل الجهود لانهاء الخلاف بسبل سلمية . وكانت كل الظواهر تدل على القلق الشديد الذي استولى على كبار رجال الدين . (وهذا يناقض بوضوح الزعم المنتشر في كتب التاريخ بأن رجال الدين كان لهم ضلع في التحريض على العصيان)[١١٢] . بل انها تذهب الى أن البطريرك مسعد فشل في اقناع المتمردين بحل وسط ، فحاول «والقنصل الفرنسي الضغط على شاهين» . وتربط هذا الضغط بما رواه شاهد عيان : «البطرك الماروني بعد أن شاهد ما يتهدد النظام الاجتماعي في الجبل أخذ يقوم بالمناورات لابعاد طانيوس شاهين من كسروان»[١١٣] . وتخلص سميليا نسكايا الى القول : «في نهاية عام ١٨٥٩ أخذت المفاوضات بين المتمردين والبطرك تدور في حلقة مفرغة وفشلت بهذا محاولات كبار رجال الدين لوضع الحركة تحت اشرافهم ، والأدهى من هذا أن الحركة كانت آخذة في التوسع . وربما كان هذا ما جعل رجال الدين يفكرون بتأريث نار العداء من جديد بين الدروز والموارنة لاستغلال الفرصة واثارة الصدامات ودفع فلاحي كسروان للاشتراك فيها»[١١٤] .

يهوشع بوارث :

يعرض بوارث[١١٥] ما كتب المعاصرون عن دور الاكليروس فيرى أن أغلب المصادر المعاصرة أكدت على مسؤولية الاكليروس الماروني في انتفاضة كسروان . والاستثناء الوحيد كان (بوجولا) الذي يميل ميلاً شديداً في كتاباته نحو الكنيسة الكاثوليكية والمارونية بشكل خاص والذي يحمل السلطات العثمانية وحدها مسؤولية انتفاضة كسروان . ويرى بأن الكهنة هم أهل سلام ولا يحرضون على الحرب . لكنه كان مستعداً للاعتراف بأن موقف البطريرك الماروني لم يكن واضحاً في كل مرحلة من مراحل الانتفاضة . بل كان موقفه نتيجة اتجاه انساني لمداراة الجميع ولم يكن نتيجة لنية متعمدة في استعمال الانتفاضة لمصلحته الخاصة . وفي مقابل هذا

---

١١٠. المرجع السابق، ص ١٩٩ — ٢٠٠ .
١١١. الى أهالي الذوق.
١١٢. أ. سميليا نسكايا، المرجع السابق، ص ٢٠١
١١٣. المرجع السابق، ص ٢١٧ ، نقلاً عن (سوفينير دي سيري) صفحة ١١ .
١١٤. المرجع نفسه، ص ٢٢٥.
١١٥ بوراث، المرجع السابق، ص ١٣٧ — ١٤٦ .

التحليل يعبر عدد كبير من الكتّاب عن وجهة نظر معاكسة تماماً. فادواردز المعروف بموقفه المعادي للإكليروس «يتهم اليسوعيين ببذر عوامل الاضطراب اينما كانوا» ، وبالتالي يتهم الكنيسة المارونية بتسليح الفلاحين ضدّ أسيادهم التقليديين وباشاعة المشاعر الديمقراطية بينهم من أجل تدمير الأمراء والاعيان والسيطرة على ادارة القائمقامية المسيحية . وفي رأيه أن الحكومة يمكنها أن لا تقضي على الانتفاضة اذ أن ايديها مكبلة بنظام شكيب أفندي ولا يعقل أن يكون لها دور في التحريض على الانتفاضة . كذلك يؤكد مصدر درزي أن ثورة كسروان لم تكن أكثر من عمل للاكليروس الماروني في اطار سياسته الايلة الى زعزعة حكم الاريستقراطية القديمة والسيطرة على السلطة . كذلك فإن عملاً صدر فيما بعد ويمكن اعتباره نشرة عثمانية شبه رسمية يعتبر أنه من الممكن وجود تعاون بين الاكليروس والسكان في أوائل الانتفاضة من أجل اضعاف قوة المشايخ الاقطاعيين. وكان رأي القنصل البريطاني أن الاكليروس الماروني واللاتيني قد قام بمساعدة الانتفاضة وقدم لها المال . كما يقول العقيقي أن طانيوس شاهين كان محمياً من قبل رهبان اللعازاريين الفرنسيين . ولا يختلف رأي الكتّاب الذين لهم موقف ايجابي من الاكليروس كثيراً . فقد وصل كاتب لبناني لاحق (بولس نجيم) الى نفس الاستنتاج : لقد دعم الاكليروس في المرحلة الأولى الفلاحين من أجل الحلول محل الاقطاع . لكن أهم من ذلك كله شهادة شاهدين فرنسيين معاصرين ، موقفهما متعاطف مع الاكليروس الماروني وهما :

لويس فيليب (كونت باريس) وبانتيفوغليو (القنصل الفرنسي في بيروت أيام الانتفاضة) . يكتب الأول حول موقف الإكليروس من الانتفاضة فيقول : «لقد شكّك بالإكليروس واتهم بدعم الانتفاضة. ولعلّ قيادات من الإكليروس المنبثقة بأكثريتها من الشعب قد رأت في الانتفاضة وسيلة لتخفيض شأن النبلاء (يعني المقاطعجية) الذين يغارون منهم ، ويسعون لاعادة القبض على سلطة بدأت تفلت من أيديهم . وقد عبر القنصل الفرنسي بشكل أوضح عن هذه القضية قائلاً : «ساقتصر على ايراد الملاحظة بأن دور الاكليروس في هذه الحركات كان قليل الانسجام مع دوره في ترسيخ السلام . لقد اراد الاكليروس أن يسيطر على الوضع ويحل محل الاريستقراطية ، ويقود جميع الاعمال» . وفي تقرير آخر يقول القنصل بوضوح أن انتفاضة كسروان وطرد مشايخ آل الخازن خارج مقاطعتهم هي احداث مرتبطة بشكل وثيق بهذا النوع من المؤامرة التي حاكها الاكليروس .

هذا التضافر الملفت للآراء هو الأكثر دلالة اذ أن المصادر متنوعة وكذلك موقفها من الكنيسة المارونية لبس متطابقاً . لكن هناك ضعف وحيد في كل هذه المصادر ، فكل الاتهامات الموجهة ضد الكنيسة المارونية مساقة بشكل عام وبدون أمثلة ملموسة تسلط الاضواء على مساعدة الاكليروس لانتفاضة الفلاحين .

ويستنتج بوارث أن الكهنة كان لهم الدور البارز في قيادة الانتفاضة إبان المرحلة الأولى ولكن بعض القرى . ثم كان لهم الدور التوفيقي في المرحلة الثانية .

ومن جهة أخرى يذكر ان البطريرك مسعد وبعض الكهنة اعطوا طانيوس شاهين مظاهر سلطوية بهدف اعلاء شأنه بالنسبة للفلاحين.

وبشكل عام فإنه يرى أن الاكليروس قد اعطى دعماً للانتفاضة ولكن بشكل خاص للجناح المعتدل فيها. كما أن أهم نشاط قامت به الكنيسة — في رأيه — هو محاولة التوفيق بين المشايخ والفلاحين.

بعد هذا العرض الموجز لبعض ما ذكر عن موقف البطريرك مسعد في حركة كسروان هل لنا الآن أن ننتقل الى عرض وجهة نظرنا في هذا المجال؟ لكن قبل ذلك سنتوقف عند سؤالين:

١. **ماذا نفهم بالسلطة**: ثمة باحثون كثر تناولوا مفهوم السلطة من منطلقات علمية متنوعة. فبعضهم[١١٦] يرى أنها نمط معيّن من العلاقات الاجتماعية، وهي تفترض امكانية ارغام الآخرين على الانتظام في نظام معيّن من العلاقات بين الافراد والجماعات. انها ظاهرة مسلم بها في كل مجتمع انساني، حتى البدائي منه، وهي تكون عادة في خدمة نسيج اجتماعي معيّن. ثم انها تتخذ شكلها وتقوى تحت ضغط الاخطار الخارجية المحتملة أو الفعلية، وهي تحاول أن تعطي المجتمع الادوات والأساليب التي تسمح بتأكيد التماسك الداخلي وابراز «شخصيته».

لقد عرّفها بأنها «المقدرة» ضمنية كانت أو مكتسبة، من أجل ممارسة السطوة أو الهيمنة على مجموعة، وهي مظهر للقوة وتتضمن الطاعة من قبل المجموعة الخاضعة لها»[١١٧].

اما (ماكس ويبر) فقد عرّف السلطة على أنها «ضرورة الزامية في التنسيق بين فئتين بمعنى أن هناك مصدراً معيّناً يعطي اوامر محددة تفرض على مجموعة معيّنة من الأشخاص طاعتها. هذا يعني أن ضمن فئة اجتماعية يفترض أن يكون هناك تناسق بين الأوامر والطاعة. أي أن الفرد يخضع بملء ارادته الى حد أدنى من الأوامر الصادرة عن سلطة معيّنة»[١١٨]. وانطلاقاً من ذلك يفترض (فيبر) ان الشرعية تكمن في أساس كل سلطة، وان هناك ثلاثة انواع:

- السلطة التقليدية المرتكزة على التسليم بقدسية التقاليد القديمة. والشرعية في هذا الحال تكون مستمدة من الله أو من الأسر المالكة، وفي هذا السياق يلعب رجال الدين دوراً بارزاً في المجتمعات ذات الصبغة الدينية.

---

١١٦. Georges Balandier, Anthropologie politique, P.U.F, 1967, pp. 42 - 44.

١١٧. مقال لفريدة ابو عز الدين، مجلة الفكر العربي، العدد ٣٣— ٣٤ ص ٣٢. نقلاً عن
Encyclopedia of social sciences, p. 319.

١١٨. المرجع السابق، ص ٣٢ نقلاً عن:
Max Weber, the theory of social and economie organization, New York, the free press, 1947, p. 32.

١١٩. الاب بطرس فهد، تاريخ الرهبنة المارونية، ج ٧، مطابع الكريم جونيه، ١٩٦٨، صفحة ٤٦٧— ٤٦٨.

- السلطة الأسطورية وهي التي ترتكز على انسياق الشعوب لابطال معيّنين في فترة تاريخية معيّنة (نابوليون، هتلر، غاندي ...).
- السلطة العقلانية — القانونية : وهي بنت الدولة في مفهومها المعاصر، حيث هناك سيادة الدستور والقانون المنبثقان من ارادة الشعب.

٢. ماذا عن شخصية البطريرك مسعد وهل يمكن أن تكون طموحة للسلطة؟

لقد ترك لنا العديد من المعاصرين أوصافاً وذكريات تعطي بعض الملامح عن شخصية هذا البطريرك. فجبرايل القرداحي وصفه قائلاً[١١٩] . «شيخ قصير القامة، قوي البنية، رقيق الحاجبين، جميل اللحية والعارضين، أبيض اللون، مهيب المنظر، نقي الجيب، متوقد الفؤاد، صحيح الفكر، ثاقب الرأي، أبي يؤثر المنيّة على الدنيّة، متين الوداد، طويل الباع في علوم كثيرة ولا سيما في التاريخ، وكفى بكتابه الدر المنظوم شاهداً، خبير بفنون السياسة، يضع كل أمر موضعه، حكيم متدبر لا يأتي من الأمور الا ما استطاع اليه سبيلاً... قليل الكلام محكمه مأمون التنديد».

أما رشيد الشرتوني فقد قال عنه : «وكان من البارعين في الرسوم البيعية ولا سيما في الحق القانوني وفي التاريخ وخاصة فيما يتعلق منه بتواريخ الطوائف الشرقية»[١٢٠] .

عام ١٨٥٤ «اجتمع الاساقفة في بكركي وانتخبوا (مسعد) بالصوت الحي واجماع الرأي»[١٢١] . بطريركاً، اذن ثمة شرعية اجماعية من داخل المؤسسة الدينية نالها البطريرك الجديد. على أثرها انتقل الى تثبيت قبضته الايديولوجية على المجتمع، فبادر للدعوة الى عقد المجمع البلدي. وان عرضاً سريعاً لابرز مقررات هذا المجمع تبرهن بوضوح المنحى السلطوي لديه.

- فالمجمع «قد حكم بوجوب السهر الدائم على حفظ وديعة الايمان هذه، والتوصي للجميع، ولا سيما الكهنة، ولكل المتقلدين الاهتمام بالانفس، ليحترسوا من أن ينساب أحد من الاعداء المخالفين للكنيسة الرومانية المقدسة، التي هي أم جميع الكنائس ومعلمتهن، في المحلات القاطن بها بنو ملّتنا»[١٢٢] .
- رفض معاشرة (المبشرين الانجيليين) واعتبارهم كذئاب خاطفة، يجب اخراجهم وعدم اقتناء كتبهم ورسائلهم الحاوية على تعاليم باطلة وكاذبة واقاويل مشكّكة[١٢٣] .

---

١٢٠. سلسلة بطاركة الطائفة المارونية الطيّب الذكر البطريرك اسطفان الدويهي الاهدني عني بنشرها وتعليق حواشيها رشيد الخوري الشرتوني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٠٢، صفحة ٩٥.

١٢١. المطران يوسف الدبس، المرجع السابق، ص ٧٥٤.

١٢٢. الأب بولس مسعد، المجمع البلدي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٥٩.

١٢٣. الا يمكننا التساؤل عن مدى تأثير الثقافة المتشددة التي تلقاها مسعد في عين ورقة وخاصة في روما في مثل هذه المقررات الصارمة في مجابهتها للفرق الانجيلية؟

– من تجاسر على عمل الخلاف يسقط بذات الفعل بالحرم الكبير المحفوظ حله لسلطان السيد البطريرك الكلي الغبطة .

– والمجمع أيضاً فرض على أساقفة الرعايا فحص الكتب بحيث لا «يتجاسر أحد، ويشهر تأليفاً مرتباً منه ، أو منقولاً منه من أية لغة كانت خطاً أم طبعاً بأي موضوع كان ، وبأي لغة كانت ، ولو مهما كان صغير الحجم قبل أن يعرضه على أسقف الابرشية لأجل فحصه ، ونوال الاذن منه باشهاره خطياً أم طبعاً[١٢٤] » .

– كذلك اتخذ المجمع قراراً بانشاء مطبعة بأحرف عربية[١٢٥] . وبالطبع تكون هذه المطبعة اداة في الصراع الايديولوجي الذي تخوضه المؤسسة الدينية ضد الاخطار الخارجية والداخلية المهددة لها .

– كما ضبط المجمع مسائل الصوم والاعياد وربطها «بسلطان السيد البطريرك الكلي الغبطة» .

بعد انجازه «المجمع البلدي» انتقل البطريرك لاحكام سلطته على المؤسسة الكنسية . فلقد كانت الرهبنة قوة اقتصادية وثقافية ودينية صاعدة ، وكان هناك بعض التنافس بين الأساقفة والرهبان على رعاية الابرشيات[١٢٦] . ولقد استغل البطريرك مسعد بعض المصاعب الداخلية التي كانت تمر بها الرهبنة البلدية ففرض ، بالتنسيق مع روما ، قيادة جديدة على الرهبنة : «... نحتم عليكم الحتم الجازم بكلمة الرب العزيز سلطانها بأنكم عند اطلاعكم عليها أو بلوغ فحواها اليكم تبادرون حالاً الى تقديم الطاعة التامة للرئيس العام والمدبرين الذين تسمّوا موقتاً على رهبتتكم ... كما أننا نناشدكم بالرب بأن تكونوا مستكنين بالهدوء والسلام ... ومبتعدين كل الابتعاد عن كلما من شأنه أن يوجب القلق والسجس في الرهبنة[١٢٧] .

وكذلك الأمر بالنسبة للرهبنة الحلبية ، فقد عيّن البطريرك مسعد ، في اطار الفترة نفسها القس جبرايل العجلتوني ، رئيساً عاماً ومدبرين ورؤساء اديار بعد تأخر انعقاد مجمع هذه

---

١٢٤. الأب بولس مسعد ، المرجع السابق. ص ١٦ .

١٢٥. «في السنة ١٨٥٥ اشترى الرؤساء مطبعة من اوروبا مجهزة بالاحرف العربية والسريانية والافرنجية وبكل ما يلزمها من مصب احرف وآلات للصرم والتجليد والقطع . وبلغ ثمنها ٧٥ ألف قرش . وكان ذلك عن يد السيد ابراهيم بك الديراني طبيب العسكر العثماني . ووضعت هذه المطبعة في دير سيدة طاميش . من مطبوعاتها : اللاهوت الأدبي للقديس ليكوري ، لسد حاجات الكهنة وكتاب دحض الارطقات له ايضاً . ثم كتاب الدر المنظوم للسيد البطريرك بولس مسعد والشحيمة الكاملة لتعليم اللغة السريانية وغير ذلك» .
الأب لويس بليبل ، المرجع السابق ، ص ٣٠٦ .

١٢٦. راجع المذكرة المقدمة من الرهبنة الى رومية تطالب فيها السماح لرهبان الاديار بممارسة الاعتراف والمناولة «للعالمين». الأب لويس بليبل. المرجع السابق، ص ١١٦ — ١١٨ .

١٢٧. الأب انطونيوس شبلي اللبناني ، الآثار المطوية ، ج ٢ ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٦٤ ، ص ٣٢٨ .

الرهبنة[١٢٨] . كما أن الرهبنة الانطونية هي الأخرى كانت تمر في هذه الأثناء بأزمة داخلية تم حلها بالتنسيق بين روما والبطريركية[١٢٩] .

وما يعزّز طرحنا في أن البطريرك مسعد يريد احكام سلطته على المؤسسة الدينية هو قيامه اثناء تولّيه سدة البطريركية بتعيين العديد من اقاربه أساقفة على الطائفة . فقد رقّى اخاه بطرس الى أسقفية حماه الشرفية ونيابة البطريركية وابن عمه يوسف مسعد الى أسقفية عكا الشرفية وابن أخيه بولس إلى أسقفية حماه الشرفية بدمشق ونسيبه البعيد يوحنا الحاج الى أسقفية بعلبك[١٣٠] .

بعد أن أحكم البطريرك مسعد سلطته على ايديولوجية المجتمع من خلال المجمع البلدي ، وبعد أن طوع المؤسسة الرهبانية من خلال تدخله المباشر في شؤونها انتقل الى المجال السياسي .

من المسلم به عند أغلب الدارسين ان البطريرك الماروني ، من الوجهة التاريخية لم يكن رئيساً روحياً فحسب ، بل كان في أغلب الاحيان رئيساً روحياً ومدنياً . لكن مرّت فترة خاصة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، تصاعدت فيها سلطة «أهل المناصب والاعيان» من الاقطاعيين على حساب سلطة البطريرك الزمنية . ولكن منذ مطلع القرن التاسع عشر أخذ دور البطريركية يتزايد بسبب جملة عوامل متشابكة ، المحنا الى بعضها في مقدمة البحث[١٣١] . لكن علينا أن نذكر أن الخط الهمايوني أكد على ضرورة تخصيص « ايرادات معيّنة الى البطاركة ورؤساء الجماعات » ، كما نص على ضرورة « ادارة المصالح الملية المختصة بجماعة المسيحيين وباقي التبعة الغير المسلمة لحسن محافظة بمجلس مركب من اعضاء منتخبة فيما بين رهبان كل جماعة وعوامها » ، وأكد الخط على أن « الدعاوى الخاصة مثل الحقوق الارثية فيما بين شخصين من المسيحيين وباقي التبعة الغير المسلمة ، فتحال على أن ترى اذا ارادت اصحاب الدعوى بمعرفة البطرك أو الرؤساء والمجالس ... »[١٣٢] .

هذه العوامل المتشابكة ، بالاضافة الى شخصية مسعد التي صقلت في ثقافة عين ورقة وروما ، أمّنت الظروف المؤاتية ليمارس مسعد مواجهة تضعف المشايخ الخازنيين.

---

١٢٨. الأب بطرس فهد ، تاريخ الرهبانية اللبنانية المارونية ، ج ٦ ، مطابع الكريم ، جونيه ١٩٦٩ ، صفحة ٣٥.

١٢٩. أقيل الاب شاول الاسمر وعيّن مكانه الأب فيلبوس الحاج بطرس ، الاباتي ايرونيموس خير الله ، تاريخ موجز للرهبانية الانطونية المارونية ، مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونيه ، لا تاريخ ص ٢٥ .

١٣٠. الدكتور اسد رستم ، لبنان في عهد المتصرفية ، دار النهار للنشر ، ١٩٧٣ ، صفحة ٣٠١.

١٣١. مما جاء في الخط الهمايوني الصادر عن السلطان العثماني عام ١٨٥٦ : « يلزم أن تحصل المبادرة فقط الى رؤية امتيازات كل جماعة من المسيحيين والتبعة الغير المسلمة ومعاينة امتيازاتهم الحاصرة بظرف مهلة معينة وتحصل المذاكرة في اصلاحاتها التي أوجبها الوقت وأثار التمدن والمعارف المكتسبة في مجالس مخصوصة لتشكل في البطركخانات بارادتي واستحساني الملوكي » ...

١٣٢. يمكن مراجعة النصوص الكاملة لخط كلخانة وللخط الهمايوني وللعديد من القوانين العثمانية في : « الدستور ، ترجمة من اللغة التركية الى العربية ، نوفل افندي . نعمة الله نوفل ، المجلد الأول ، المطبعة الأدبية في بيروت ، ١٣٠١ ص ٥ — ١١.

ان الأطروحة التي نحاول البرهان عليها تختصر بما يلي :

ان البطريرك مسعد كان بصدد ترسيخ شرعيته المدنية وشمول سلطته الاجتماعية على مجموع الطائفة ، بعد أن حسم بسهولة «واجماع الرأي» أمر شرعيته الدينية . ولقد كانت حركة الفلاحين التي اندلعت عام ١٨٥٨ ، في كسروان ، مناسبة لتطويع القوى الاجتماعية (مشايخ آل الخازن خاصة) التي يمكن أن تشكل عامل معارضة محتمل لسلطته[١٣٣] . اننا لا نحاول الزعم بأن البطريرك خلق حركة الفلاحين ، فالاحداث ــ لا سيما الهامة منها ــ لا تكون نتاج شخص مهما سمت اهميته . بل اننا نزعم أن البطريرك استغل مسار هذه الحركة للوصول الى هدفه.

ما هي الأسانيد التي يمكن أن نرتكز عليها في ما نذهب اليه ؟

١ . بعض النصوص التي تعود الى معاصري الفترة :

إذا كان الحتوني متعاطفاً مع المشايخ الخوازنة في كتابته لتاريخ الحقبة ، وقد حاول في ضوء ذلك أن لا يبيّن الموقف الحقيقي للبطريرك ، فإن هناك العديد من معاصري الحقبة الذين سلطوا الاضواء بوضوح على الموقف الفعلي للبطريرك .

أ . قال جرجس بك صفا : «عرفت البطريرك بولس جيداً جيداً ولمست كرهه لرجال الاقطاع لمس اليد . فلطالما حدثني عما جرى لوالدته في كنيسة عشقوت عندما ذهبت لاستماع القداس الالهي لأول مرة بعد زواجها . قال البطريرك ما كادت والدتي العروس تستقر في مكانها في الكنيسة حتى تقدمت منها شيخة من شيخات الخوازنة ولطمتها على خدها قائلة ان هذا الزي هو ليس لك فاذهبي واستبدليه . قال جرجس بك وعلى الرغم من مرور ثمانين سنة على هذا الحادث بقي البطريرك يردده متألماً» ــ ويضيف أسد رستم[١٣٤] ــ ومما زاد في الطين بلّة ، انه عندما توفي البطريرك يوسف حبيش سنة ١٨٤٥ واجتمع المطارنة في ميفوق لانتخاب خلف له ، مال أكثرهم الى المطران بولس مسعد . وكاد يفوز بالمقام البطريركي لولا تدخل الخوازنة والحاحهم بوجوب انتخاب المطران يوسف الخازن . ومما رواه جرجس بك صفا أيضاً أن البطريرك بولس بعد أن تبوأ العرش البطريركي رفض كل الرفض أن يرتدي الخلعة التي اعتاد الخوازنة أن يخلعوها على البطريرك . وكاد رفضه يؤدي الى أزمة طائفية لولا تدخل اصدقائه والحاحهم عليه بقبولها . ففعل مكرهاً وعلق الفروة على «السكيكة» دون أن يرتديها مرة واحدة طوال مدة رئاسته . ولا يغيب عن البال أن البطريرك سكت عن قيام الفلاحين على أسيادهم في كسروان قبيل الحركة الكبرى وانه طمع في حكم لبنان سنة ١٨٦٠ فكان ما كان ولم ينل ما توخّى» .

---

١٣٣ . يجب التذكير بما ورد في «المقاطعة الكسروانية» عن رفض المشايخ الخوازنة عن الاستمرار في التحريض ضد بشير احمد رافضين الاذعان لنصائحه . الحتوني ، المرجع السابق ، صفحة ٣٢٨ .

١٣٤ . الدكتور اسد رستم ، المرجع السابق ، ص ٣٠٠ ــ ٣٠١ .

ب ـ قال الشيخ اسعد بولس[١٣٥] : «وحدثت حركة بين أهل كسروان ومشايخهم بيت الخازن. لأن الفلاحين ابوا أن يعطوا المشايخ حاصلات أملاكهم، فضاقت الحيل ولا حكومة هنالك تضبط الأمور لأن الأمير بشير أحمد تعطلت احواله. وتوجه جماعة من المشايخ يريدون الاعتداء على البطريرك، لأن الحركة نسبت اليه. واجتمع رجال كسروان في بكركي وهاجوا على مشايخهم، اذ قصدوا الاعتداء على البطريرك الذي أصبح في موقف حرج. فأرسل ينبئ يوسف بك كرم بالواقع، وكان البك يومئذ في بيروت، ونحن بمعيته، فأمر للحال بالاستعداد وسار بنا الى الكرسي البطريركي ...».

ج. جاء في مذكرة رفعها يوسف كرم الى الكنيسة المقدسة وفرنسا[١٣٦] :

«... فتلافياً لهذه الأخطار، قد ندبني الكهنة والمشايخ والاعيان في المقاطعات الخمس الشمالية، ان امثل لدى البطريرك بولس مسعد، وارجو منه باسمهم وباسمي أن يستخدم سلطته، ويحكم في الخلاف الحاصل بين مشايخ كسروان واهليه، بموجب الشرائع الكنسية طبقاً لما كان يخوله من الحقوق، استقلال لبنان.

فسرت حتى بلغت الكرسي البطريركي، حيث وجدت جماعة من مشايخ ووجوه كسروان يسألون السيد البطريرك الحكم في أمر الخلاف الحاصل بينهم. فاغتنمت الفرصة السانحة، واعلنت لغبطته الغاية من رسالتي، ونبهت الحزبين الى الاخطار التي تهدد نصارى سوريا عموماً، وأوضحت لها عزم موارنة الشمال على دعوة الجميع الى توقير شرائع الكنيسة ومراعاة حقوق العباد، كي لا يتمكن أحد من تشويش الراحة. ثم رجوت من البطريرك أن يقول كلمته بشأن الحزبين، حتى اذا اتحدنا نستطيع أن نقاوم كل خطر يداهمنا من الخارج. فأجابني انه لا يقدر أن يقول شيئاً بهذا الخصوص... ثم عرفت بعد قليل ان الباشا (خورشيد) والأمير بشير أحمد أبي اللمع قائمقام النصارى يومئذ كانا قد اتفقا على إقناع المشايخ بأن يتخلّصوا من البطريرك اذا شاؤوا المحافظة على مراكزهم، وتهييج الاهلين على أن يتخلّصوا من المشايخ اذا ارادوا الحصول على حريتهم».

د. من رواية للدروز عن حوادث لبنان[١٣٧] : «لما انتخب المطران بولس مسعد بطريركاً... أخذ الأساقفة ... يجدّون في تقويض سيطرة اولئك الزعماء وتقليص ظل نفوذهم

---

١٣٥. الخوري اسطفان فريحة البشعلاني، لبنان ويوسف بك كرم، ط ٢، ١٩٧٨، ص ٢٥٤، نقلاً عن مذكرات اسعد بولس المخطوطة.

١٣٦. اوردها سمعان خازن في كتابه يوسف بك كرم قائمقام نصارى لبنان، مطبعة المرسلين اللبنانيين، ١٩٥٤، جونيه، ص ٦٩.

١٣٧. هذا جزء من عريضة سلمها مشايخ الدروز الى مراسل التيمس الخصوصي، وقد رفعها هذا الاخير الى اللورد روسل وزير خارجية انكلترة في ٥ أيلول ١٨٦٠. بمجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سوريا ولبنان، تعريب فيليب وفريد الخازن، المجلد الثاني مطبعة الصبر، جونيه ١٩١١ صفحة ٣٠٦ ٣٠٧.

والغاء حقوقهم ليقيموا مقامهم اشخاصاً يضربون على وترهم فيكونون آلات عمياء بيدهم . يؤيد ذلك ما فعلوه ببيت الخازن وبيت حبيش وغيرهم من أصحاب الاقطاعات اذ طردوهم واغتصبوا املاكهم واستبدلوهم بطانيوس شاهين وغيره ...» .

هـ — من تقرير القنصل الانجلزي العام مور الى اللورد جون روسل في ١٥ أيلول ١٨٥٩ :

«اني عطفاً على صورة رسالتي الى سعادة السير هنري بولفر المتقدمة في طيّه اتشرّف فأخبر سيادتكم ان فلاحي كسروان يعقدون الاجتماعات الآن بغية أن ينتخبوا زعيمهم المدعو طانيوس شاهين مديراً لشؤونهم تحت يد القائم مقام بصورة مستمرة بدلاً من المشايخ الخازنيين اصحاب الاقطاعية ورؤسائهم السابقين . ان طانيوس شاهين هو بيطار من قرية ريفون في كسروان حيث يوجد محل اصطياف للرهبان اللعازاريين الفرنسويين أصحاب مدرسة عينطورا الشهيرة . وهو منذ طرد المشايخ الخازنيين يتمتع بسلطة مطلقة لم يضع خورشيد باشا لها حداً . ويقدر أنه أمدّ بأموال مصدرها اجنبي ووطني والمرجح أن المصدر الأخير هو الاكليروس الماروني والروماني لأنه يساعد الثوار »[١٣٨] .

و — ما ذكره تشارلز تشرشل[١٣٩] : ان البطريرك الماروني بولس مسعد ، يتميّز «بكرهه للارستقراطية الاقطاعية وتعصّبه للعقائد الدينية الجامدة التي تدين بها طائفته» .

ز — تقريران من أرشيف البطريركية المارونية[١٤٠] : من جملة التقارير المتعلقة بحركة الفلاحين ثمة تقريران يشيران الى وجود اشاعات عن ضلوع البطريرك مسعد بمساعدة الفلاحين .

ففي التقرير الأول المرسل من الياس شحاده[١٤١] الى البطريرك مسعد ورد ما يلي : ... نسمع من الخارجين[١٤٢] اقوالهم ان هذا العمل جميعه (أي حركة الفلاحين) برأي غبطتكم والأهالي لا يعملوا عمل دون أمركم وذلك بتزايد الحال كما الحاصل ...»

وفي تقرير آخر مرسل من مجهول الى البطريرك مسعد[١٤٣] جاء ما يلي :

«حاوي خبر.

برجوعنا من عندكم سمعنا أحاديث تواتر بجبيل عن لسان المشايخ أنهم غير مخلصين الظن بغبطتكم وانهم مباشرين بعمل فتنة ضدكم مع أولاد طايفتكم وانهم اعرضوا لنيافة الحبر الاعظم

---

١٣٨. مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سوريا ولبنان ، تعريب فيليب وفريد الخازن ، المجلد الأول ، مطبعة الصبر ، جونيه ١٩١٠ ، صفحة ٣٧١ — ٣٧٢ .

١٣٩ Chrchill, Charles, the Druzes and the Maronites under Turkish rule from 1840 - 1860. London, 1862, p. 122.

١٤٠. ارشيف بكركي ، الملفات المتعلقة بالبطريرك بولس مسعد ، وسنكتفي من الآن وصاعداً باستعمال مصطلح ارشيف بكركي ، مع ذكر تاريخ الوثيقة اذا وجد .

١٤١. على الارجح انه من وجهاء جرود بلاد جبيل ، والتقرير مؤرخ في ٤ آب ١٨٥٩ .

١٤٢. ربما يقصد مشايخ آل الخازن

١٤٣. ارشيف بكركي ، ويبدو ان الوثيقة كتبت بعد ٢٣ ربيع آخر ١٢٧٦هـ . أي عام ١٨٥٩م .

ان مبدأ الحركة عليهم في كسروان وغير حركات في جبل لبنان مؤسسة منكم باتفاق سعادة الامير بشير احمد ومنتظرين الجواب منه ...»

ماذا نستنتج من هذه الكتابات التي تعود الى معاصرين للحركة ؟

١. ان البطريرك يكره المشايخ

٢. ان جذور هذا الكره يعود الى جوانب شخصية نفسية (حادثة والدته ورفض انتخابه عام ١٨٤٥)، واسباب تتصل بالتنافس على السلطة.

٣. ان البطريرك والاكليروس يدعمون حركة طانيوس على كافة المستويات وخاصة مالياً.

٤. ان المشايخ الخوازنة حاولوا الاعتداء بالضرب على البطريرك.

٥. احجام البطريرك عن اتخاذ موقف، عندما طلب منه يوسف كرم التدخل، كان بحد ذاته موقفاً مؤيداً لتحرك الفلاحين.

اذا استعملنا منهج الشك التاريخي بمجمل هذه الروايات ومهما كنا صارمين في عملية النقد، فما لا شك فيه أن تنوع مصادر الرواية، عن دور البطريرك، هو أمر لا يمكن انكاره. وان يقيننا يزداد في دور البطريركية اذا حللنا تطور موقف البطريرك في ضوء بعض وثائق البطريركية المارونية.

٢. سلطة البطريرك في الحركة كما تبرز من خلال وثائق بكركي:

اذا اعتمدنا التحديد الفيبري للسلطة، واذا اعتبرنا أن سلطة البطريرك هي، من هذا القبيل، سلطة تقليدية[١٤٤]. فماذا يفرض علينا هذا التحديد من اطر المعالجة ؟

انه يفترض أمرين: الأول وجود اطراف. ففي الحالة التي ندرسها هناك تيارات ذات أصول طبقية متنوعة تتراوح بين الفلاحين والحرفيين والمرابين والاكليروس وربما غيرهم، وكل هؤلاء يندرجون تحت شعار، يكاد يكون واحداً من خلال الوثائق: وكلا القرايا[١٤٥]، الوكيل العام[١٤٦]، أهالي القرايا[١٤٧].

وهناك المشايخ (الخوازنة، والحبيشيين، والدحادحة[١٤٨].

أما الطرف الذي ينتظر منه الفلاحون والمشايخ اعطاء الأوامر فكان البطريرك.

فكيف كانت اذن حركية موقف البطريرك خلال تطورات الازمة ؟ وكيف مارس سلطته

---

١٤٤. مع العلم أنه يوم ارتقائه الى السدة البطريركية (قام الشعب) بمظاهرات لم يسبق لها مثيل. وكثيراً ما هتفوا: فليحي بطريرك المساواة والحرية والعدل». الخوراسقف يوسف داغر، بطاركة الموارنة. المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٩، ص ٩٨.

١٤٥. من ٨٣ وكيلاً موقعاً على بيان استسلام (٢٩ تموز ١٨٦٠) كان هناك عشر قساوسة، ولا أقل من ثلاثة مرابين، و٣٢ موسراً. سميليا نسكايا، المرجع السابق صفحة ٢٢١.

١٤٦. عادة ما كان طانيوش شاهين.

١٤٧. الدقة العلمية تفرض علينا القول بأن هذه التسمية لم تقتصر فقط على مؤيدي الحركة.

١٤٨. الأكثرية الساحقة من الدراسات تتجاهل وجود المشايخ الحبيشيين والدحادحة في الحركة

باتجاه المشايخ من جهة وباتجاه الأهالي من جهة أخرى؟ وكيف كان يمارس تدخلاته بشؤون القرى الداخلية؟ ثم هل كان هناك موقع لطوائف اخرى في اطار معالجة احداث هذه الازمة؟ وأيضاً كيف تعاملت المراجع الرسمية الداخلية والخارجية مع مسعد بما يتفق واحترام سلطته؟..

هذه هي ابرز النقاط التي سنحاول التوقف عندها في هذا الجزء الأخير من بحثنا.

أ— **سلطة البطريرك باتجاه الأهالي**: لقد تراوحت مظاهر سلطة البطريرك مسعد باتجاه الأهالي بين اعطائه العلم والخبر بما يجري، وبين التشاور وتقديم مظاهر الخضوع، وبين ممارسة عملية التقرير من قبله.

١— **إعطاء العلم والخبر**: ان الاطلاع على ما يجري هو مرحلة لازمة من مراحل اتخاذ القرار وممارسة السلطة. وثمة العديد من التقارير التي قدمها الأهالي ووكلاؤهم الى البطريرك: فأهالي كفرذبيان يعرضون ما فعل المشايخ الخوازنة ببعض أهالي قريتهم[١٤٩]. وأهالي عرمون والجديدة يبلغون البطريرك أنهم سيجتمعون مع أهالي دلبتا وغسطا وشننعير للمداولة واعطاء الجواب حول موقفهم من الحركة، وعليه فقد «لزم بسطنا اعراضه لمسامع غبطتكم ليبقى كل شيء بشريف علمكم...[١٥٠]» وبعد الاجتماع يرسل الأهالي تقريراً بما قاموا به «... فعلى ذلك نحن أولادكم أهالي القرايا المدونة اسماءنا بذيل هذه العريضة قد صار اجتماعنا في قرية دلبتا في ١٦ الجاري وغب المداولة مع وكلاء كامل جمهورنا قد اتفق رأيهم حيث غبطتكم انوجدتم ريساً روحياً علينا نقدم لغبطتكم بهذه العريضة...[١٥١]». أما أهالي درعون فكتبوا للبطريرك «أيها الأب الاقدس. غب (لثم)[١٥٢] مواطي اقدام غبطتكم[١٥٣] بالوكالة عن أهالي درعون لجهة مأمورنا الشيخ ابو نوفل فكان جواب غبطتكم أن نبطل الهيجان وتعملوا على خاطرنا والآن بلغنا خبر بأن سعادته امر علينا بل مامورنا جناب الشيخ قنصوه تترجا غبطتكم تشملونا بنظركم حيث يأتي علينا مخاطر كلية وكل شي راجع لأمر غبطتكم ونكرر تقبيل مواطي اقدام غبطتكم[١٥٤]».

أما يعقوب البيطار وهو على ما يبدو، من زعماء التحرك، يرسل تقريراً عن مهمته في «قرايا الوادي» بالنسبة لدفع الضريبة «حسبما رسمتم[١٥٥]». بينما يقدم الياس خضر تقريراً عن اجتماعه بالشيخ كنعان بان الخازن حيث وافق المشايخ على القبول «بديوان الكومسيون»[١٥٦]. وبدوره

١٤٩. أرشيف بكركي، ١٨ ك١ ١٩٥٨.
١٥٠. ارشيف بكركي، ١٢ ك٢ ١٨٥٩.
١٥١. ارشيف بكركي، ١٧ ك٢ ١٨٥٩.
١٥٢. غير موجودة في الوثيقة.
١٥٣. هكذا كتبت في النص الأصلي للوثيقة.
١٥٤. ارشيف بكركي، ٧ أيار ١٨٥٩.
١٥٥. أرشيف بكركي، ٢٣ أيار ١٨٥٩.
١٥٦. أرشيف بكركي، ٢٩ أيار ١٨٥٩.

يرسل مسعد الى يعقوب البيطار علماً بأنه « ... وصل تحريركم وفهمنا كامل شرحكم عن سابق اجتهادكم بعمل الجمعية وتركيزها على شكل يرضي الباري ... » ثم يضيف « ... فابقوا اخبرونا عما يحصل معكم ويجد بما يلزم[١٥٧] ».

وفي اليوم نفسه يرسل يعقوب البيطار خبراً عن اجتماع وكلا قرايا الوادي وحضرة الابا كهنتهم مع طلب قرايا الساحل[١٥٨] . وفي اطار حملة التعبئة ضد تصرفات المشايخ يعرض أهالي كسروان للبطريرك حادثة ضرب تعرّض لها «مكارية عدد ٢ وهما منصور بطرس أبو انطوان من ريفون وبطرس طنوس من عجلتون» من قبل المشايخ رامح وحيدر الخازن في جهات لحفد ، وزربهما في دير ميفوق وضربهما من قبل رئيس الدير الأب القس اغناطيوس الخازن. «أقضى أعراضه لغبطتكم لكي تتبصروا بهذه القضية الكلية التعدي الظاهر»[١٥٩] .

وعندما يحاول سجعان العضيمه ضبط غلال المشايخ باسم البطريرك يطلب منه طانيوس شاهين الأمر الخطي فيجيب أنه اضاعه على الطريق ، ولما استطلع شاهين زلم العضيمة اخبروه أنه يفعل ذلك برأي كنعان بان وعبد الله خطار ، ويضيف شاهين، في تقريره للبطريرك ، «فغب ذلك اكراماً لخاطر غبطتكم ولأهله ولأهل القرايا الذين بالقرب اليه لم ردنا (تهزيره) ولا أخذ منه شي... هذا حدث بنا عارضينه لدى مراحم غبطتكم[١٦٠] .

ان التقارير للبطريرك لم تكن تتناول فقط عرضاً لمواقف الأهالي أو المشايخ أو الاحداث التي يمكن أن تقع ، وانما أيضاً كانت تطال التحركات العسكرية — اذا حصلت — من قبل الأرناؤوط أو من قبل الطوائف الاخرى. فهذه رسالة الى البطريرك : «نعرض أنه من بعد تقديم الاعراض لغبطتكم وقفنا مرسال طانيوس شاهين عن تسليم التحرير وحررنا له المقضي ان هذا العمل غير موافق بتوقف عن هذا العمل اوقف فجاوبنا الآن لا يتم الا بتسليم الكتابة واذ لم سلمناه الكتابة صباحاً يكون جمهور العسكر عندنا وتحريره واصل سراً.

اقتضى اعراضه نرجو تأمروا بما يحسن واذا حسن امرهم تامرون بتوقف عن هذا العمل والتدبير بحكمتكم والأمر لديكم الخياله والزلم نفروا منهم قدر ٣٠ على الجديده ودلبتا والفتوح وبك فيه اعتماد يتوجه غلافه الخياله الى ريفون[١٦١] .

٢. **الاستشارة ومظاهر الخضوع** : اذا كان البطريرك مسعد يتلقى باستمرار علماً وخبراً بما يجري في القرى ، فإنه أيضا يستشار وتقدم له مظاهر الطاعة والخضوع ، وهذا بالطبع مظهر من مظاهر سلطته.

---

١٥٧. أرشيف بكركي ، ١٤ تموز ١٨٥٩ .
١٥٨. ارشيف بكركي ، ١٤ تموز ١٨٥٩ .
١٥٩. أرشف بكركي ، لا تاريخ.
١٦٠. أرشيف بكركي ، لا تاريخ .
١٦١. أرشيف بكركي ، لا تاريخ ، من البديهي الاشارة الى ركاكة التعابير في هذه الوثيقة.

فبعدما اجتمع المشايخ الخوازنة في غوسطا — في مطلع الحركة — بادر أهالي الذوق بارسال «اعراض» يخبرونه فيه أن المشايخ «مرادهم يكبسونا بمحلاتنا ويسلبوا نعمتنا»، وهم بالتالي يتكلون على غبطته» مسترحمين من حنيتكم الأبوية أن تتبصروا بوقايتنا بما يقتضي حكمت طوباويتكم» وقد وقعوا الاعراض «عبيدكم أهالي ذوق مكايل»(١٦٢). ولما تجمهر المشايخ في الكرسي البطريركي أرسل أهالي كسروان رسالة الى غبطة البطريرك يطالبون فيها بترحيل المشايخ عن كرسي الطائفة وان وجود البطريرك هو وحده الذي يلجم الأهالي عن الهجوم(١٦٣). ويبدو أن بعض القرى تعرضت لضغط لكي تشارك في الحركة ومن هذه القرى (الجديدة، شننعير، دلبتا، عرامون، غوسطا) فاستجارت بالبطريرك لكي يساعدها في موقفها «... الآن وحيث نحن أولادكم من البداية مسلمين حالنا لغبطتكم حتى الدم وما صار منا تهيج ولا خلل لزم اعراضنا لساحة مراحمكم وتشكّي امرنا...»(١٦٤). وفي الوقت الذي تستجير هذه القرى بالبطريرك لعدم زجها في الحركة، يجتمع مسعد مع طانيوش شاهين:

«... وذاكرين أن نحضر للثم مواطي اقدام غبطته فإن وفق الباري نكون صباحاً عنده»(١٦٥). وثمة العشرات من الرسائل المقدمة من وكلا القرايا تؤكد طاعتها لسلطة البطريرك:

«... بل كل وقت طايعين لأوامركم ولأوامر الدولة العلية صانها رب البرية هذا ما اقتضى اعراضه وما يحسن لديكم افيدوا به لأن جميع جمهورنا خاضع لكما ترسمون به ولا نبرح من جزيل الدعا...»(١٦٦). وفي رسالة من أهالي عشقوت للبطريرك: «... نحن قابلون نصايحكم وأوامركم السابقة لحد الآن لنا بأن لا نسعى بالشر والمضمرة لأحد...»(١٦٧) وفي رسالة أخرى لا تاريخ لها(١٦٨). يشير أهالي كسروان الى اجتماع وكلا القرايا الخمس في ريفون مع بعض الآباء المرسلين من قبل البطريرك» للمصالحة والمسالمة مع جناب المشايخ بني خازن»، فيبدي الوكلا ارادتهم بالمصالحة وان أهل الخازن هم الرافضون «... والآن غب اجتماعنا بمقتضى امركم قد صار تعميم افكارنا برضانا الجميع بتسليم ارادتنا واطاعتنا بكل خضوع لأمركم وبه بتجشم من كريم اخلاقكم المنازلة بقبول معروضنا بهذا المحضر...»(١٦٩). وازاء المصاعب التي يواجهها بعض أهالي القرى(١٧٠). ومن جراء الخلافات الناشبة، فيقررون الاجتماع على روح المحبة

---

١٦٢. أرشيف بكركي، ١٠ ك١ ١٨٥٨.
١٦٣. أرشيف بكركي، ٣٠ ك٢ ١٨٥٩.
١٦٤. أرشيف بكركي، ١٩ أيار ١٨٥٩.
١٦٥. أرشيف بكركي، ١٥ حزيران ١٨٥٩، رسالة من طانيوس شاهين لأهالي الزوق.
١٦٦. أرشيف بكركي، ٢٢ حزيران ١٨٥٩ رسالة من وكلا قرايا كسروان الى مسعد.
١٦٧. أرشيف بكركي، ١٤ تموز ١٨٥٩.
١٦٨. نرجح انها تعود الى شهر تموز ١٨٥٩.
١٦٩. أرشيف بكركي، من أهالي كسروان الى البطريرك.
١٧٠. ريفون غادير، جعيتا، بلونه، داريا، عجلتون، عشقوت، بقعاته عشقوت، القليعات، مزرعة كفرذبيان.

«وتحايد كافة الأسباب المقلقة»، «ومن كون أن راحة أولادكم هي من خصوصيات غبطتكم فوجب الأمر لتقدمة اعراض ذلك لطوباويتكم ليكن ذلك بشريف مسامع الغبطة حتى اذا الآن تأمروا بما هو آيل لخير أولادكم المظلومين ...»[١٧١] — كما أن أهالي قرى اخرى[١٧٢]. ينتظرون صدور «ونفوذ امر» البطريرك للمداولة في سبب تشكيات ومطاليب القرى الاخرى[١٧٣].

٣. السلطة التقريرية للبطريرك:

إن سلطة مسعد، في حركة كسروان، لا تظهر فقط في أخذ العلم والخبر بما يجري، ولا في تقبل مظاهر الخضوع من الأهالي، وانما هي تتجلى خاصة باعطائه الاوامر للأهالي ووكلائهم فيما يتعلق بكيفية اتجاهات الازمة واحتمالات الحلول المطروحة لها.

ففي ٦ أيار ١٨٥٩ يرسل أهالي عشقوت الى البطريرك الرسالة التالية[١٧٤]: «غب قبلة مواطي اقدام غبطتكم الطاهرة بكل توقير واحترام ثم نعرض حسبما امرته لأحد وكلانا باخوس بأن نجري المصالحة مع جناب المشايخ وهذا النهار وصل لنا علم من جناب الشيخ كنعان بأن الخازن لنحضر عنده فحضر كام نفر عنده وخاطبهم بهذه المصالحة بأن يباشروا في المصالحة بين جنابهم والأهالي وأن يمر علينا بعشقوت نهار بكره الجمعة ونذهب معه لعجلتون وان اذا باقية القرايا لم رادت في الصلح يقبلوا في مصالحة عشقوت فقط قصدنا اعراضه لقدسكم ليكون كل شي بأمركم حيث ماكدين خاطركم ونكرر قبلة مواطي أقدامكم للدوام». ويبدو أن البطريرك أوعز الى القرايا بالرد على طروحات وضعها، فيكتب له الياس نصر: «غب لثم ايديكم الكرام والدعا بحفظ وجود جنابكم للدوام. المعروض أنه بحسب امركم وجهنا الكتابة الى القرايا وحضر لنا جواب عنهم ان مرادهم الاجتماع وتصير المذاكرة ومثلما تحصل المداولة يصير الجواب اقتضى اعراضه لجنابكم ...»[١٧٥].

وإذا ظهر في بعض الأحيان من طانيوس شاهين بوادر استقلالية في التحرك، ومحاولات التلطي وراء مواقف الوكلا والأهالي لتأجيل البت بأوامر قد يكون تلقاها من البطريرك[١٧٦]. فإننا نلاحظ بوضوح وجود العديد من الوثائق التي تؤكد خضوع شاهين لتوجيهات مسعد. ففي ١٢ حزيران ١٨٥٩[١٧٧] يرسل الاميكو[١٧٨] الى البطريرك الرسالة التالية: «... وطرحوا

١٧١. أرشيف بكركي، لا تاريخ.
١٧٢. أرشيف وعرامون والجديدة ودلبتا وساحل علما ودرعون وغوسطا.
١٧٣. أرشيف بكركي، لا تاريخ.
١٧٤. أرشيف بكركي، ٦ أيار ١٨٥٩.
١٧٥. أرشيف بكركي، ٢٣ أيار ١٨٥٩.
١٧٦. أرشيف بكركي، على سبيل المثال لا الحصر الوثائق المؤرخة في ٣ آذار ١٨٥٩، و٦ اذار سنة ١٨٥٩.
١٧٧. أرشيف بكركي، من طانيوس شاهين الى البطريرك مسعد.
١٧٨. هذا اللقب لطانيوس شاهين ورد في العديد من الرسائل المتبادلة بينه وبين البطريرك ورجال الإكليروس.

الصوت فابتدت الناس تتراكم وتتجمع الى أن بلغت نحو ألف نفر وتم العمل والغاية الذي في عقولهم وبلغ الجمهور الى قلعة معراب بكل اعتنا واجتهاد وامتثالاً لأمر غبطتكم قد رجعناه مخالف ولم حصل منه شي مضر ولا اسطى على احد فالله يوقينا بواسطة دعا غبطتكم من الأشيا الاعظم فربما قريب تحدث بسبب ما هو متظاهر من آل الخازن وغيره والبعض صف وكلا جمهورنا يقول ان وقوع البلا اهون من استنظاره ... » . ثم بعد ذلك بيومين يرسل رسالة ثانية : «... نعرض أنه بتاريخه تشرفنا بورود مرسوم غبطتكم الشريف وقد قدمنا جزيل الحمد للمولى العليم (لاجارتنا) عام انشراح الخاطر وبه (راسمون) ان ترسل لوكلا القرى المرسوم الواصل فحالاً (ياورنا) بارساله بدون تأخر البتة قدام رسولكم ارسلناه والباين نحن لسنا مطلوبين بموجب مرسومكم[١٧٩] » . ورداً على ارسال البطريرك أحد مطارنته طالباً من شاهين «تخميد الهيجان» ، يجيب شاهين[١٨٠] : «... نعرض انه حال ما تشرفنا بأمر غبطتكم بلسان قدس سيدنا رسولكم المطران بطرس البستاني الكلي الشرف والجزيل الاحترام المشتمل النصح لولدكم هذا بتخميد الهيجان والدخول في نير الاطاعة لدولتنا العلية وغب المفاوضة الكافية مع سيادته اعرضنا لديه انه بهذا النهار يحضروا عندنا كافة الوكلا ونفهمهم أمر غبطتكم والذي يقر عليه الرأي نقدم عرض حاله لدى سدت غبطتكم ... فحال ذلك أفهمنا الوكلا الموجودين ان هذا النهار يجتمعوا مع بعضهم ويقدموا عرض حال لدى سعادت أفندم كاخية مشيرية ايالت صيدا المعظم واننا متوجهين على الوجه المشروع وانصرفنا من هذه الجهات لبيروت خاضعين لأمر غبطتكم والآن اقتضى اعراضه مسترحمين من شفقة ابوكم وحنون غبطتكم بألا تهملونا من عنايتكم . هذا ما وجب اعراضه وبكل الوجوه نحن وأولادكم اخوتنا الوكلا وكافة الطايفة ليس لنا غوثاً وملجا بعد الله سوى غبطتكم» .

وسلطة البطريرك لها الأولوية على سلطة امراء البلاد ، بالنسبة لوكلا القرايا ، فلا استجابة لأوامرهم قبل الاذن والقرار من غبطته . فرداً على الدعوة من قبل الامرا بأن ترسل القرى وكيل أو تنين ونفرين أو ثلاثة من أوجه القرية الى ذوق مكايل «لكي تتلى عليهم البلورودە الشريفة وحيث غبطتكم راسمين ان لا احد يبدأ بعمل ونكون متربصين في أماكنا ...» «ونحن موقفين تحت أمر غبطتكم نرجا بجواب بما يشاهده الخاطر الشريف ...[١٨١] » . والبطريرك بدوره يرسل الى وكلا القرى توجيهات بمثابة قرارات : «بعد الشوق . انه قبلاً حضر البعض منكم لدينا وافهمناهم أن يكونوا مستكنين ومتحايدين اسباب السجس وأن يفهموا الجميع بأن يتجنبوا ذلك ولا يبدي احد شيئاً يوجب القلق والفتنة والآن موجهون حضرة ولدنا الخوري بطرس منصور القاضي الاكرم بهذا الخصوص عينه ليأكد عليكم وعلى الجميع باجتناب اسباب

---

١٧٩. أرشيف بكركي ، ١٤ حزيران ١٨٥٩ .
١٨٠. أرشيف بكركي ، لا تاريخ وانما المرجع حزيران ١٨٥٩ .
١٨١. أرشيف بكركي ١٧ حزيران ١٨٥٩ من وكلا وأهالي قرايا كسروان الى البطريرك .

الخصومات والابتعاد عن الهيجان والمقالات وكل شيء يوصل الى ما لا يلايم. فاقتبلوا هذه النصايح ولا تسعوا بما يمكنه أن يضر وهذا كاف لحسن طاعتكم وانقيادكم لأوامرنا والبركة الرسولية »[182].

وإذا ما قصر وكلا القرى عن ضبط الاوضاع في قراهم قدموا الطلب الى البطريرك ليساعدهم في ذلك. فوكلا مزرعة كفرذبيان يطلبون من البطريرك «ليصدر أمركم بالحد» من «رزالات موسى عجيز وفارس ابو حسن ومنصور بو طوبيا صقر وابن عبود ابو شاهين»[183].
وبعد تحرك قنصل فرنسا باتجاه وضع حد للحركة كتب أهالي كسروان للبطريرك: «... وبهذه المدة القريبة ما تركنا استعمال الوسايط الفعالة لوضع نهاية لهذه القضية حسب رسم غبطتكم بل قد سعينا بشريف علوم غبطتكم لحصول المسالمة »[184]. كما كتبوا للقنصل الفرنسي: «... غب استعطاف شريف الخاطر نعرض ان غبطة قدس السيد البطريرك ماري بولس الكلي الطوبى قد صدر امره الكريم باستدعاينا نحن عبيد دولتكم وكلا مقاطعة اهالي كسروان وقد تلي علينا كتابة سعادتكم له...»[185].

إن سلطة البطريرك باتجاه الأهالي تبدو كأنها ذات جذور راسخة.. وبالرغم من استعمال مصطلحات «الجمهور» واجتماعات الوكلاء وما اليها، فإن الشرعية الدينية التي يتمتع بها البطريرك لها قوة المرجعية والقرار. فحركة كسروان من هذا القبيل، لم ترسخ بشكل فعّال، تقاليد «الارادة الشعبية» الرافضة لسلطة الاقطاع والمذبح، مستبدلة اياها بسلطة الشعب المتشكل من مواطنين لا من رعايا. انه المجتمع الذي تطغى عليه ملامح العلاقات الدينية باشكالها التي لم تحسم بعد مسألة فصل الدين عن السياسة.

ب. سلطة البطريرك باتجاه المشايخ:

ان تحليلاً عاماً لموقف البطريرك باتجاه المشايخ يحملنا على الاستنتاج بأنه لم يعتمد ازاءهم سياسة القطع والمجابهة المكشوفة، بل اعتمد سياسة الانهاك والتوجيه والاحتواء. بين تطويع المشايخ واذلالهم مسافة حرص مسعد على أن تظل قائمة. ان الذين عارضوا باستعلاء عام ١٨٤٥ انتخابه بطريركاً — مستعملين لذلك قوة السلاح —، والذين تمردوا على تحذيراته من علاقاتهم مع «الانجليز البروتستانت»، والذين رفضوا الرضوخ لانذاره بعدم معارضة «بشير أحمد»، يستعطفونه للعودة الى بيوتهم ولابقائهم احياء.

---

١٨٢. أرشيف بكركي، لا تاريخ (الارجح أواخر حزيران ١٨٥٩) وهي من البطريرك الى وكلا القرى.
١٨٣. أرشيف بكركي، ٢ تموز ١٨٥٩.
١٨٣. أرشيف بكركي، ١٥ ك٢ ١٨٦٠.
١٨٥. أرشيف بكركي، ١٩ ك٢ ١٨٦٠.

وان التحليل المستند الى الوثائق يبرز أن هدف البطريرك لم يكن القضاء على سلطة المشايخ على نحو شامل ، بقدر ما كان الهدف الحاقهم بمشروع سلطته الصاعدة التي كان يسعى لترسيخها . انه مشروع تهميش لسلطة الاقطاع ، وضبط وتطويع لما يمكن أن يشكل السلطة الشعبية في آن . وهو في كل حال مشروع انبعاث الطائفة — الإمة التي تستمد سلطتها من مشروعية التقاليد الدينية الماضوية .

كيف تبرز ، من خلال الوثائق ، ظاهرة رضوخ المشايخ لسلطة البطريرك؟

في ١٢ ك[١] ١٨٥٨ يعرض المشايخ في صفحتين تصورهم لتطور الاحداث منذ بدايتها ويخلصون الى القبول بحلول وسطى «حيث ارتباطنا بموجب مقتضى الديانة بنير الاطاعة والابتعاد عن كلما يكون مخالفاً لرسوم ديانتنا ...» ويؤكدون خضوعهم للبطريرك «... والحال على هذا المنوال قصدنا اعراضه لديكم ليكون كل شي بشريف علمكم وتأمروا بما يشاء خاطركم»[١٨٦] .

وعندما شعر المشايخ الخازنيون ان رد فعل البطريرك لم يكن بالحسم الذي كانوا ينتظرونه الى جانبهم ، بدا أن البعض منهم أخذ يتحرك بمواجهة البطريرك أيضاً ، الأمر الذي زاد في تأزم وضعهم من هنا مبادرة ١٢ من وجهاء آل الخازن الى وضع اختامهم على رسالة يؤكدون فيها عدم ذمهم أو تشكيهم على البطريرك لا لروما ولا لأحد الدول العظام[١٨٧] . «ونثبت قولنا بالنفي عما ذكر بقسم وهو أنه قسماً بالله العظيم وسيدتنا مريم العذراء والدت[١٨٨] الاله بأن ليسنا واضعين اسمأينا ولا اختامنا بمغروض تشكي ومذمه بغبطته كما ذكر...»

في ٥ نوار ١٨٥٩ يحاول الشيخ كنعان الخازن — بتوجه ذكي من المشايخ — الوصول الى حل مع وكلا عشقوة[١٨٩] . لما في ذلك من مدلولات وانعكاسات على صعيد المنطقة عامة (كونها مسقط رأس البطريرك). «وبالاختصار هذا النهار حضر وكلاهم لعندنا وأوضحوا لنا رغبتهم بذلك وخصوصاً حيث أنهم فاهمين ان ذلك مما يشرح خاطركم ومن نحونا وان نكن محققين ان هذا مشرب طبعكم الباهر كان مرادنا نرسل أحد ابنا عمنا ليعرض لديكم لتكون كافة اعمالنا متايدة بالنفي (؟) نظركم الشريف ومن كون طبعنا مايل لسرعة نفود الأمور والأمور الخيرية لا يقتضي الاهمال بها فاكتفينا بتقدمة هذا الاعراض حتى اذا كان مقتضى نوع من الانواع تامرو به ليكون السلوك بموجبه ...»[١٩٠] .

رداً على محاولات التقارب مع البطريرك يبدو أنه حصل تصعيد من قبل الأهالي في هذه الاثناء :

---

١٨٦. أرشيف بكركي ، ١٢ ك[١] ١٨٥٨ ، رسالة من المشايخ الخوازنة الى البطريرك .
١٨٧. أرشيف بكركي ١١ آذار ١٨٥٩ .
١٨٨. هكذا كتبت في الوثيقة .
١٨٩. هكذا كتبت في الوثيقة .
١٩٠. أرشيف بكركي ، ٥ نوار ١٨٥٩ ، من الشيخ كنعان الخازن الى البطريرك .

« نعرض لغبطتكم حضر نهار الثلاثا الواقع ١٧ نوار أهالي بقعتوتا وأفهمونا بأننا نقوم من بيوتنا نحن وعيالنا وانما قمنا والا يحضروا أهالي القرايا والوكلا ويقيمونا جبراً . فصرنا في حيرة فإن دشرنا بيوتنا وقزوزنا هذا عين الخراب ... نرجوكم اذا لاق وكان لكم امكان بطفي هذه المادة بالذي يحسن ان كان بحرم أم بتهديد من قبل الحكم ... والذي يقول له علينا دعوى بشي ان كان كلي أم جزئي ندفع له اياه عن يد غبطتكم وكفلونا بذلك ... [191] » . ويبدو أن التصعيد طال النساء من آل الخازن . فحرمة الياس شيبان الخازن تطلب من البطريرك اعطاءها مرسوماً لوكلا عجلتون لكي لا يتعارضوها اذا حاولت الاصطياف هناك[192] .

وعندما يعرض منصور الخازن ظروف نهب منزل شقيقه للبطريرك من قبل أهالي ريفون يستطرد « نحن بخاطركم بأي نوع تأمرونا به ... اذ حسن تأمروا بالذي يشاء خاطركم ونحن مستعدين لنفوذ أمركم ... وعلى كل حال غبطتكم ملزومين بنا ... »[193] . ويذكر حنا نقولا الخازن بأوضاعه : « ... نعرض أنه قبلاً قدمنا الاعراض لغبطتكم لجهت الأواعي الماخوزة منا والدراهم بفيطرون أمرتم بمرسوم لحضرة الأب الخوري انطون فيطرون واعتزر بأن حاصل له تشويش ... نرجو أن يصدر أمركم الى نصار (من فيطرون) يسلم البارودي ... وكلشي راجع لأمركم ... »[194] .

اذن سلطة البطريرك تطال مسألة استعادة ما نهب من المنازل واداة التنفيذ أحد الكهنة . وفي هذا السياق يعرض الشيخ فارس ضاهر الخازن ضبط القمح والارزاق من قبل اهالي بقعتوتا والمزرعة وفاريا ... « قصدنا بسط اعراضنا مع وفور غيرتكم الابوية وكبر املنا تفيدونا بما يحسن ويا ليتك تعملوا الجهد ولا تدعوا المادة تتعاظم أكثر ... »[195] .

ان التعديات لم تطل فقط المشايخ الخوازنة وانما طالت ايضاً المشايخ الدحادحة والحبيشيين . فرعي الدحداح يشكو من استمرار التعدي عليه ويلتمس المساعدة من البطريرك : « فنترجا مراحمكم تكرار التعديد والتحريس التام وحضرة الأب الخوري مخايل ابو صعب افهمهم بالكفاية ان هذا التعدي هو مضادد جداً لرأفتكم ... »[196] ، ثم يعود فيكرر التماسه : « ... فاقتضى واضعين كتابتنا لهم في طيه تنظروها غبطتكم ونترجا مراحمكم تأمروا بارسالها الى طنوس شاهين مع الأمر الذي يحسن بأمركم بقيام هذا الجمهور الذي عمال يتظاهر برداوه كلية بضد الكتاب المرسول الى وكلا الكفور ونلتمس من غيرتكم الابوية تخلصونا من هذه

---

١٩١. أرشيف بكركي ١٩ نوار ١٨٥٩ .
١٩٢. أرشيف بكركي ١٩ حزيران ١٨٥٩ .
١٩٣. أرشيف بكركي ٢٤ حزيران ١٨٥٩ .
١٩٤. أرشيف بكركي ، ٤ آب ١٨٥٩ .
١٩٥. أرشيف بكركي ، ٨ آب ١٨٥٩ .
١٩٦. أرشيف بكركي ، ٢٦ آب ١٨٥٩ .

الورطة»[197]. ويبدو أن المؤيدين لشاهين كانوا قد اجبروا مرعي الدحداح على دفع كمبيالة بـ ٨ آلاف غرش[198].

من جهة أخرى يتقدم أهالي غزير بطلب الى البطريرك للتدخل «راجين صدور الامر المقتضى بترجيع البارودة...» التي أخذها «الثوار» من منزل الشيخ عفيف حبيش[199] ؛ كما أن منصور سلوم الدحداح يطلب التدخل من البطريرك رداً على تسلط حنا معوض من يحشوش (الذي كان خادمه). «وحيث ان غبطتكم لكم الحنو والرأفة علينا ولم نرى اقرب منكم لأفعال الرحمة لنقصده لزم قرعنا باب حنوكم لتنقدونا من هذا القاسي الجاهل واحزابه في الوجه الذي تروه موافق لراحة النفس والجسم... لأن غبطتكم مجبورين للمحاماة عنا وعمن هو مثلنا ما له قوة ولا عضد ولا ملجا سواكم...»[200].

إذا كانت لهجة المشايخ، في اغلب الرسائل التي المحنا اليها، تتصف بمنحى استعطافي، فإن رسائل اخرى — ولو قليلة — تحمل اتهاماً ضمنياً للموقف المتقاعس من قبل البطريرك على المبادرة بحل المشكلة. فالشيخ عباس شيبان الخازن يختم رسالة مطولة للبطريرك بما يلي:

«... يظهر لدى حكمتكم وغيرتكم كم هو ضروري ان تسرعوا في التشريف ولو كنتم لا سمح (الله) باغراف المزاج واعراضنا هذا هو عن روح مخصوصيتنا بغبطتكم ولهذا نتجاسر ونعرض انه حاصل الظن من عموم الناس ان تأخير تشريفكم ناتج عن عدم اكتراث. واما أكثر العقلا مفسرين ان تأخير تشريفكم هو حتى يصير وضع العلاج بمحلاته، غير ان الحال حاصل بخلاف لأن من تأخير تشريفكم عمال يتزايد الهيجان ساعة بساعة واتصل لخطر الخراب كما اعرضنا...»[201].

اذا كان الحاح المشايخ مستمراً للتدخل من قبل البطريرك، فإن الباحث في ارشيف البطريركية يلاحظ وجود ثغرات عديدة في أجوبة البطريرك. فأين هي هذه الأجوبة؟ هل فقدت في فترة مسؤولية البطريرك — مع ما عرف عنه من الحرص على تنظيم ارشيف ومكتبة البطريركية؟[202]، أم أنها فقدت في الفترات اللاحقة؟ أم أننا لم نستطع الاطلاع عليها؟ ومع امكانية ورود كل هذه الاحتمالات فإن هناك رسائل قليلة توضح الى حد كبير سياسة الترقب والتسويف التي انتهجها.

---

١٩٧. أرشيف بكركي ٢ أيلول ١٨٥٩.
١٩٨. أرشيف بكركي ٢٤ آب ١٨٥٩.
١٩٩. أرشيف بكركي بدون تاريخ.
٢٠٠. أرشيف بكركي ١٤ أيلول ١٨٥٩.
٢٠١. أرشيف بكركي بودن تاريخ.
٢٠٢. ذكر المنجد، لويس معلوف، المطبعة الكاثوليكية، ط ١٩٥٦، ص ٤٩٧ ان مسعد هو الذي أسس مكتبة بكركي، كما أنه ترك ثلاثة مجلدات لفهارس السجلات البطريركية (محفوظ نسخة عنها في ارشيف الكريم).

في ١٤ ك١ ١٨٥٨ يرسل البطريرك إلى المشايخ الخوازنة رسالة يشير فيها الى ان ما حصل «قد أولانا غماً لا يوصف ولا يقدر لأنه فضلاً عن مزيد ميلنا ورغبتنا في حفظ شرفكم وشأنكم واعتباركم ... فلا يهون علينا أبداً أن نسمع بوقوع أدنى حادث نواحيكم مما يكدر أو يوجب القلق».

ثم يخلص الى القول: «فالملحوظ من حسن شيمكم أن تتخذوا الأشيا بالاتساع والمعروف المفطور علية طبعكم وبذلك وبحسن درايتكم تزول هذه الغيوم وينقاد جميع المذكورين الى ما به خاطركم كما هو مرغوبنا من صميم القلب»[٢٠٣].

وفي رسالة أخرى الى الشيخ فارس ضاهر الخازن يؤكد غبطته أنه «قد تعبنا جهدنا وما تركنا شيأ مما أمكن للاشاة هذه البواعث ولترجيع الحال الى أصله». وما حدث «مصعب علينا التي الذي جرى وكم عذب افكارنا وجرح فؤادنا»، ثم يشير الى «ان مساعيه للمصالحة ذهبت سدى[٢٠٤]».

ويرسل الى أهالي عشقوت رسالة[٢٠٥] يؤيد فيها ما ورد على لسان وكيل القرية باخس بأن البطريرك مع «اجرا الصلح» فمنذ «الابتدا للآن قد بذلنا ولم نزل باذلين غاية الجهد باجراء الصلح وازالة هذه البواعث وقد صدر أمرنا مزاراً ليس فقط لولدنا باخس المذكور بل للجميع باجرا الصلح ونهاية هذه الامور الحاصلة على كل سلامة فيلزم ان كلا منكم يهتم بقضية الصلح هذه ويرفع كل باعث لأن هذا هو خاطرنا من الابتدا للآن كما لا يخفاكم».

ج. سلطة البطريرك تتدخل في الشؤون الداخلية للقرى:

إذا كان من المسلم به، تقليدياً، ان الاكليروس برئاسة البطريرك كان هو القيم على كل ما يتعلق بشؤون الاحوال الشخصية للناس، فإننا نلاحظ ان البطريرك مسعد، ابّان حركة كسروان — وبالطبع قبلها وبعدها — كان هو المرجع في العديد من القضايا التي اشكلت على قيادة الحركة. وانّنا نلاحظ — خاصة من خلال رسائل طانيوس شاهين له — ان سلطة البطريرك كانت أعلى — تطبيقياً وميدانياً — من سلطته.

ففي ٢١ أيار ١٨٥٩ يرسل شاهين تقريراً الى البطريرك يطلعه فيه على امتناع أهالي الوادي عن دفع الضريبة الى محمد بك السقعان[٢٠٦]، ويبدو من خلال العرض تأفف شاهين من هذا الموقف. ومن شبه الأكيد ان هدف شاهين هو محاولة استقطاب البطريرك ليضغط على الأهالي من أجل دفع الضريبة:

---

٢٠٣. أرشيف بكركي، ١٤ ك١ ١٩٥٨.

٢٠٤. أرشيف بكركي، ١٠ آب ١٨٥٩.

٢٠٥. أرشيف بكركي، ٩ أيار ١٨٥٩.

٢٠٦. من الارجح انه كان ملتزم بجمع الضرائب للدولة العثمانية.

وفي ١٤ آب ١٨٥٩ يعرض شاهين للبطريرك خلاف أهالي عجلتون وأهالي فيطرون على بارودة وزنار ربما تكون لأحد المشايخ، ويضيف:

«نترجا غبطتكم بصدور أمر كي يسلمونا أواعي حنا المرقوم...» وفي نهاية الرسالة: «واصل تحارير عدد ٣ ان شاء خاطر غبطتكم الاطلاع عليهم ويصدر أمركم... [٢٠٧]».

من هذه الوثيقة يمكن استنتاج عدة ملاحظات:

- ان سلطة شاهين لم تكن تتمتع باجهزة تنفيذية. فهو لا يستطيع أن يصادر «بارودة وزناراً» من منطقة قريبة من مركز تحركه (ريفون).
- ان سلطة البطريرك هي السلطة العليا، حتى في المجال التنفيذي، وهذا ما يقر به شاهين.
- ان هناك مراسلات مستمرة بين شاهين والبطريرك.
- ان البطريرك يعطي اوامر في ما يعرض له شاهين من قضايا.
- إن شكل العبارات المستعملة لا تنم عن موقف حذر، أو بالاحرى لا تنم عن معارضة واضحة من قبل البطريرك للتحرّك الذي يقوم به «الاميكو». بل بالعكس هناك ما يحمل على الظن بوجود تفاهم ضمني وربما تنسيق فعلي على الصعيدين النظري والتنفيذي للتحرك.

حتى في استحقاق السندات وشؤون البذار كان هناك تدخلات من قبل البطريرك. ففي ٢٦ آب ١٨٥٩ يعلم مرعي الدحداح البطريرك بأنه قد استحق سند له على أولاد عمه ضاهر وجرجس بقيمة ٣٦٠٠ قرش في ٣١ الجاري. «نبقا نرسل لغبطتكم السند ونستورد المبلغ» [٢٠٨]. وفي ١٥ آب ١٨٥٩ يرسل شاهين الى البطريرك رسالة جاء فيها[٢٠٩] «ونحن جاوبنا الأب الرئيس (لمار شليطا) بأن حيث غبطتكم رب الوقف يطيلع لنا أمر من غبطتكم كي نسلمه مطلوبه من البدار والآن مقدمين معروضنا هذا لمواطي مسامعكم فالذي يصدر امركم فيه يكون العمل...» [٢١٠].

لئن كنا قد أشرنا باستمرار الى شمولية السلطة التي يتمتع بها البطريرك ضمن الطائفة وحتى في اطار الحركة، فلا يجب أن نخفي جانباً ملفتاً من الوقائع. فالموضوعية تقضي علينا بالاشارة الى وجود تيارات، ولو هامشية، في الحركة اتخذت طابعاً جذرياً يرفض — على ما يبدو — سلطة الاكليروس. فالخوري بولس الأشقر يرسل الى البطريرك تقريراً يخبره فيه ان يوسف حبالين مع عشرين نفر امر «بأن نقوم من الضيعة وانهم لا يقبلونا». وعرضه لهذه الحادثة «لكي تأمروا ان

---

٢٠٧. أرشيف بكركي، ١٤ آب ١٨٥٩.
٢٠٨. أرشيف بكركي، ٢٦ آب ١٨٥٩.
٢٠٩. يبدو أن خط هذه الوثيقة مغاير لخط الوثائق الاخرى الممهورة بامضاء أو بختم طانيوس شاهين.
٢١٠. أرشيف بكركي، ١٥ آب ١٨٥٩.

توجه بجلاله (؟) وكل شي راجع لأمركم». وان حبالين قال للخوري الاشقر عندما ذكره بالاجرة : «الذي جابك الى الضيعة هو يعطيك نحن لا ندفع»[٢١١].

د. مشروع الحل المقدم من بكركي يمثل التوازن المتوافق مع سلطة البطريرك :

بعد مفاوضات مطوّلة، وبعد تدخلات كان ابرزها، ضغط القنصل الفرنسي، بادرت البطريركية الى وضع مشروع حل[٢١٢]. للخلاف بين الفلاحين والمشايخ. هذا الحل يتألف من ستة بنود[٢١٣] وابرز ما جاء فيها : ان حل الدعاوى (جنائية ومالية وحقوقية) بين الأهالي والمشايخ يتم في مجلس القايمقامية أو في ديوان كومسيون مركب من اعضا يعينهم الفريقان. مع الغاء العيديات ورسم النكاح ومال ويركو المشايخ ومشاعية اراضي جرد كسروان للجميع. ثم ان القائمقام ينصب ثلاثة فقط من آل الخازن (واحد من كل جب)، شرط ان يتمتعوا بالذمة والمعرفة والاستقامة والعدل. وهناك امكانية للعزل في حال الخلل. اما باقي افراد العائلة فلا تدخل لهم مع الأهالي، مع وجوب ضبط النواحي العدلية، وعدم السخرة وما اليها من وجوب مراعاة المشايخ «ظروف التمدن الحاضرة وشرايط الانسانية الواجبة...».

أما البند السادس من «لايحة الاتفاق بين المشايخ والفلاحين» فقد نص على ما يلي :

«بند سادس : ان هذه اللايحة من واجب الضرورة ان تحرر اربع نسخ وتنختم من وكلا المشايخ بيت الخازن ومن وكلا الأهالي أيضا ويتصادق عليها من قدس السيد البطريرك الكلي الطوبى ومن ديوانه المؤلف بهذا الخصوص من السادة المطارنة شهادة على ما ذكر فيها لتكون دستور العمل. وغب ذلك فنسخة منها تبقى محفوظة في خزنة الكرسي البطريركي ونسخة تتقدم لسعادة القايمقام ونسخة تحفظ عند المأمورين ونسخة تحفظ عند وكلا الأهالي».

ان هذا الحل جاء يعكس موازين القوى الفعلية في الحركة. فالأهالي لم يطرحوا منذ البدء مشروع سلطة شعبية تنبثق من الارادة العامة لـ «الجمهور»، وانما كان برنامجهم يتصف، بشكل عام، بالطابع الإصلاحي الذي يحاول أن يخفف من ظلم المشايخ من جهة، وان لا يخرج عن دائرة الوصاية من قبل الجهاز الاكليريكي من جهة ثانية. ولئن كان لدينا أكثر من برهان على أن البطريرك مسعد كان يعطف على الفئات الفلاحية[٢١٤]، من موقع حسه الديني وأصوله

---

٢١١. أرشيف بكركي، ١٠ أيار ١٨٥٩.

٢١٢. يمكن الاستنتاج ان يوحنا الحبيب قد كان له الدور البارز مع البطريرك — في صياغة النص النهائي للحل.

٢١٣. أرشيف بكركي، بدون تاريخ.

٢١٤. أورد الأب انطونيوس شبلي اللبناني، في كتابه الآثار المطوية، ج ٢، المرجع السابق، ص ٣٢٩ صورة مرسوم من غبطته الى الأب لورنسيوس يمين الشبابي الرئيس العام (للرهبنة البلدية) مؤرخ في ١٢ شباط ١٨٥٧ : «... بتاريخه حضر لدينا أولادنا يوسف ضوميط البكاسيني وبطرس انطون أبي هاشم من شركاء دير حوب بالوطا واعرضا لدينا بأن الراهب برتلماوس التنوري تطاول عليهما بالضرب وضرب والد يوسف المذكور

الطبقية وثقافته الواسعة ، لكن مما لا شك فيه أن حدود هذا العطف لا يتعدى دائرة الاستمرار التقليدي لمفهوم السلطة الدينية الرافضة لكل شرعية قانونية عقلانية ترتكز على الانتخاب الشعبي وتتكيف مع مسألة الفصل بين شؤون الدين وشؤون الدنيا.

هـ. سلطة البطريرك والعلاقة مع السلطة الرسمية للطوائف الأخرى إبّان الحركة :

لقد أسهب أكثر الباحثين لهذه الفترة في تحليل دور السلطات العثمانية في تغذية الاضطرابات بين الطوائف اللبنانية من جهة ، وداخل القائمقامية المسيحية من جهة أخرى من أجل فرض تدخلها المباشر في شؤون الجبل . ويظهر من خلال المصادر العائدة لهذه الفترة ان البطريرك مسعد كان على ادراك لهذا الخطر الداهم ، ولقد تعامل معه بكثير من الحذر والتبصر.

إن فهم السلطات العثمانية لقوة تأثير البطريرك على مسار الاحداث أدى الى تكرار اتصالها به للتداول في ما يمكن أن يطرح من حلول . ففي ٤ ك٢ ١٨٥٩ يبلغ القائمقام بشير احمد البطريرك عن نية الامير يوسف علي وحميتلو يوزباشي عثمان آغا مع انفار ارناؤوط ، المجيء الى «نادي غبطتكم» للبحث في «الحادث الحاصل ما بين اخواننا المشايخ الخوازنة ومحبينا واعزازنا أهالي مقاطعة كسروان»[٢١٥] . وقبل أن يضغط القنصل الفرنسي على السلطات العثمانية بالتدخل لوقف الحوادث ويحذرها من مغبة ادخال قوات كبيرة الى كسروان الامر الذي يتناقض مع «نظامات الجبل» ، كانت السلطات العثمانية برشوة ربما من قبل المشايخ قد ارسلت فرقة الى كسروان للقبض على زعماء الحركة . ففي ١ حزيران ١٨٥٩ يرسل طانيوس شاهين وعبد الله نصر وبشارة غانم ثم باقي الوكلا رسالة الى البطريرك تذكر ان هناك «الامير حسن ومعه سبعين خيال وخمسة وعشرين ارناووط وبيده امر بربط اولاد سيادتكم الخواجات طانيوس شاهين وعبد الله نصر وبشارة غانم وقصّار الضيع ... وكان مراد الأهالي نحضر الى شننعير ونكحت الأمير حسن ومن معه فاقتضى اعراضه لديكم وهدّيناهم لبعد علم سيادتكم ومتقدم اعراض بشأن ذلك ولا نبرح من دعاكم»[٢١٦] ومن المرجح أن البطريرك كان أميل الى عدم مجابهة قوات العثمانيين بالقوة لكي لا يعطيهم المبررات التي ينشدونها لتوسيع نطاق تدخلهم العسكري المباشر في المنطقة المسيحية . لكن ما يلفت ترابط الدخول الجزئي لقوات العثمانيين مع اندلاع قتال طائفي

وأهل بيته ونبه عليهم ليطلعوا من بيوتهم وهما واصلان يشرحان لكم القضية بظروفها . ونرغب من حضرتكم بأن تفحصوا عن حقيقة ذلك وأن وجد تقريرهما صحيحاً فيقتضي ان تقاصصوا الراهب المذكور بموجب قوانينكم ليرتدع عن كذا مطاولات ولا يخفى حضرتكم ان الآن ليس هو وقت اخراج الشركاه من الارزاق . وهذا كاف والبركة الرسولية تشمل حضرتكم تكراراً . الختم : الحقير بولس بطرس البطريرك الانطاكي

٢١٥ أرشيف بكركي ، ٤ كانون الثاني ١٨٥٩

٢١٦ أرشيف بكركي ، ١ حزيران ١٨٥٩ .

بين المتاولة والموارنة في جرود كسروان وجبيل[٢١٧] . الا أن هذه المصادمات ذات الطابع الطائفي لم تمنع أحد زعماء الشيعة كنج حمادة من الكتابة الى البطريرك مسعد شارحاً أنه بسبب الضيق يريد الذهاب الى بلاد جبيل «ولم نتوجه اليّ (الا) في خاطركم فإذا أذنتونا بالتوجه الى محل ارزاقنا نرجو التحرير ونحن تحت خاطركم...»[٢١٨] .

على صعيد آخر كان ولا شك لحركة كسروان أصداء واضحة في مناطق القائمقامية الدرزية. إذ ان المقاطعجيين الدروز تخوفوا من انتقال العدوى الى المسيحيين الموجودين تحت سيطرتهم. فبادر الأمراء والمشايخ المسيحيون كافة إلى عقد اتفاق مع الدروز «صاروا الجميع سوية وليس باقي فرق لا بالدين ولا بالعمل...»[٢١٩] .

«... قصدهم يحضروا لكسروان بوجه مصالحة ... وحضورهم يكون من كل الجهات .. »
اما رد فعل بعض الأساقفة فقد كان سلبياً على هذا الأمر: «سيادة المطارين طوبيا ويوسف جعجع حدث عندهم غم وافر من جرى ذلك ...» — ويضيف التقرير — : «نحن استحسن عندنا الجواب برأي المعتمدان اننا لا نقبلهم حيث به بمعيتهم دروز ومتاولة فقط نطلب الديوان لا غير...» .

ان السلطات العثمانية ووجهاء الطوائف الأخرى كانوا يراقبون ولا شك الدور الهام الذي كان يلعبه البطريرك مسعد في الاحداث، كما أنهم كانوا يستشرفون مشروع السلطة الذي يسعى لترسيخه داخلياً وخارجياً[٢٢٠] على نحو موازٍ ان لم يكن مجابه لقيادات الطوائف الاخرى. ولقد تلاقت في هذه المرحلة جملة مصالح دولية متناقضة (فرنسا — بريطانيا — الادارة العثمانية)، مع آلية الصراعات المركبة ضمن الطوائف وبين الطوائف اللبنانية الامر الذي أدى الى اندلاع فتنة ١٨٦٠ .

لقد كان بولس مسعد محطة هامة في تاريخ البطريركية المارونية. فهو رجل التقوى ورجل التعصب في آن، جمع بين عمق الثقافة التاريخية، والأصول الفلاحية وارادة السلطة التي ترفض ان يكون لها حدود في مجالي الدين والسياسة. هذه السلطة كانت في خطوطها العامة مزيجاً مركباً. فهي من جهة تتحسس مع الفلاحين «والشركاء» حاسمة مسألة استقلالها — ان لم يكن معاداتها — للمؤسسة الاقطاعية. لكن في موازاة ذلك كانت ترفض مقولات الحرية والارادة الشعبية، محاولة أن تفرض شرعيتها الدينية كقيادة للطائفة المارونية وبروحية المواجهة والعصبية للطوائف الاخرى.

---

٢١٧. أرشيف بكركي، ٥ حزيران ١٨٥٩، تقرير من طانيوس شاهين الى البطريرك حول هذه الاحداث.
٢١٨. أرشيف بكركي، ٢٠ ربيع أول ١٢٧٧.
٢١٩. أرشيف بكركي، لا تاريخ.
٢٢٠. يمكن مراجعة رواية الدروز عن حوادث لبنان، مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية، ج ٢، المرجع السابق صفحة ٣٠٦ - ٣١٨

من هنا تبقى هناك اسئلة جوهرية تفترض المزيد من البحث والمعالجة :

- ما هو مضمون الفكر السياسي والاجتماعي الذي انتجته المدرسة المارونية من خلال اعدادها الديني لكوادر الكنائس الكاثوليكية في الشرق ؟
- لماذا لم تنتج ثقافة المدرسة المارونية فكراً دينياً واجتماعياً يربط بين الالتزام بتحرير الفلاح — وغير الفلاح — من ربقة الاستغلال ويسعى لتحقيق الحرية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية باتجاه بناء الدولة الديمقراطية الحديثة ؟
- لماذا لم تنتج المدرسة المارونية فكراً يجمع بين تراثنا الروحي المشرقي العريق ، وبين انجازات الفكر اللاهوتي المسيحي المتجدد مع مفاهيم الحداثة والديمقراطية وحقوق الانسان ؟

ان هذه الأسئلة — واخرى كثيرة غيرها — ليست مطروحة فقط بالنسبة للمدرسة المارونية في روما والثقافة التي انتجتها ، بل انها مطروحة على «مدارس كل الطوائف» ، وعلى قوى المجتمع اللبناني ، والمشرقي عامة ، وعلى امتداد مرتكزات ثقافته المعاصرة .

• • •

أرشيف وزارة الخارجيّة الفرنسيّة (١٩١٨-١٩٤٥) وأهميّته في كتابة التّاريخ اللبناني *

* بحث مقدّم الى المؤتمر الأول لأرشيف تاريخ لبنان الذي عقد في كلية الآداب (الفرع ٢) — الفنار — الجامعة اللبنانية، ١٩٨٣.

ارشيف وزارة الخارجية الفرنسيّة (١٩١٨-١٩٤٥) وأهميّته في كتابة التّاريخ اللبناني

د. عصام خليفة*

مقدّمة حول الارشيف

أ) التحديد اللغوي والمعنوي

يكاد يكون من المتفق عليه بين أغلب اللغويين ان كلمة ارشيف (Les Archives) هي ذات أصول لاتينية ويونانية. فكلمة (Archivum) اللاتينية تعني – من الوجهة اللغوية – الورقة، وربما توسع هذا المعنى فشمل معنى «المستند». أما كلمة (Archeion) اليونانية فتعني، من الوجهة اللغوية، «المكتب» أو الموجودات المختلفة في مكان ما[١].

والارشيف، تحديدًا هو عبارة عن مجموع الوثائق المأخوذة والموضوعة في حوزة شخص مادي أو معنوي، أو مؤسسة عامة او خاصة. وعملية جمع هذه الوثائق وتنظيمها تهدف إمّا الى استعمال فردي او مباشر، واما من أجل استعمال لاحق محتمل[٢]. بيد ان الوثائق لا تقتصر على مجموعة من الأوراق، بل انها قد تتشكّل ايضًا من الخرائط والصور الفوتوغرافية والأفلام والشرائط المسجّلة وغيرها، وربما يصبح الفيديو – وهو من الصوت والصورة – أحد وثائق المستقبل.

ب) الارشيف والكتابة التاريخية:

يعتبر البعض ان الارشيف هو ذاكرة الزمن الماضي والحاضر وذاكرة الزمن الآتي، وقد أصبح، خاصة منذ قرنين، المصدر الذي لا غنى عنه لكل عمل في مجال الكتابة التاريخية. لا بل ان البعض يذهب الى اعتبار مخازن الارشيف مختبر المؤرّخين[٣]. وبشكل عام لم تنهض الكتابة

---

* كلية الآداب والعلوم الانسانية (٢)، الجامعة اللبنانية.

١. نسيب عبدالصمد، المخطوطات اللبنانية في ستين عامًا، لا اسم للمطبعة، لا تاريخ، ص ١٤.

٢. Jean FAVIER, *Les Archives*, «Que sais-je?», P.U.F., 1975, p. 5

٣. المرجع السابق، صفحة ٣٩.

التاريخية نهضتها الحقيقية إلاّ بعد النهضة التي عرفتها المكتبات والمتاحف ودور الارشيف، هذه الأماكن التي تجمع الوثائق المتنوعة لموضوع معيّن في مكان واحد سامحة للمؤرّخين ان ينكبّوا على دراساتهم وأبحاثهم. وفي هذا السياق يجب الإشادة بدور الحكومات والدول – المتحضّرة – التي اعتبرت منذ قرون عدة[٤] ان كل الوثائق السياسية والأميرية ونصوص القوانين وسجلات قرارات السلطة والمعاهدات وما إليها كلها ملك الدولة، كما انها منذ القرن الماضي وسعت حقوق مطالباتها لعدة أنواع من الوثائق فصادرتها، ووضعتها في مستودعات على أسس منظمة، مسهّلة الرجوع إليها عند الحاجة الى البحث. وانطلاقًا من ذلك تبرز جدلية الترابط بين تعزيز الدول للارشيف وقيام النهضة في التأليف التاريخي. ولكن هذه الجدلية لا تعني تغييب دور المؤرّخين، فوهبة المؤرّخ المتفوّق لا تكمن فقط في اكتشاف الوثائق، بل ترتبط ايضًا بمعرفة اي الوثائق يجب ان يكتشف ومتى وكيف يستعملها[٥].

اذا كان من غير الممكن كتابة التاريخ إلاّ على أساس الوثائق[٦]، واذا كانت الخطوة الأولى في العمل التاريخي هي خطوة البحث عن الوثائق (heuristique)، فان الارشيفات (التي هي مجمّع للوثائق) تصبح أداة البحث التاريخي من درجة أولى. من هنا ضرورة تنظيمها لتقوم بمهمتها على وجه أكمل، وتسهيل استعمالها في أقل وقت وبأقل جهد.

فالارشيفات غير المفهرسة تبدو وكأنها ليست لكل الباحثين الذين لا يجدون متّسعًا من الفراغ كيما يقوموا هم أنفسهم باستقصاء هذه الخزائن والمستودعات. علمًا ان الارشيف لم يعد مقتصرًا على أقلية من المثقفين، بل أصبح الاطّلاع عليه ملكًا للجميع وبالتالي أصبح أداة ثقافة، وأحد أبرز أعمدة التربية. عبره يندمج الماضي في حضارة عصرنا الحاضر، وعبره تستطيع قطاعات واسعة من الناس اكتشاف او تذكّر تاريخ هذا الحاكم، أو أوضاع بلاطات الأمراء وعائلات

---

٤. لقد وجد علماء الآثار العديد من الارشيفات المحفوظة في المعابد المصرية القديمة، وفي قصور ما بين النهرين، وكذلك في ماري واوغاريت وايبلا، وقد شكّلت هذه الارشيفات المادّة الأساسية لكتابة التاريخ القديم لهذه المنطقة. والجدير ذكره ان حفظ الوثائق عند شعوب الشرق القديم تنم عن رقي حضاري نسبي.

٥. Henri-Irénée MARROU, *De la connaissance historique*, Éd. du Seuil, Paris 1975, p. 72

٦. «الوثيقة هي كل مصدر يمكن استقاء المعلومات منه من قبل المؤرّخ لتوضيح جوانب الماضي» مارو، المرجع السابق، ص ٧٣. وكولنجوود يقول: «كل شيء يمكن ان يصبح وثيقة بالنسبة لأي موضوع. ليس التاريخ سوى استثمار الوثائق» لانجلوا وسينوبوس. **المدخل الى الدراسات التاريخية**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٧٧، ص ٢٤٨.

«قبل ان تصبح الوثيقة التاريخية نتاجًا مهملاً كانت عامل دفع لعملية التقدّم الحضاري».
Jean FAVIER, *op. cit.*, p. 75

«اذا ضاعت الاصول ضاع التاريخ» (أسد رستم)

«Dès qu'une civilisation a conservé les "archives" de ses autorités publiques, économiques, religieuses, "l'historien" cesse d'être nécessairement un "archéologue": il peut travailler sur un terrain solide et dès lors, l'histoire peut être écrite scientifiquement sur les documents et non plus reconstituée par voie de conjectures.» *L'Histoire et ses méthodes*, Encyclopédie de la Pléiade, Éd. Gallimard, 1961, p. 1121

الاقطاعيين ، او تحرّك العاميات الشعبية ، فضلاً عن معرفة دقائق الحياة الروحية والمادية للشعب (اللباس ، المأكل ، شؤون الزواج والعادات والزراعة والصناعة والتعليم والدين والطقوس... الخ).

واذا كنا قد أكّدنا على أهمية الارشيف الرسمي (الذي تملكه الدولة)، فان الارشيفات الخاصة لها أهميتها هي الأخرى بالنسبة للمؤرّخ. فارشيفات الأديار، والمدارس، والبنوك، والعطارين والبقّالين والدكنجية، وارشيف التعاونيات وكتّاب العدل وارشيف الشخصيات المرموقة وملفات العائلات المتنوعة كلها مواد هامة للمؤرّخ.

ج) بعض التوصيات

انطلاقًا من أهمية الارشيف (الرسمي والخاص) بالنسبة للتأليف التاريخي والثقافة التربوية نطرح بعض النقاط كتوصيات يمكن ان يتّخذها المؤتمر :

١. ايلاء الارشيف ، من قبل السلطة ، أهمية قصوى.
٢. وضع موازنة سخية لمؤسسة المحفوظات الوطنية.
٣. استقطاب أوسع الكفاءات اللبنانية وتعيينها في هذه المؤسسة.
٤. تخصيص مئات الطلاب اللبنانيين ، خاصة في الخارج ، في علوم التوثيق وتقنيات الحفاظ على الوثائق والآلات المتطورة لاستعمالها (التبويب ، النسخ ، التصوير ، التكبير ، استعمال العقول الالكترونية... الخ).
٥. المباشرة فورًا ببناء مركزي ، وأبنية أخرى لامركزية ، لحفظ الارشيف اللبناني. مع لحظ كل المستلزمات الضرورية في هذه الأبنية (ان لجهة الحرارة وما إليها ام لجهة مواجهة الحريق كالأبواب والباطون المضاد للنار الخ...).
٦. إصدار قانون جديد يسمح بموجبه للدولة مصادرة او تصوير كل الوثائق الموجودة بحوزة المؤسسات أو الأفراد ، والتي تعتبر هامة بالنسبة للتاريخ اللبناني.
٧. وضع خطة للتعرّف العام على أماكن وجود الوثائق المتعلّقة بتاريخ لبنان (والمنطقة المحيطة به لاحقًا). وهذا يعني تحديد الأماكن مع معرفة أولية بما تحتوي هذه المراكز من وثائق متصلة بتاريخنا.
٨. التعرّف التفصيلي على هذه الوثائق مع وضع لوائح باسمائها.
٩. إمكانية اعتبار اسطنبول وروما وباريس ولندن ومدريد وفيينا وبرلين وبطرسبورج (لينغراد) واثينا ودمشق وواشنطن - وربما غيرها - أماكن أساسية لتواجد الوثائق اللبنانية. وهذا يفترض أمرين على الأقل :
- إرسال بعثات لبنانية دائمة لتصوير الوثائق على ميكروفيلمات ، حسب أولوية الاهتمام.
- وضع اتفاقيات ثقافية مع الدول المعنية بهذا الصدد.

١٠. وضع فهارس تفصيلية للوثائق مع أماكن وجودها.
١١. وضع فهارس علمية، مع إمكانية طبع وتحقيق الوثائق على نحو علمي رصين وذلك ضمن خطة زمنية معيّنة.
١٢. طبع دليل بمحتويات المحفوظات الوطنية لمساعدة المؤرّخين.
١٣. طبع أكثر من دليل بمحتويات محفوظات بعض المراكز الهامة للوثائق (بكركي - المحاكم الشرعية الخ...).
١٤. القيام بترجمات منظمة (بعدة لغات) لكل ما يتعلّق بوثائق التاريخ اللبناني والعمل بالتنسيق مع الأونسكو.
١٥. إعطاء الأولوية لإعادة تنظيم المتحف الوطني «والإفراج» عن الوثائق والمخطوطات والميكروفيلمات الموجودة فيه.
١٦. إقامة اسبوع او شهر يسمى أسبوع او شهر الارشيف. (تطبع خلاله الطوابع البريدية، وتلقى المحاضرات وتستعمل وسائل الاعلام، كلها عن الارشيف).

حول دور الجامعة اللبنانية

١. يبادر أساتذة التاريخ في الجامعة اللبنانية الى إنشاء، «الجمعية التاريخية اللبنانية».
٢. يتمّ إنشاء مركز او مراكز للأبحاث التاريخية ملحقة بأقسام التاريخ. ويكون من مهامها تأمين الوثائق والدراسات التاريخية لمختلف حقبات التاريخ اللبناني.
٣. إصدار مجلة او مجلات تاريخية عن هذه المراكزوالأقسام.
٤. تبادل الميكروفيلمات بين الجامعة اللبنانية وبقية الجامعات ومراكز الارشيف في لبنان وفي الخارج.
٥. وضع خطة تثقيف لطلاب الجامعة اللبنانية، ولباقي الطلاب في المراحل الجامعية والثانوية يكون من مهامها تنمية حس الاحترام والحفاظ على الوثائق. ويمكن في هذا المجال استعمال وسائل الاعلام (راديو وتلفزيون وصحف...) ويمكن استعمال المحاضرات المباشرة وكذلك من المستحسن إشراك باقي قطاعات الشعب في هذه الحملة.

القسم الأول :
ارشيف «الكي دروسه» المتعلّق بتاريخ لبنان (١٩١٨ - ١٩٤٥)

يُعتبر ارشيف الكي دوروسه Quai d'Orsay من أهم مراكز الارشيف في فرنسا. ففيه توجد التقارير الديبلوماسية التي تتشكّل من تقارير Rapports ، وبرقيات Dépêches وملاحظات Notes . وهذه التقارير تعود الى العام ١٦٦٢ ، وهي منظمة عادةً بشكل مجلّدات Volumes ، وعددها لا يقلّ عن ٢٠ ألف مجلّد[٧]. ويتضمّن هذا الارشيف ايضًا مجموعة كبيرة من المذكّرات ، والوثائق ، وهي تقارير مكتوبة من قبل أقسام الوزارة ، وملفات[٨] قضايا مُرسلة بالبريد من قبل الدبلوماسيين ، وأوراق بروتوكول وغيرها من مثل الارشيفات الخاصة لبعض قدماء وزراء الخارجية الفرنسيين.

والدخول الى هذا الارشيف يخضع لجملة شروط مطبوعة تسلم نسخة منها لجميع الذين يريدون البحث والتنقيب. منها ان يحمل الباحث اذنًا خاصًا من أستاذه ، أو إفادة من الجامعة او مركز الأبحاث الذي يعمل فيه ، مبرزًا هدفه من البحث ، وبناءً على ذلك تتم الموافقة. ومنها ايضًا ان يرسل الباحث الى إدارة الارشيف نسخة عن كل دراسة قد يكتبها مستعملاً الوثائق التي اطّلع عليها الخ...

دوام العمل بين الساعة الثانية بعد الظهر والساعة السابعة مساء ، ما عدا يوم السبت فالدوام بين العاشرة والواحدة بعد الظهر ، ويوم الأحد عطلة.

بإمكان الباحث أن يطلب ٣ مجلّدات فقط كحدّ أقصى يوميًا ، ويتم تسليمها في اليوم التالي.

إمكانية تصوير الوثائق مُتاحة ، لكن من خلال شركة خاصة ، فتقدّم إليها لائحة بالصفحات وأرقام المجلّدات التي توجد فيها هذه الصفحات ، ويستغرق الأمر بعض الوقت[٩].

أما لجهة شكل الوثائق فهي في أغلبيتها الساحقة مسحوبة على الآلة الكاتبة ، مما يسهّل القراءة. لكن ثمة بعض الرسائل الشخصية من الوزير او الموظفين او غيرهم يمكن قراءتها بصعوبة. كما هناك عرائض وملفات تتفاوت في أحجامها أغلبها مكتوب بخط اليد.

---

٧. Jean FAVIER, *op. cit.*, p. 99

٨. بالنسبة للأرشيف المتعلّق بلبنان ١٩١٨ - ١٩٤٥ ، يوجد آلاف العرائض والمذكّرات والبيانات السياسية والكراسات وقصاصات الصحف والكتيبات التي تعكس مختلف النشاطات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية والتربوية وغيرها...

٩. ان مسألة التصوير في مركز الأرشيف الانجليزي (Public Record Office) هي اكثر سرعة ، وطلب الوثائق كذلك يتمّ بدقائق بسبب الاستعانة بالعقل الالكتروني.

توجد المحفوظات المتعلّقة بتاريخ لبنان (١٩١٨ – ١٩٤٥)، والتي اطّلعت عليها[١٠]، تحت ستة عناوين:

١. *Archives diplomatiques, E – Levant 1918-1929*. Sous-série: Syrie-Liban-Cilicie

٢. *E — Levant*. Sous-série: Syrie-Liban (1930-1940)

٣. *Guerre 1939-1945*. Sous-série: Alger C.F.L.N.-G.P.R.F.

٤. *Guerre 1939-1945*. Sous-série: Londres C.N.F.

٥. *Arabie 1918-1920*

٦. *Série Y. International*

سأحاول، قدر الإمكان، أن أعرض المواضيع العامة التي تتضمّنها هذه العناوين، مع ذكر أرقام المجلدات التي تحتوي التفاصيل.

١ و ٢ *E – Levant 1918-1940*

المواضيع العامة	أرقام المجلدات
– الأمور السياسية العامة (من ١٧ شباط ١٩١٨ الى ٣٠ تموز ١٩٢٢)	من ١ الى ٤٠
– العرائض	من ٤٢ الى ٤٥ + ٢٦٥
– وثائق سياسية مطبوعة	٤٦
– الحكومات وتنظيمها الإداري	٤٧ A + ٤٧ B + من ٥٠ الى ٥٥
– التمثيل الدبلوماسي	من ٤٨ الى ٤٩ + من ١٥٣ الى ١٥٦ + من ٤٤٠ الى ٤٤٨
– الصحافة	من ٥٦ الى ٥٨ + من ٢٨٦ الى ٢٩٦ + من ٥٢٥ الى ٥٣٩
– الاقتصاد والمال:	
الوضع الاقتصادي العام	من ٦٠ الى ٦١ + ٣١٣
الوضع المالي العام	من ٦٢ الى ٦٦ + من ٧١ الى ٧٢ + من ٣١٥ الى ٣١٨
الضرائب	من ٥٤٨ الى ٥٥٣
الموازنة	من ٦٧ الى ٧٠ + من ٣٢٤ الى ٣٢٩ + من ٥٥٤ الى ٥٥٨

١٠. ربما يكون هناك محفوظات، متعلّقة بتاريخ لبنان في هذه الفترة، ولم اتمكن من الاطلاع عليها.

المواضيع العامة	أرقام المجلدات
الجمارك	٧٣ + من ٣٣٢ الى ٣٣٨ + من ٥٦٠ الى ٥٦٥
الزراعة	من ٧٥ الى ٧٦ + من ٣٣٩ الى ٣٤٠ + ٥٦٠
التجارة	من ٧٨ الى ٧٩ + من ٣٤١ الى ٣٤٢ + ٥٦٧ الى ٥٧٢
المعارض	٨٠ + من ٥٧٣ الى ٥٧٥
الصناعة	٨١ + من ٥٧٦ الى ٥٧٧
المناجم	٨٢ + ٣٤٣
البترول	٣٤٤
مسائل التبغ	٣٢٠
مسائل الديون	من ٣٢٢ الى ٣٢٣
البنوك	من ٣٣٠ الى ٣٣١ .
الترامواي والكهرباء	٣٥١
الغاز والمياه	٣٥٣
– الاشغال العامة	من ٨٣ الى ٨٤ + ٣٤٥ + من ٥٧٨ الى ٥٨٠
– طرق ووسائل الاتصال :	٣٥٨
سكك الحديد والطرق	من ٨٥ الى ٩١ + من ٣٦٢ الى ٣٦٤ + ٥٨٨
الملاحة البحرية	من ٩٢ الى ٩٣ + ٣٦٨
البريد والهاتف والتلغراف	من ٩٤ الى ٩٧ + من ٣٦٩ الى ٣٧٢ + من ٥٩٣ الى ٥٩٤
المرافئ	٣٥٥ + من ٥٨١ الى ٥٨٧
الطيران	من ٣٥٩ الى ٣٦٠ + من ٥٨٩ الى ٥٩٢
مطبوعات	٣٦١
– العدلية	من ٣٧٣ الى ٣٧٧ + من ٥٩٥ الى ٥٩٩ + من ٩٨ الى ١٠٢
– التربية	من ١٠٣ الى ١٠٥ + من ٣٧٨ الى ٣٧٩ + من ٦٠٠ الى ٦٠١
– الآثار	١٠٦ + ٣٨٠

المواضيع العامة	أرقام المجلدات
– الصحة	من ١٠٧ الى ١٠٨ + من ٣٨٢ الى ٣٨٧ + من ٦٠٣ الى ٦٠٤
– قضايا متنوعة (سياسية ، ادارية ، تجارية ، ثقافية ودينية)	١٠٩ + ٢٦٠ + من ٣٨٨ الى ٣٩٢ + من ٤١٥ الى ٤٢٣ + ٤٢٦ + من ٦٢٥ الى ٦٢٨
– الباسبورات	١١١ + ٣١٠ + من ٥٤٤ الى ٥٤٧
– الجيش والنواحي العسكرية	من ١١٢ الى ١٢٤ + من ٢٣٣ الى ٢٤٢ + من ٢٨٠ الى ٢٨٥ + من ٥٢١ الى ٥٢٤
الرقابة البحرية	من ٦٣٢ الى ٦٣٥
الأوسمة العسكرية	من ٤٤٩ الى ٤٥٤
– أوضاع الدول	من ١٢٥ الى ١٢٧ + من ٢٤٣ الى ٢٥١ ا من ٢٥٦ الى ٢٥٨ + من ٢٦٢ الى ٢٦٤
– الجاليات اللبنانية – السورية في الخارج	من ١٢٨ الى ١٣٢ + من ٣٩٥ الى ٤٠٠
– الصحافة الفرنسية والمسألة السورية	من ١٣٣ الى ١٣٤ + من ٥٤٠ الى ٥٤٢
– السياسة الخارجية للمفوضية العليا	من ١٦٠ الى ١٨٩ + من ٤٥٥ الى ٤٦١
– السياسة الداخلية للمفوضية العليا	من ١٩٠ الى ٢٠٧
– الدعاية الفرنسية والدعاية ضد الانتداب الفرنسي	من ٢٠٨ الى ٢١٦ + ٢٩٧ + ٥٤٣
– اعداد دساتير الدول الواقعة تحت الانتداب	من ٢١٧ الى ٢٢٧
– تقارير المفوضية الفرنسية الى عصبة الامم عن الأوضاع في سوريا ولبنان	من ٢٢٨ الى ٢٣٢ + من ٥٠٥ الى ٥٠٧
– الاتفاقات الدولية المطبقة في مناطق الانتداب	من ٢٥٣ الى ٢٥٤
– تقارير عن القبائل والبدو الرحل في مناطق الانتداب	٦٣٦
– اعمال المساحة	٢٥٥
– المصالح المشتركة	٢٥٩
– المسائل الدينية (الأوقاف، المراجع الاسلامية، البطريركيات المسيحية)	من ٢٧١ الى ٢٧٩ + من ٥٠٨ الى ٥٢٠
– مسائل الحدود	من ٢٩٨ الى ٣٠٩ + من ٤٦٢ الى ٥٠٤

المواضيع العامة	أرقام المجلدات
– طلبات خاصة	٣١١
– مسائل متنوعة	٣١٢
– تقارير المخابرات	من ٤٢٧ الى ٤٣٥ + من ٦٢٩ الى ٦٣١
– الفرنسيون في سوريا ولبنان	من ٦٠٥ الى ٦٠٦
– اللبنانيون والسوريون في فرنسا	٦٠٢ + من ٦٠٧ الى ٦١٣
– مسائل الجنسية والحماية	من ٤٠١ الى ٤١٤ + من ٦١٤ الى ٦٢٤
– المفوضية العليا :	
سلطات المفوض السامي	من ١٤٧ الى ١٥٠
الموظفون الفرنسيون في دول الانتداب	١٥١
مندوب المفوضية في باريس	١٥٢ + ٤٣٩
الجريدة الرسمية للمفوضية العليا	٤٢٤
تقارير دورية عن نشاطات اجهزة المفوضية العليا	٤٢٥

٣. *Guerre 1939-1945*, Londres C.N.F.

– ابرز الاحداث السياسية في سوريا ولبنان (تموز ١٩٤٠ + تموز ١٩٤٣)	من ٣٩ الى ٤٠
– مشاريع الاتفاقات الفرنسية – الانجليزية حول المشرق (تموز ١٩٤١ – ك٢. ٤٣)	٤٣
– العلاقات الفرنسية – البريطانية في المشرق بعد الاتفاق (ك١ ١٩٤٢ – ت٢ ٤٣)	٤٤
– السياسة الاميركية في المشرق (ايلول ١٩٤١ – حزيران ١٩٤٣)	٤٥
– امور متعلّقة بشخص المندوب العام (آب ١٩٤١ – تموز ١٩٤٣)	٤٦
– العلاقات الديبلوماسية (ايلول ١٩٤١ – ايار ١٩٤٣)	٤٧
– تقارير عن نشاط اجهزة المفوضية (١٩٤٢ – ١٩٤٣)	٤٨
– الصحافة والاعلام (آذار ١٩٤١ – ٤٣)	من ٤٩ الى ٥٠

المواضيع العامة	أرقام المجلدات
– مسائل عسكرية (ت ٢. ١٩٤٠ – ت ٢. ١٩٤٣)	٥١
– مسائل دينية (٢ آب ١٩٤١ – ٢٤ ايار ١٩٤٣)	٥٢
– مسائل حقوقية (٢٥ نيسان ١٩٤١ – ١١ آب ١٩٤٣)	٥٣
– مسائل اقتصادية (ك٢. ١٩٤١ – تموز ٤٣)	من ٥٤ الى ٦٠
– ملف لمختلف الشخصيات اللبنانية والسورية (١٩٤٢ – ١٩٤٣)	
من A الى L	٦١
من M الى Z	٦٢
– الجاليات اللبنانية في الخارج (ت ١. ١٩٤٠ – حزيران ١٩٤٣)	من ٦٣ الى ٦٥

٤. *Guerre 1939-1945*, Alger C.F.L.N.-G.P.R.F.

– الازمة اللبنانية (٢ آذار ١٩٤٣ – ٣٠ ت ١. ١٩٤٤) واصداءها الخارجية – الاتفاقات والعلاقات مع الحلفاء	من ٩٩٩ الى ١٠٠٣
أ) الانتخابات في سوريا ولبنان (آذار – ت ٢. ١٩٤٣)	١٠٠٤
ب) الصدامات اللبنانية (آب – ت ٢. ١٩٤٣)	١٠٠٥
ج) مسألة يوسف كرم (ك ١. ١٩٤٣ – آب ١٩٤٤)	١٠٠٦
د) معلومات عن رجالات السياسة السوريين واللبنانيين	١٠٠٧
هـ) مفاوضات مع السلطات الاسلامية (ت ٢. ١٩٤٣ – آب ١٩٤٤)	١٠٠٨
– الصحافة والاعلام: الاعلام السياسي (حزيران ١٩٤٣ – آب ١٩٤٤)	١٠٠٩

المواضيع العامة	أرقام المجلدات
الصحافة الاجنبية واحداث المشرق (ت ٢. ١٩٤٣ – ك ٢. ١٩٤٤)	من ١٠١٠ الى ١٠١١
الصحافة والمجلات اللبنانية (آب ١٩٤٣ – ايلول ١٩٤٤)	من ١٠١٢ الى ١٠١٥
– القضايا المالية : (بما فيها بنك الاصدار ومصارفات سلطات الانتداب والموازنة) (آب ١٩٤٣ – ايلول ١٩٤٤)	من ١٠١٦ الى ١٠١٧
– القضايا العسكرية (آب ١٩٤٣ – ك ١. ١٩٤٤)	من ١٠١٨ الى ١٠١٩
– القضايا الحقوقية (ك ٢. ١٩٤٣ – ت ١. ١٩٤٤)	١٠٢٠
– المسائل الدينية (ك ١. ١٩٤٣ – ايلول ١٩٤٤)	١٠٢١
– المسائل المتعلّقة بالتبادل الديبلوماسي (شباط – آب ١٩٤٤)	١٠٢٢
– المسائل الاقتصادية بما فيها البترول والزراعة والاستيراد (حزيران ٤٣ – ايلول ٤٤)	من ١٠٢٣ الى ١٠٢٥
– الأوراق الخاصة للمندوب العام الفرنسي (ك ٢. ١٩٤٣ – ت ١. ١٩٤٤)	من ١٠٢٦ الى ١٠٢٧
– الجاليات اللبنانية والسورية في الخارج (نيسان ١٩٤٣ – ١٩٤٤)	١٠٢٨
– مآثر الفرنسيين في المشرق (تموز ١٩٤٣ – ايلول ١٩٤٤)	١٠٢٩
– رصد حركة القومية العربية (شباط ١٩٤٣ – ت ٢. ١٩٤٤)	من ١٠٣٠ الى ١٠٣٢
– سياسيات الدول الكبرى (آذار ١٩٤٣ – ك ١. ١٩٤٤)	١٠٣٤

٥. *Arabie 1918-1920*

تحت هذا العنوان توجد أغلب الوثائق المتعلّقة بالشريف حسين وولده فيصل ، ويمكن للباحث ، خاصة في المجلدات الأولى ، ان يجد الكثير من الأمور المتعلّقة بسياسة فيصل ازاء لبنان.

٦. *Série Y. International*

يمكن للباحث ان يجد المداولات والمؤتمرات الدولية التي عقدها الحلفاء للبحث في مستقبل تركيا، ومن ضمنها المسألة السورية، وذلك في اطار مؤتمر الصلح. فعلى سبيل المثال مداولات مؤتمر سان ريمو توجد خاصة في المجلدات ٦٦٩ الى ٦٧١.

انطلاقًا من هذا الثبت العام بأهمّ العناوين التي يتضمنها ارشيف الكي دورسه، بالنسبة لفترة الانتداب في سوريا ولبنان، نطرح السؤال:

ما هي الاهمية لهذه الوثائق في كتابة تاريخ لبنان المعاصر؟

لا شك ان قيمتها لا تقدّر بثمن، فهي تساعدنا على عدة مستويات، في الكتابة التاريخية:

- تساعدنا في معرفة تسلسل الأحداث والوقائع.
- وتساعدنا في دراسة المؤسسات السياسية (كالحكومة، والبرلمان والأحزاب والجمعيات والدساتير).
- وتشكّل منجمًا لا ينضب للتاريخ الاقتصادي (الضرائب، الموازنة، الزراعة والصناعة والتجارة، والمواصلات، الجمارك، والأوضاع المالية...).
- كما تساعد في كتابة التاريخ العسكري (تقارير عن العمليات الحربية والأسلحة وما اليها...).
- وفيها العديد من العناصر المسهلة لكتابة التاريخ الديني وتطور المؤسسات الدينية (أوقاف، طقوس، شخصيات دينية، معلومات عن الطوائف...).
- وثمة ملفات شبه متكاملة عن تاريخ الصحافة بمختلف تياراتها، وكذلك عن التاريخ الثقافي وبخاصة تطور المؤسسات التربوية.
- وهناك معلومات، قلّما توجد في مكان آخر، عن العلاقات الدولية ومسائل الحدود والاتفاقيات الدولية حول لبنان والمنطقة.
- كما هناك تقارير تساعد في التاريخ الاجتماعي للبنان وبخاصة التاريخ الديمغرافي.
- حتى ان هذه الوثائق تساعدنا في كتابة تاريخنا القديم من خلال تقارير الاكتشافات الاثرية، وكذلك ثمة معلومات في مجال التاريخ الطبيعي.
- وتساعدنا هذه الوثائق في دراسة تاريخ الادارة والقضاء، وكذلك مسائل الملكية وما اليها.

بالاضافة الى هذه الأمور تقدّم لنا وثائق ارشيف الكي دورسه خدمات جلّى في الدراسات الانتروبولوجية والجغرافية والسياسية ومختلف المجالات الثقافية بمفهومها الواسع.

اذا كانت اشادتنا عميقة باهمية هذا الارشيف كمصدر بالغ الغنى لكتابة تاريخ لبنان المعاصر، فهذا لا يعني اعفاء المؤرّخ من استعمال كافة تقنيات النقد التاريخي التي تبرزها الكتب المعروفة في هذا المجال[11]، وخاصة الحرص على عدم اخذ كل ما يرد في جميع التقارير الديبلوماسية كحقائق راهنة.

---

١١. *L'Histoire et ses méthodes*, Encyclopédie de la Pléiade, Éd. Gallimard, 1961,

القسم الثاني[12]

مدخل الى أهمّ الجمعيات والاحزاب السياسية والحركات في لبنان (١٩١٨ - ١٩٢٠) من خلال ارشيف الكي دورسه

سنحاول، في هذا القسم من بحثنا، ان نستعمل بعض وثائق وزارة الخارجية الفرنسية لعرض البرامج التي وضعتها، والتحركات التي قامت بها، بعض التيارات اللبنانية[13] في المهاجر خاصة، بالنسبة لمستقبل لبنان وعلاقته بمحيطه.

ولكن قبل ذلك نرى من الضروري التوقّف عند جملة ملاحظات:

١. ان اقتصارنا على عرض برامج ونشاط هذه الأحزاب والحركات لا يعني عدم وجود قوى سياسية اخرى، وربما تكون هامة ايضًا.

٢. لم نتطرق تقريبًا الى برامج وتحركات فيصل والاحزاب المؤيّدة له، ومجلس الادارة اللبناني، والوفود اللبنانية الثلاثة التي ارسلت الى باريس، باعتبار ان هذه القضايا قد استقطبت من اهتمام أغلب الباحثين ما كاد يطمس دور القوى الأخرى.

٣. حاولنا ان نقوم بعرض عام لبرامج هذه القوى وبعض أهم تحركاتها، ولم ندخل في تحليل بناها الاجتماعية، ولا في جذور ايديولوجياتها، والتأثير الناتج عنها على القوى والأحزاب التي تتالت بعدها.

٤. لم ندخل، بالعمق اللازم، في مجال تحليل السياسات الفرنسية والانجليزية وتأثيراتها على هذه القوى. وربما يكون لنا عودة الى هذا الموضوع لاحقًا.

٥. ان انتقاءنا للتيارات ذات التوجّه السوري او التوجّه اللبناني، لا يعني عدم وجود تيارات اخرى ذات توجّهات مختلفة خاصة دينية او عروبية.

٦. حاولنا قدر الامكان الاعتماد على وثائق وزارة الخارجية الفرنسية لعرض المعلومات عن هذه التيارات، علمًا ان ثمة دراسات وكتب (حول هذه التيارات)، فيها العديد من الأمور الهامة والتي لم نذكرها. فنحن لا نطمح الى ايفاء كل من هذه الحركات حقّها من الاحاطة

---

p. 1247-1389 (surtout les faux dans les archives et les bibliothèques, p. 1367-1389)

المدخل الى الدراسات التاريخية، تأليف لانجلوا وسنيوبوس، ترجمة عبدالرحمن بدوي، ط ٣، وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٧٧، ص ٥١ - ١٦٤.

Henri-Irénée MARROU, *De la connaissance historique*, Éd. du Seuil, 1975, p. 117-140

١٢. **ملاحظة بالنسبة للهوامش اللاحقة**: سنستعمل في القسم الثاني من هذه الدراسة مصطلح (A.E.) اختصارًا لـ: Archives du Ministère des Affaires Étrangères, *E – Levant*, Syrie-Liban-Cilicie وكذلك V. اختصارًا لـ: Volume

١٣. لقد شارك العديد من غير اللبنانيين في نشاط هذه التيارات.

والدرس ، بل ان همّنا يقتصر على اعطاء عينات تطبيقية عن كيفية مساعدة ارشيف الكي دورسه لنا في استخراج المعلومات – الجديدة على ما اعتقد – في موضوع كتابة تاريخ الفكر السياسي اللبناني ، وتطور ايديولوجيات بعض النخب من مختلف الطوائف ، في فترة تاريخية محدّدة ، وبالنسبة لموضوع تاريخي محدّد.

يتضمّن هذا القسم من الدراسة نقطتان :

اولاً : التيارات ذات التوجّه السوري.

ثانيًا : التيارات ذات التوجّه اللبناني.

اولاً : بعض التيارات ذات التوجّه السوري

من المسلّم به ، عند أغلب الباحثين ، ان الأمير فيصل بما يمثّل من قوى متشعبة مؤيّدة له ، كان هو صاحب المشروع الأساسي الداعي الى وحدة سوريا في الفترة الواقعة بين ١٩١٨ – ١٩٢٠. لكن من خلال وثائق وزارة الخارجية الفرنسية يبرز ان ثمّة تيارات أخرى كان لها مشروعها في وحدة سوريا ولكن على أسس وتصورات مغايرة نسبيًا لمشروع الامير فيصل.

أبرز هذه التيارات ثلاثة :

- اللجنة المركزية السورية.
- حزب الاتحاد السوري.
- جمعية سوريا الجديدة الوطنية.

I. اللجنة المركزية السورية Le Comité Central Syrien

كانت بوادر الصراع بين الانجليز والفرنسيين قد بدأت تظهر حول تطبيق اتفاقية سايكس –بيكو ، وكان هم حل المسألة السورية ، على نحو يتّفق مع مصالح الهيمنة الفرنسية ، قد أخذ يطرح نفسه بالحاح على الأوساط النافذة في وزارة الخارجية الفرنسية. وانطلاقًا من اهمية الجمعيات الكولونيالية وغرف التجارة في رسم معالم السياسة الفرنسية ، كان من البديهي ان يتمّ العمل على انشاء حزب سياسي يعكس في المهاجر ، وفي «سوريا» مصالح هذه القوى الاقتصادية. وهكذا تم اختيار شكري غانم[١٤] للقيام بمهمة ترؤس «اللجنة المركزية السورية».

١٤. وُلد في بيروت وتعلّم في مدرسة عينطورة. سافر الى مصر حيث عمل في وزارة الأشغال العامة ، ثم انتقل الى تونس حيث عمل في خدمة الحكومة التونسية. بعدها رحل الى باريس حيث اهتم بالثقافة. اصدر على التوالي : *Antar, Daad, Tamerlan, Ronces et fleurs* الأمر الذي اعطاه مكانة مرموقة بين كبار الادباء

١. أهداف هذه اللجنة

بالرغم من ان اللجنة المركزية السورية قد أعلنت برنامجًا مطولاً لها عند قيامها قبيل انتهاء الحرب العالمية الأولى[١٥] إلاّ ان الأهداف الحقيقية لها كانت :

- ضم المهاجرين (السوريين واللبنانيين) الى فرق الشرق.
- بث الدعاية (المؤيّدة لفرنسا) في الأوساط السورية بأميركا.
- العمل لوحدة السوريين الموجودين في اوروپا واميركا ومصر بغض النظر عن العرق والدين[١٦].
- تأمين الوحدة السورية[١٧].
- ضرورة تنظيم سوريا تبعًا لارادة أهلها، اي ضمن نظام فدرالي ديمقراطي، الأمر الذي يؤمّن وحدة مصالح كافة الأطراف، وبخاصة تحقيق استقلال داخلي لمختلف المقاطعات بما فيها كيليكيا وفلسطين[١٨].
- مساعدة الصديقة فرنسا من خلال وصايتها على كامل سوريا[١٩].

٢. القوى الفرنسية الداعمة لهذه اللجنة

ما يلفت نظر الباحث في وثائق وزارة الخارجية الفرنسية كثافة المذكّرات والدراسات المقدّمة من الجمعيات الجغرافية والاستعمارية، ومن غرف التجارة والخبراء الاقتصاديين. وكلها تركّز على أهمية «المسألة السورية» بالنسبة للمصالح العليا لفرنسا. والخط العام الذي يستشف من هذه المذكرات والدراسات هو التشدّد في السيطرة الفرنسية على كامل المناطق التي تمّ اقتسامها في اتفاقية سايكس – بيكو، بل والمطالبة – في بعض الأحيان – بالسيطرة على فلسطين ايضًا.

أ) مطالب الجمعيات الاستعمارية

في كانون الأول ١٩١٨ قدّم نائب رئيس جمعية الدراسات الاستعمارية والبحرية

الفرنسيين. وقد كان لاخيه خليل الدور الهام في تعريفه على اوساط الصحافة. فأخذ يكتب فيها. وعام ١٩١٢ ترأس اللجنة اللبنانية في باريس، وانتخب عام ١٩١٣ نائبًا لرئيس المؤتمر العربي الذي عُقد في العاصمة الفرنسية. وبالرغم من التوجّه السوري لغانم بين ١٩١٨ – ١٩٢٠ فانه عاد وأصبح من مؤيّدي لبنان الكبير وقد لعب دورًا بارزًا في حمل العديد من المسؤولين الفرنسيين الكبار على ضم البقاع وطرابلس وبيروت الى الدولة اللبنانية.

١٥. نص برنامج اللجنة : A.E., V. 9, p. 161

١٦. A.E., V. 2, p. 253 (12 oct. 1918)

١٧. A.E., V. 6, p. 184-185 (28 déc. 1918)

١٨. A.E., V. 6, p. 158 (29 déc. 1918)

١٩. A.E., V. 5, p. 56 (27 nov. 1918) et V. 6, p. 159-160 (17 déc.1918)

M. Paul Bourdarie تقريرًا[20] حول «المسألة السورية» نقتطف منه بعض المقاطع :

«ان الجمعية تعتبر أن الإشراف على كامل سوريا بما فيها لبنان وسوريا وفلسطين – مع الأماكن المقدّسة – هو أمر ينسجم مع المصالح الفرنسية ، ويؤمّن لفرنسا موقعها كدولة كبرى إسلامية وعربية ...

... وان الجمعية تدين إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين لأنها لا ترى كيف يمكن ربط فكرة القومية بالفكرة الدينية . ان هذا الأمر يبدو مناقضًا لكل الأفكار السياسية الحديثة ، وخاصة يبدو مغايرًا للسياسة التي تتبعها فرنسا بالنسبة لمسلمي أفريقيا الشمالية » .

وبعد أن يتطرّق التقرير لإبراز أهمية سوريا كمصدر لاستيراد القطن للصناعة الفرنسية التي تشغّل ما يزيد على ٤٠٠ ألف عامل ، تقترح الجمعية الاستعمارية «في إطار مبدأ القوميات ، أن يصبح لبنان وسوريا وفلسطين دولة فدرالية ، مستقلّة وحرة وتحت وصاية فرنسا» .

ثم تتطرّق المذكّرة للجوانب الدينية فتشير «الى انه من مجموع عدد السكان الذي يبلغ ٣,٥٥٠,٠٠٠ نسمة ، هناك ١,٩٠٠,٠٠ عربي مسلم ، و ١,١٠٠,٠٠٠ عربي مسيحي ، ١٥٠,٠٠٠ يهودي ، ١٧٠,٠٠٠ درزي ، ١٢٠,٠٠٠ نصيري ، ٥٠,٠٠٠ اورثوذكس[21] ، ١٠,٠٠٠ اسماعيلي ، و ٥٠,٠٠٠ من فئات مختلفة» .

وتحذّر المذكّرة من الأخطار التي ستُصاب بها المصالح الفرنسية اذا ما تدخّلت في الصراعات الدينية في منطقة يطغي فيها التعصّب الديني على كل شيء .

وتضيف «بأن الانقسامات الدينية لا تسمح لسوريا بأن تكون قادرة على حكم نفسها بنفسها ضمن نظام جمهوري . ولا يوجد بالتالي أمير سوري يفي بالمقام ، وحتى اذا أردنا الاستعانة بأحد أحفاد أسرة عبد القادر الجزائري ، فان ذلك يثير حتمًا صراعًا بين العصبيات القبلية .

من هنا يبدو من المفضّل تعيين أمير مسيحي على لبنان وأمير مسلم على سوريا ...

... ان سوريا الفدرالية ستتمتع «بحرية موجّهة» «وباستقلال محمي» . سترتبط بفرنسا برباط «التبعية المستمرة» «والوصاية المعنوية» .

والشروط الجوهرية لهذا الارتباط ستكون :

– أمير من أصل فرنسي .
– معاهدة تحالف مستمرة .
– معاهدة تجارة خاصة .
– حصر الواردات من فرنسا بالدولة السورية في مجال الأشغال العامة والتسلّح .
– عدم قدرة الحكومة السورية بالتعاقد لشراء أية سلعة إلاّ برضى فرنسا» .

---

٢٠. A.E., V. 5, p. 156-166

٢١. ربما يقصد سريان ارثوذكس وليس الروم الأرثوذكس .

وفي تقرير آخر[٢٢] للجمعية نفسها تأكيد على أن «البحر المتوسط هو محور السياسة الفرنسية. في الغرب تقع المغرب والجزائر وتونس كطرف لهذا المحور، والطرف الشرقي يجب أن يكون سوريا ولبنان وفلسطين».

وفي ١٦ نيسان ١٩١٩ يعتبر مجلس الجمعية[٢٣] مجتمعًا برئاسة نائب الأميرال Besson، ان لسوريا حدودًا تمتدّ من طوروس الى حدود مصر ومن البحر الى الفرات، وان تجزئتها في اتفاقية سايكس – بيكو هو خطأ، وتطلب تخطي هذا الخطأ وتوحيد سوريا تحت الوصاية الفرنسية.

وفي شهر نيسان ١٩١٩ يؤكّد Edouard Cheignon [٢٤] قاضي وأستاذ للتجارة في جامعة نانت، على أهمية سورية في المجالات التجارية والصناعية خاصة الصناعات التحويلية، ومواد سكك الحديد، والسيارات، والمواد الزراعية المصنّعة والمنسوجات، والحلويات، والصناعات الكهربائية.

وثمة جملة مذكّرات من جمعية الدراسات الاستعمارية تشدّد باستمرار على ضرورة بسط الوصاية الفرنسية على دولة فدرالية تضم لبنان وسوريا وفلسطين[٢٥]؛ حتى ان هذه الجمعية، في جلستها المنعقدة في ١١ تموز ١٩١٩[٢٦] أكّدت على ضرورة سيطرة فرنسا على سوريا بما فيها كيليكيا وفلسطين وشمال العراق وكردستان.

أما جمعية الدراسات الجغرافية والاستعمارية في مرسيليا فقد قدّمت الى وزير الخارجية مذكّرة (في ١٩ نيسان ١٩١٩) جاء فيها[٢٧]:

ان جمعية الدراسات الجغرافية والاستعمارية في مرسيليا مؤكّدة من جديد الأماني التي عبّر عنها من خلال المؤتمر الفرنسي حول سوريا والذي عُقد في مرسيليا، وآخذة بعين الاعتبار الأحداث التي تشكّل آسيا الصغرى مسرحًا لها،

تتقدّم بالمطالب التالية:

١. رفض كل تفكير يريد أن يبعد الى أجل غير مسمّى الوصول الى حل للمسائل السورية والأرمنية وغيرها.
٢. البتّ بمسألة الانتدابات، التي أقرّها مؤتمر الصلح، وذلك في أقرب فرصة ممكنة.
٣. أن تصبح سوريا، بكامل وحدتها وأراضيها المعروفة بحدودها الطبيعية والتاريخية دولة فدرالية مشكلة من مناطق ذات استقلال ذاتي، وذلك تحت وصاية فرنسا.

---

٢٢. A.E., V. 3, p. 73 (18 oct. 1918)
٢٣. A.E., V. 12, p. 59-63
٢٤. A.E., V. 13, p. 83
٢٥. A.E., V. 4, p. 184 et p. 39-40 et p. 135 et p. 155-156
٢٦. A.E., V. 14, p. 228
٢٧. A.E., V. 12, p. 48

على صعيد آخر ثمة تقارير مختلفة تشدّد على المصالح الفرنسية المختلفة في المنطقة وبخاصة المدارس الفرنسية التي تخرّج سنويًا ما يزيد على ٤ – ٥ آلاف تلميذ متيحة لهم الاطّلاع على الثقافة الغربية. وهناك العديد من المستشفيات الفرنسية وشبكة من سكك الحديد (تزيد على ١٢٣٣ كلم). هذا بالإضافة الى مياه بيروت وغازها وتراموای وكهرباء هذه المدينة وهي كلها بيد شركات فرنسية. هذا بالإضافة الى مزرعة تعنايل ونبيذ كساره، ومعمل للأدوية وآخر لإنتاج العطور. مع العلم ايضًا ان بيروت كانت تصدّر الى ليون ٤٥٠ ألف كيلو من خيوط الحرير[٢٨].

ب) مطالب غرف التجارة:

منذ انتصار قوات الحلفاء على القوات العثمانية، أخذت غرف التجارة الفرنسية بالتحرّك. ففي ٢١ تشرين الأول ١٩١٨ حيّت غرفة تجارة مرسيليا[٢٩] دخول البحرية الفرنسية مرفأ بيروت وطالبت بحفظ الحقوق التاريخية للغرفة في سوريا. وبعد شهر تقريبًا طالبت الغرفة نفسها[٣٠] بترسيخ نفوذ فرنسا في كل سوريا.

وفي ٢ كانون الأول ١٩١٨ تحتج الغرفة[٣١] على اقتصار السيطرة الفرنسية على الشاطئ فقط وتطالب بالتوسّع نحو كامل «سورية الطبيعية». ويدعو Adrien Artaud رئيس الغرفة، رئيس الجمهورية الفرنسية لرعاية المؤتمر الذي سيُعقد في ٣ و٤ و٥ كانون الثاني ١٩١٩ حول سوريا[٣٢]. وفي ٢٥ حزيران ١٩١٩ تقدّم غرفة مرسيليا تقريرًا[٣٣] الى وزير الخارجية مشدّدة فيه على ضرورة السيطرة على كيليكيا، لأهميتها في زراعة القطن، وتحتج على تراجع فرنسا عن فلسطين والموصل الأمر الذي لا يبقي سوى لبنان الصغير تحت النفوذ الفرنسي. كما طالبت الغرفة في التقرير عينه من وزارة الخارجية مساعدتها في طبع كراريس المؤتمر الذي عُقد حول سوريا.

أما غرفة تجارة Béziers في باريس فتطالب برفض اتفاق ١٩١٦ وبتوسيع المساحة الملحقة مباشرة بالنفوذ الفرنسي في سوريا[٣٤].

وغرفة تجارة Mende برئاسة Caussignac [٣٥] تشدّد على المصالح الفرنسية في كامل سورية الطبيعية، وتؤكّد على عدم التراجع عن حصة فرنسا في اتفاق ١٩١٦ كحدّ أدنى.

---

٢٨. A.E., V. 8, p. 231 (14 janv. 1919)

٢٩. A.E., V. 3, p. 47 et p. 88

٣٠. A.E., V. 5, p. 75

٣١. A.E., V. 5, p. 126

٣٢. A.E., V. 6, p. 121 (24 déc. 1918)

٣٣. A.E., V. 14, p. 45

٣٤. A.E., V. 4, p. 230-232 (19 nov. 1918)

٣٥. A.E., V. 6, p. 190 (19 déc. 1918)

وغرفة تجارة Beaune تطالب بوحدة سوريا الطبيعية واستقلالها ووضعها تحت الانتداب الفرنسي (٢٧ آذار ١٩١٩)[٣٦].

أما الجمعية الجغرافية الملحقة بالغرفة التجارية لـ Nantes فقد طالبت بكل سوريا وجزء من تركيا (٣ ايار ١٩١٩)[٣٧] ثم تقدّم غرفة تجارة Rennes احتجاجًا متشدّدًا على عدم تحقيق مطالب فرنسا في مؤتمر الصلح[٣٨].

ومن جهتها تطالب غرفة تجارة Rouen بترسيخ نفوذ فرنسا في كامل سوريا[٣٩] وغرفة تجارة ليون تطالب الحكومة باحتلال المدن الأساسية (حلب ودمشق والموصل)، وتشجب سيطرة الانجليز على مرافئ عكا وحيفا وكذلك سكة الحديد[٤٠]، وتذكّر بضرورة إصلاح الطرق السورية والمرافئ لتسهيل التجارة.

ثم ان غرفة تجارة Roubaix التي يرأسها Georges Motte فقد طالبت بضمّ كل سوريا الى النفوذ الفرنسي بسبب المصالح الفرنسية الموجودة فيها، وتعني بسوريا ولايات الموصل، دير الزور، الاسكندرونة، حلب، بيروت، دمشق، وأيضًا فلسطين ولبنان[٤١].

وغرفة تجارة Saumur (Maine et Loire) تطالب بالحفاظ على المصالح الفرنسية في سوريا[٤٢].

وفي مهرجان أُقيم في اوتيل Des Sociétés Savantes شارك فيه خطباء سوريون وفرنسيون، تم التأكيد على أن لسوريا الحق بأن تصبح أمّة مستقلة ضمن حدودها التاريخية، دون تفتيت ودون استعباد، وان يكون لفرنسا وحدها حق الانتداب عليها. ووقّع على البيان ١٣ جمعية من مختلف القطاعات[٤٣].

ماذا يمكن ان نستنتج من مجمل هذه الطروحات للفعاليات الاقتصادية والاستعمارية الفرنسية؟

– ان لفرنسا مصالح اقتصادية واستراتيجية جوهرية في شرق المتوسط[٤٤].

---

٣٦. A.E., V. 11, p. 116

٣٧. A.E., V. 12, p. 220

٣٨. A.E., V. 13, p. 84

٣٩. A.E., V. 5, p. 99 (30 nov. 1918)

٤٠. A.E., V. 3, p. 192

٤١. A.E., V. 15, p. 125-126 (18 juin 1919)

– علمًا انه لم يكن هناك ولاية باسم لبنان او فلسطين، وإنما كان هناك متصرفية جبل لبنان ومتصرفية القدس.

٤٢. A.E., V. 5, p. 73

٤٣. A.E., V. 14, p. 48 (26 juin 1919)

٤٤. «Celui qui possède la Syrie a la clé de l'Asie tout entière». (Napoléon)
A.E., V. 7, p. 238

– ان ثمة تنافسًا قويًا بين بريطانيا وفرنسا في المنطقة ويجب على فرنسا ان لا تتراجع.
– ليس على فرنسا ان تتشبث فقط باتفاقية سايكس – بيكو، وانما عليها ان تسعى لتعديلها باتّجاه ضم فلسطين ومناطق اخرى.
– ان هناك تعارضًا بين المصالح الفرنسية ومشروع انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.
– ان المشروع السياسي الذي ينسجم مع مصلحة فرنسا، من وجهة نظر هذه الجمعيات، هو تنظيم المنطقة على أساس اتحاد كونفدرالي او فدرالي.

وانطلاقًا من هذه النقطة الاخيرة يمكننا ان نفهم قوة التيار الداعي لانشاء سوريا الكبرى في وزارة الخارجية الفرنسية، وهو الذي تمثّل باللجنة المركزية السورية Comité Central Syrien المرؤوسة من قِبل شكري غانم.

٣. التحرّك السياسي لهذه اللجنة

يبدو ان هدف المشروع السياسي الذي سعت هذه اللجنة لتحقيقه هو نفسه مشروع الجمعيات الكولونيالية وغرف التجارة الفرنسية. من هنا ضرورة ايلائها الاهمية اللازمة في سياق تحليل السياسات الفرنسية ازاء المشرق في هذه المرحلة[٤٥].

ما هي سياستها في المهاجر؟ وما هو موقفها أمام مؤتمر الصلح؟

ما هو موقفها بالنسبة لباقي القوى الفاعلة في وزارة الخارجية الفرنسية؟

هذه أبرز النقاط التي سنتوقّف عندها بايجاز:

سياستها في المهاجر: لقد تركّز نشاط اللجنة المركزية، بشكل أساسي[٤٦] في مصر واميركا الشمالية واميركا الجنوبية – اذا ما اعتبرنا ان باريس هي منطلق التحرّك[٤٧]. ولقد اتّبع غانم نوعًا من المرونة في التعامل مع الأوضاع السائدة في كل منطقة، اذ جمع، في تعامله مع الفروع،

---

٤٥. لقد عالج المؤرّخ الكبير زين نور الدين زين هذه النقطة بكثير من السرعة في كتابه «**الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان**»، دار النهار للنشر، ١٩٧١، ص ١٠٤ – ١٠٦. فقد نقل عن أحد المصادر الانجليزية قولاً منسوبًا الى كليمنصو – بيشون حول مداخلة شكري غانم في مؤتمر الصلح – «لماذا جئت بهذا الرجل الى هنا»؟ فيجيب بيشون: «لم أكن أعلم انه سيعالج الأمر على هذا المنوال». ان من يطّلع على وثائق وزارة الخارجية الفرنسية يعرف جيدًا انه من المستبعد أن يقول كليمنصو وبيشون هذا القول عن شكري غانم ! !

٤٦. بالنسبة للنشاط في لبنان وسوريا يبدو انه لم يكن يزخم باقي اللجان والجمعيات والتيارات الطائفية والسياسية. ومن البرقيات القليلة التي أيّدت شكري غانم، من بيروت، البرقية التالية:

«الجمعية الوطنية للشباب السوري تشكرك وترجو منك أن تقبل انتدابها لك أمام مؤتمر الصلح، وذلك من أجل سورية موحّدة، مستقلة، فدرالية، تحت وصاية فرنسا. (شارل قرم)

A.E., V. 11, p. 141 (28 mars 1919)

٤٧. من أبرز المساعدين لغانم في باريس الدكتور جورج سمنه.

بين وحدة البرنامج ووحدة الشعارات من جهة ، وحرية الحركة فيا يتعلّق بالأمور الجزئية من جهة أخرى .

أ) اللجنة اللبنانية – السورية في مصر

تألّفت هذه اللجنة على أثر البرقية رقم ٧٧ تاريخ ١٨ آذار ١٩١٨ ، من قبل وزارة الخارجية[٤٨] . ولقد تشكّلت نهائيًا وبعد وقت قصير من صدور التصريح الفرنسي الانجليزي حول المسألة السورية. برنامجها لا يختلف كثيرًا عن برنامج «اللجنة المركزية السورية في باريس» باعتبار انها حرصت على ان يكون لها بعض الاستقلال. حاليًا[٤٩] تعد ما يُقارب ٧٠٠ عضو موزّعين على أربع لجان اقليمية : في القاهرة ، الاسكندرية ، طنطا والمنصورة ولجنة مصر المركزية في القاهرة وهي مؤلّفة من : عبدالله صفير باشا رئيسًا ، شكور باشا أمين صندوق عام ، الفونس زينية سكرتير عام ، ادغار طويل سكرتير عام ، حقي بيك العظم ، الفرد ليان ، نعمه غانم وهنري مشاقة أعضاء .

كل هؤلاء السوريين هم من المسيحيين باستثناء حقي بيك العظم ، وينتمون الى طوائف المارونية ، والملكية والارثوذكس ، ولكن يوجد بين الأعضاء بعض المسلمين المرتبطين بحقي بيك ، وهو الذي كان منذ زمن بعيد مؤيّدًا للتدخّل الفرنسي في سوريا وخاصة في دمشق التي إليها ينتسب (...) » .

على صعيد البرنامج فقد وضعت اللجنة نقاطًا خمسة لتحرّكها :

١. «نحن موقّعي هذا من سوريين ولبنانيين مقيمين في القطر المصري ومتفقين اتفاقًا تامًا في آرائنا وفي شعورنا فيا يتعلّق بمستقبل وطننا الأصلي إجابةً للنداء الموجّه إلينا من ممثلي الدولتين الفرنساوية والبريطانية[٥٠]، قد قابلنا بمزيد الارتياح مشروع إنشاء لجنة لبنانية سورية في القطر المصري غرضها تعزيز مصالح وطننا .

٢. ووافقنا على لائحة اللجنة الآتي بيانها : وهو تحرير سوريا والسير بها في سبيل الاستقلال تحت رعاية دولة فرنسا وبمساعدتها وبضمانتها على طريقة الاستقلال الإداري لكل من ولايات سوريا مع المحافظة على نوع الاستقلال الحايز عليه لبنان من قبل وعلى الصفة الخاصة به وعلى حقه

---

٤٨. كان التنسيق عميقًا بين فروع اللجنة المركزية وسفراء وقناصل فرنسا.

٤٩. هذا جزء من تقرير أرسله (M. Malzac) عن التيارات السياسية بين السوريين في مصر. وقد أرسل التقرير في ٩ كانون الثاني ١٩١٩ – A.E., V. 7, p. 159

ولكن في تقرير للكومندان Sarrou ان عدد أعضاء الجمعية ١٥٠٠

A.E., V. 9, p. 54 (13 janv. 1919)

٥٠. كانت الخارجية الفرنسية ، بالتنسيق مع شكري غانم ، قد أرسلت برقية بخصوص برنامج اللجنة المركزية – A.E., V. 6, p. 194 (29 déc. 1918)

في السعي لتحقيق أمانيه العادلة ؛ أما علاقات لبنان مع باقي بلاد سوريا فسيؤجّل أمر تقريرها لما بعد حسب الظروف.

٣. واعتمادًا على التصريحات الصادرة في ظروف متعدّدة من رجال الحكومة الفرنساوية المتضمنة عزم الدولة المشار إليها على انها بمساعدة الأهالي ومع احترام العقائد الدينية تضع طريقة للحكم من شأنها تأييد النظام والعدل والحرية ، تعتمد اللجنة على الدولة الفرنساوية في وضع هذا النوع من الحكم مبنيًا على مبدأ الاستقلال الإداري. (أعني اللامركزية).

٤. ونشكّل في المدن وفي البنادر المهمة لجان محلية تمثّل مجموع الموافقين على هذه اللائحة ثم تشكّل لجنة مركزية يكون مركزها في القاهرة وينتخب أعضاؤها بمعرفة لجنتي مصر والاسكندرية المحليتين وهذه اللجنة المركزية يكون لها وحدها الحق في تمثيل اللجان المحلية كافة بصورة رسمية.

٥. واننا نؤيّد بموجب هذا هيئة اللجنة المحلية في مدينة او بندر... المشكّلة من أصحاب المشروع الواضحة اسماؤهم أدناه وسنؤدّي لأعضاء هذه اللجنة والى اللجنة المركزية كل ما يلزم من المساعدة التي تمكّنهم من القيام بمهمتهم كما يجب بمقتضى اللائحة الواضحة آنفًا :

عبدالله صفير باشا ، رئيس

حقي بيك العظم ، نائب رئيس

الفونس زينية ، سكرتير

نعمه غانم ، أمين صندوق

أعضاء : شكور باشا ، أمين بك بستاني ، الأمير مختار الجزائري ، الدكتور الكسندر الغريّب ، سامي قصيري ، الدكتور أسد عطيّه ، رزق‌الله أرقش ، جان خوّام»[٥١].

لقد تشبّثت اللجنة اللبنانية – السورية في مصر ببرنامجها ودافعت عنه وأرسلت جملة برقيات[٥٢] مؤيّدة موقف القيادة في باريس ، حتى انها استغربت تصرّف جورج بيكو عندما خطب في حلب مؤكّدًا ان «فرنسا تؤيّد قيام أمة عربية موحّدة وحكومة عربية مستقلة ، وهي مستعدة لمساعدتها[٥٣]». فأرسل عبدالله صفير باشا كتابًا باسم لجنته في القاهرة يستغرب كل اتجاه يمكن ان تنحوه السياسة الفرنسية حول دولة كونفدرالية موحّدة مع الحجاز ، ويطلب جوابًا تلغرافيًا سريعًا[٥٤].

على أثر ذلك بادر شكري غانم بتقديم رسالة[٥٥] الى وزير الخارجية ينقل فيها شكواه من

---

٥١. A.E., V. 7, p. 164

٥٢. A.E., V. 10, p. 16 (21 fév. 1919)

٥٣. A.E., V. 10, p. 131-133 (25 janv. 1919)

٥٤. A.E., V. 10, p. 128-130 (27 janv. 1919)

٥٥. A.E., V. 10, p. 125-127 (3 mars 1919)

خطاب بيكو في الشام وصدى هذا الخطاب على أعضاء لجنته في القاهرة. وينوّه بأن سياسة الحكومة وسياسة «اللجنة المركزية» متفقتان بالنسبة لمستقبل وحدة سورية، وهي مغايرة لتصرّف بيكو. ثم يؤكّد على معارضته لأي نوع من الفدرالية لدول إسلامية يمكن أن تشكّل ثقلاً سياسيًا في المنطقة.

وعلى صعيد آخر فقد قدّمت اللجنة اللبنانية – السورية في مصر مذكّرة الى مؤتمر الصلح – من خلال اللجنة المركزية السورية – طارحة المطالب التالية:

١. رفع كل سيطرة لتركيا على سوريا، وتحريرها من كل علاقة يمكن أن تقيّدها بها هذه البلاد (تركيا)، وحتى لو كان هذا القيد نظريًا او اسميًا.

٢. السماح لسوريا الموحدة والمتكاملة سياسيًا واقتصاديًا بالاستقلال المرتبط بفترة تدرّب وتهيّؤ في مجال الحكم من قبل دولة فرنسا، وهي الدولة الموكل إليها هذا الأمر طبقًا لنص الاتفاق الفرنسي – البريطاني. ويكون ذلك على قاعدة الاستقلال الذاتي للمناطق، ومن ضمنها لبنان الذي كان يتمتّع باستقلال ذاتي، فيستطيع الاحتفاظ باستقلاله الذاتي هذا مع توسيع لحدوده.

٣. الفصل التام بين المسألة السورية والمسألة العربية، وإنشاء حكومة قومية سورية، دستورية وديمقراطية مع رئيس دستوري ليس له اية خصائص دينية.

وتتوسّع المذكّرة في كل نقطة داعمة اياها بأسانيد تاريخية. وقد وقّع على هذه المذكّرة كل من:

مجلس اللجنة في القاهرة:

عبدالله صفير باشا، رئيس؛ حقي بيك العظم، نائب رئيس؛ الفونس زينيه، السكرتير؛ نعمه غانم، أمين الصندوق؛ شكور باشا، سامي قصيري، أمين بيك بستاني، الدكتور أسد عطيه، الأمير مختار الجزائري، رزق الله أرقش، الدكتور الكسندر غريب، جان خوّام.

مجلس اللجنة في الاسكندرية:

الكونت جورج ديْ زغيب، رئيس؛ الفرد إليان، نائب رئيس؛ ادغار طويل، سكرتير؛ هنري مشاقة، أمين صندوق؛ غبريال انكيري، بيار طراد.

مجلس اللجنة الإقليمية في طنطا:

حبيب بيك زوين، نقولا بيك أرقش، قسطنطين بيك سعاده، الدكتور ف. دهان، مرهج رزق.

مجلس اللجنة الاقليمية في المنصورة:

الكونت عزيز صعب، ميشال سوسة، الدكتور امين الجميل، الدكتور شويري، أ. داود.

مجلس اللجنة الاقليمية في بور سعيد:
الدكتور سليمان خوري، شكري غريّب[56].

(القاهرة، ١٠ كانون الثاني ١٩١٩)

ب) رابطة سوريا – جبل لبنان للتحرير

انطلاقًا من أهمية الولايات المتحدة (سياسيًا واقتصاديًا واعلاميًا) بالنسبة لفرنسا، وبسبب أهمية الجالية اللبنانية – السورية فيها (١٢٥ ألفًا) فقد أولت السياسة الفرنسية، من خلال «اللجنة المركزية السورية»، اهتمامًا واسعًا بها.

وهكذا تمّ تأليف هيئة تنفيذية مقرّها نيويورك مؤلّفة من:
الدكتور أيوب ثابت، رئيسًا
نعمه تادروس، أمينًا للصندوق
أمين الريحاني، نائبًا للرئيس
جبران خليل جبران، سكرتيرًا للمراسلات الانجليزية
ميخائيل نعيمه، سكرتيرًا للمراسلات العربية
نعيم دياب، رئيس تحرير «الديلي ميرور»
شكري بخاش، رئيس تحرير مجلة «الفتاة»
عبد المسيح حداد، رئيس تحرير مجلة «السائح»
نسيب عريضه، رئيس تحرير مجلة «الفنون»
ايليا أبو ماضي، مساعد تحرير مجلة «الديلي ميرور»[57]

وقد تتابعت مذكّرات هذه الرابطة الى وزارة الخارجية الفرنسية، ففي أيار ١٩١٨ تشير وثيقة[58] الى ان الرابطة أرسلت مذكّرتين الى الرئيس ويلسن وسكرتير الدولة الأميركية روبرت لنسنغ تعرض فيهما الموقف بالنسبة لمستقبل المنطقة، وبعدها ترسل الرابطة رسالتين الى القنصل الفرنسي في نيويورك (ليبرت)[59]. وفي تقرير آخر تطالب الرابطة بوحدة سوريا الطبيعية تحت السيطرة الفرنسية[60]. وفي ١٢ كانون الاول ١٩١٨ جاء في رسالة الى الخارجية الفرنسية «ان رابطة تحرير سوريا وجبل لبنان المعبّرة عن آمال السوريين في اميركا الشمالية تدعم باسمها وباسم

---

٥٦. Comité Central Syrien, *La Syrie devant la conférence*, Mémoire à M. Georges Clemenceau, Paris, janvier 1919, p. 6-12
٥٧. A.E., V. 1, p. 61 (10 mai 1918)
٥٨. A.E., V. 1, p. 61-67
٥٩. A.E., V. 1, p. 214-217
٦٠. A.E., V. 3, p. 249-255

الصحف السورية الصادرة في الولايات المتحدة اقتراح غرفة التجارة في مرسيليا حول حدود سوريا. وهي اذ تذكر بما قدمته سوريا من تضحيات، قبل وخلال الحرب، ومشاركتها في التحرير بواسطة جيش المشرق، فانها تؤكّد على حقها في المطالبة بوحدة سوريا القومية... واستقلالها تحت حماية وإدارة فرنسا، الأم التاريخية لهذه البلاد[٦١].

في ضوء ذلك يشيد شكري غانم بدور المثقفين ولجان المغتربين في أميركا الشمالية وخاصة ثابت وجبران، لأنهم يعملون بجد للوحدة السورية على أساس ديمقراطي فدرالي، ويصرّون على مساعدة فرنسا الصديقة[٦٢].

في أول شباط ١٩١٩ ترسل الرابطة الى مؤتمر الصلح مذكّرة هامة توضح فيها خطها السياسي[٦٣]:

«أول شباط ١٩١٩ – الى السكرتير العام لمؤتمر الصلح – وزارة الخارجية الفرنسية، الكي دورسه – باريس.

الرجاء إيصال هذه العريضة الى الرئيس ويلسن والى رؤساء الحكومات كليمنصو، لويد جورج واورلندو:

نحن الموقّعين أدناه، أعضاء المجلس التنفيذي للجامعة الوطنية السورية – اللبنانية للتحرير، نرفض بشدة الادّعاءات المقدّمة من مندوب الحجاز الى مؤتمر الصلح. هذه الادّعاءات التي تزعم ان السوريين يرحبّون بحرارة بالسيطرة العربية على سوريا وفلسطين. والحقيقة هي عكس ذلك، فنحن متأكّدون ان الاحتلال العربي للأرض السورية قد أدّى الى مساوئ جمّة لطمأنينة المستقبل السوري، والخسارة تصبح كبيرة جدًا اذا ما طال هذا الاحتلال. ان سيادة، ولو اسمية، تعلنها قبائل الحجاز على سوريا المتحضّرة باسم بعض المفاهيم التي تفتقر الى القيمة العلمية (كالاخوة العربية، واللغة العربية والصيغ السياسية – الدينية وغيرها من الحجج المصطنعة)، تعتبر ضربة بالغة السوء لمستقبل التقدّم في هذه البلاد. ان السوريين ليسوا عربًا واللغة العربية فرضت على سبعة ملايين مسيحي كانوا سكان البلاد الأصليين، وكان من شأن السيطرة التعصبية للعرب اولاً ومن ثم الأتراك ان اختزلت – حسب آخر التقديرات – عدد هؤلاء المسيحيين الى أقل من مليون. اننا نرجوكم، يا معالي السكرتير العام للمؤتمر، عندما تصيغون الشكل السياسي لسوريا المستقبل، أن تأخذوا بعين الاعتبار، كقاعدة في خياركم هذا، حق الشعوب في تقرير مصيرها، ودرجة

---

٦١. A.E., V. 5, p. 231

٦٢. A.E., V. 6, p. 105 (23 déc. 1918), et V. 4, p. 217

٦٣. يمكن مراجعة مقالتنا في مجلة **دراسات**، السنة العاشرة، العدد ١١، ١٩٨٣، كلية التربية، الجامعة اللبنانية. وهي بعنوان «وثائق جديدة حول جبران السياسي».

التقدّم والثقافة لمختلف العناصر المشكّلة للسوريين، أكثر من اعتمادكم على التراكم الكمي للجماهير الجاهلة التي تتحكّم بمواقفها عوامل التعصّب الديني وليس عامل العقلانية الرصينة.

ان السوريين المنتمين الى عناصر التقدّم يُجمعون بحماس على حلّ المسألة السورية على أساس الوحدة الفدرالية في سوريا الطبيعية كلها تحت وصاية وحماية دولة واحدة كبرى، وديمقراطية. ان وحدة الأهداف عبر التاريخ، والعلاقات التربوية المتجدّدة، والمصالح الاقتصادية المشتركة، وخاصة التدخّل العسكري الفعّال لتخليصنا من الإبادة الشاملة عام ١٨٦٠، كل هذه المعطيات تجعل من ميلنا نحو فرنسا ميلاً طبيعيًا، ونحن نترجاها ان تتحمّل المسؤولية لحمايتنا وتوجيهنا. اننا نرجو من فخامتكم عدم معارضة هذا الامتياز الذي هو حق من حقوقها، هذا الحق الذي جعله مقدّسًا ولا يرفض استشهاد ربع مليون مسيحي سوري متعلّقين بفرنسا.

مع فائق الاحترام

أيوب ثابت، رئيس الرابطة الوطنية السورية – اللبنانية للتحرير، السكرتير السابق للجمعية العامة للإصلاح المنعقدة في بيروت ١٩١٣
جبران جبران، سكرتير عام
سليم ملدوكي، ممثل سوريا في ذكرى ٤ تموز (يوليو) في مون فرنون
الدكتور نجيب بربور، رئيس جمعية بيروت
ابراهيم موقد، رئيس جمعية دمشق
وليم كاتسفليس، الرئيس السابق لجمعية الاتحاد السوري
جوزف خوري، رئيس تحرير «الشهاب»
شكري بخّاش، رئيس تحرير «الفتاة»
نعمه تادرس، رئيس جمعية طرابلس
سعيد عقل، سكرتير رابطة التجار السوريين
عبد المسيح حداد، رئيس تحرير «السائح»
نسيب عريضه، رئيس تحرير «الفنون»[٦٤]».

لقد نشطت هذه الرابطة على مختلف المستويات ويتضح من مجمل مراسلات ان الفرنسيين كانوا يقدّمون الدعم المادي لمجلات (السايح) و(الفنون) و(الهدى)[٦٥]، لا بل ان ليبير – القنصل الفرنسي في نيويورك – يطلب من وزارة الخارجية وضع مبلغ ٢٠ ألف فرنك بتصرّف ثابت وجمعيته[٦٦]، باعتبار انه قدّم مساعدات هامة لفرنسا من أجل سوريا الموحّدة وهو شخصية

٦٤. A.E., V. 9, p. 6

٦٥. A.E., V. 6, p. 40

٦٦. A.E., V. 9, p. 221-222

عميقة الاطّلاع[٦٧]. ويشيد ليبير في تقارير متلاحقة بالموقف الودي جدًا من ثابت وجبران بالنسبة لفرنسا[٦٨]، ويرسل في أحد تقاريره الدبلوماسية نص رسالة موقّعة من ثابت (الرئيس) وجبران (السكرتير) يعربان فيها عن عواطفهما الحارة وتقديرهما لرئيس الوزراء الفرنسي كليمنصو بمناسبة نجاته من محاولة اغتياله. ويؤكّدان انهما يضعان فيه كل آمالهما بتحرير سوريا وربطها بفرنسا ويعتبران انه القادر على التعبير عن مطامح السوريين أمام مؤتمر الصلح[٦٩].

ويطرح تساؤل أمام الباحث عن طبيعة العلاقة بين الرابطة[٧٠] وبين غرفة تجارة مرسيليا. ففي برقية مرسلة الى الخارجية الفرنسية تدعم الرابطة – «وهي التي تجسّد مطامح السوريين في اميركا الشمالية، باسمها وباسم الصحافة السورية في الولايات المتحدة (مرآة الغرب، الشهاب، السايح، الفتاة، الفنون)، تدعم الحل المقترع عليه في غرفة تجارة مرسيليا والمتعلّق بحدود سوريا نحو الداخل وليس فقط على الشاطئ المتوسطي (...) وتدعو للوحدة القومية المميزة لسورية واستقلالها تحت الوصاية الفرنسية».

ج) اللجنة الوطنية السورية – اللبنانية في البرازيل

تُعتبر البرازيل مركز تجمّع هام للجاليات السورية واللبنانية، وكانت أوساط هذه الجاليات تشهد – في هذه الأثناء – نهضة ثقافية وسياسية. ولقد تجسّد ذلك في النوادي والجمعيات المختلفة. من هنا فان اللجنة المركزية السورية أوجدت لها فرعًا هناك، وكان نشاطه محدودًا بالمقارنة مع نشاط فرعي مصر ونيويورك.

وحسبنا أن نعرض المذكّرة[٧١] التي أرسلتها هذه اللجنة الى مؤتمر الصلح وهي تدلّ على فكر سياسي ناضج.

«لقد كلفت اللجنة الوطنية السورية اللبنانية في البرازيل، من خلال تلغراف أُرسل في ١٩ كانون الأول ١٩١٨، اللجنة المركزية السورية في باريس ان تطلب من مؤتمر الصلح، أن يعهد الى فرنسا تنظيم سوريا على أساس من الوحدة والاستقلال والنظام الفدرالي. ان اللجنة الوطنية السورية – اللبنانية تجد من واجبها تقديم هذا الالتماس الى كل من الدول الكبرى الحليفة، مرفقة به كل الأسانيد والدوافع التي تدعم مطالبيها.

سوريا وحدة جغرافية: ان سوريا تشكّل وحدة جغرافية ثابتة وتضم كل الأراضي التي كانت

---

٦٧. A.E., V. 13, p. 267

٦٨. A.E., V. 10, p. 31

٦٩. المرجع السابق.

٧٠. A.E., V. 5, p. 231

٧١. A.E., V. 8, p. 27-29 (20 janv. 1919) – من أبرز قادة هذه اللجنة رئيسها: Assad Kaléo

تتألّف، تحت النظام التركي، من المناطق الإدارية التالية: ولايات دمشق، حلب، بيروت، وسنجقي القدس وجبل لبنان. هذه الأراضي لها حدودها الطبيعية التي تفصل سوريا بوضوح عن باقي البلاد الأسيوية. وهي حدود تؤمّن، على المستوى السياسي، كل شروط الحماية. والقانون الدولي يعطي لمثل هذه الحدود، وبدرجة عالية، قيمة كبرى، ذلك أن البلدان التي تنفصل حدودها بوضوح عن غيرها، والتي هي بعيدة عن الإشكالات والعدوان عليها من الخارج، هي عناصر سلام وهدوء، لنفسها اولاً، ولجيرانها بالتالي، وللعالم المتحضّر كذلك. ان اول شرط للتقدّم هو الأمن القومي، وأول شرط للأمن هو تأمين سبل الدفاع.

سوريا وحدة اثنية: تشكّل سوريا وحدة أثنية ثابتة، ذلك ان الشعوب التي تسكنها في متحد جغرافي، تتكوّن من عنصر واحد يتكلّم لغة واحدة، وتتصف بعادات وآداب وتقاليد مشتركة. انها اذن تؤلّف جماعة اثنية موحّدة واقعيًا. ومن الواجب ان لا نشدّد على جوانب التباين الديني والطائفي، فهذه التباينات، عدا كونها موجودة عند كل الأمم التي لها نفس العرق، لا يمكن أن تعتبر عائقًا بوجه الوحدة الوطنية (...) ان هذه التباينات تشكّل في سوريا عائقًا عابرًا سوف يتجاوزه التطوّر الوطني ويزيله.

حق سوريا بالاستقلال: لسوريا الحق الذي لا تناقش فيه بالاستقلال وذلك بسبب وحدتها الجغرافية والأثنية.

– حسنات الوحدة السورية: وحدة أجزاء سوريا تحت نفس الراية سوف تخلق قوة تكون معتبرة من جيرانها وتساهم في تحقيق علاقات حسن جوار. هذه الوحدة سوف تنمّي وتضاعف القوى الحيّة في البلاد وتضاعف مصادر النشاط والانتاج، وسوف تعطي انطلاقة سريعة للتطور الوطني وتحقّق الاندماج القومي. السوريون المعروفون بقابليتهم الطبيعية للتقدّم سوف يصبحون أحد محاور الحضارة في آسيا. أما تجزئة سوريا فسينتج عنها العكس تمامًا، إذ ان كل جزء سيضعف بفقدان الدعم الناتج عن الوحدة.

ان قوة وتطور وازدهار سوريا مرتبطة كلها بوحدتها، أما تجزئتها فسينتج عنها الضعف والانحطاط وهدم وحدتها القومية.

– نظام الحكومة السورية: النظام الذي نبتغي قيامه في سوريا هو النظام الجمهوري، الفدرالي والبرلماني. هذا النظام هو الوحيد المناسب لأمة كالأمة السورية، وهي التي رزحت حتى الآن تحت نير الاوتوقراطية المدنية والدينية المزدوج، بينما هي تملك القابلية الخاصة لحياة الحرية والديمقراطية»[٧٢].

---

٧٢. ان من يقوم بتحليل دقيق للمصطلحات والمنطلقات الفكرية الواردة في هذا النص يستنتج ان انطون سعاده قد اطّلع – بدون شك – على أدبيات هذه اللجنة، وعلى أدبيات غيرها من الجمعيات التي كانت تعمل للوحدة السورية في هذه المرحلة. ومن الأمور التي تعمق هذا اليقين مشاركة والده خليل سعاده بترئّم بعض هذه الجمعيات، والمرحلة غير القصيرة التي قضاها زعيم الحزب السوري القومي الاجتماعي في أميركا الجنوبية.

د) **فروع ثانوية مختلفة :**

بالإضافة الى نشاط الفروع الأساسية للجنة المركزية السورية فاننا نقع على بعض البرقيات لفروع[٧٣] أخرى أقل أهمية :

ففي رسالة من مكسيكو ان الجمعية السورية – اللبنانية تطالب بسوريا فدرالية موحّدة ، بما فيها لبنان ، وتكون تحت رعاية فرنسا[٧٤].

وفي برقية من الأورغواي تأييد لبرنامج اللجنة السورية بوحدة سوريا الفدرالية تحت ظل الحماية الفرنسية[٧٥].

وفي رسالة من سفير فرنسا في (فالباريزو) يوضح فيها ان بعض اللبنانيين رفضوا تأييد شكري غانم وأكّدوا على استقلال لبنان ، بينما طالب آخرون بالوحدة مع سوريا[٧٦].

وثمة تقرير[٧٧] من السفير الفرنسي في بوينس ايرس ، يذكر ان حزب الوحدة السورية (يونيون سيريا) فيه موارنة ، دروز ، اورثوذكس ، وعرب (ربما يعني سنة) وعلى رأسه «سعاده» الذي وافق مؤخرًا على حماية من قبل القوى الدولية الحليفة . ويضيف ان تدخله الشخصي – أي تدخّل السفير – أدّى الى استبدال سعاده بشخص آخر مؤيّد للوصاية الفرنسية .

وفي رسالة من مغتربي سوريا ولبنان في كيتو مطالبة بتحقيق وحدة سوريا الطبيعية مع وصاية فرنسية[٧٨].

كما ان شكري غانم تلقّى رسائل كثيرة من فروع الجمعية تكلّفه بتمثيلها أمام مؤتمر الصلح . من أبرز هذه الرسائل :

- رسالة من شارل خوري (Pernambuce 12 déc. 1918)
- وأخرى من سان بولو موقّعة بإمضاء نعمة يافت (١٣ تشرين الأول ١٩١٨)
- ورسالة من بوليفيا من اللجنة التي يترأسها Simon Khabal (٢٢ كانون الأول ١٩١٨).
- ورسالة من بللو اوريزونتي (٢٢ كانون الأول ١٩١٨) موقّعة من خليل سعد بدران.
- ورسالة من دكار (كانون الأول ١٩١٨) موقّعة من جبر ونجا ورزق.
- وأخرى من كوناكري موقّعة من جبر ، Kalif ، نجا وشيبان (كانون اول ١٩١٨)

---

٧٣. في احد تقارير وزارة الخارجية الفرنسية ذكر لعدد المغتربين في اميركا : اميركا الشمالية ، ١٢٥ الفًا ؛ الارجنتين ، ٥٠ الفًا ؛ البرازيل ، ٦٠ الفًا ؛ المكسيك ، ٣٠ الفًا ، تشيلي ، كولومبيا ، فنزويلا ، البيرو والانتيل في كل منها الف مهاجر لبناني.

٧٤. A.E., V. 9, p. 83 (1 fév. 1919)

٧٥. A.E., V. 6, p. 184 (28 déc. 1918)

٧٦. A.E., V. 9, p. 28 (2 fév. 1919)

٧٧. A.E., V. 7, p. 21 (2 janv. 1919)

٧٨. A.E., V. 9, p. 117

- ورسالة من رفيرا (بالاوروغواي) موقّعة من نعمة (كانون الأول ١٩١٨).
- وأخرى من سنتياغو (كانون الأول ١٩١٨) موقّعة من توفيق بالش.
- ورسالة من بوينس ايرس (٣١ كانون الأول ١٩١٨) موقّعة من كوستا
- وكذلك رسالتان واحدة من لوس انجيلوس (٩ كانون الأول ١٩١٨)، وأخرى من سيدني (كانون الثاني ١٩١٩) تؤيّدان الوصاية الفرنسية على سوريا[٧٩].

٤. نشاط اللجنة المركزية السورية باتجاه مؤتمر الصلح :

ان تحقيق المصلحة الفرنسية بالسيطرة على المنطقة، وحمل مؤتمر الصلح على إضفاء الشرعية الدولية على هذا الحل، وايجاد تيار شعبي – في سوريا ولبنان – يوحي للمؤتمر بان السكان يطالبون – عبر ممثّليهم – بفرنسا، كان هذا من الأسس والأهداف الاولية التي بسببها أُنشئت اللجنة المركزية السورية. في هذا السياق كان تحرّك اللجنة المركزية أمام مؤتمر الصلح يتمحور حول أمور ثلاثة :

- تفنيد طروحات الأمير فيصل
- الاحتجاج على الوفود اللبنانية
- التركيز على دعم فرنسا والوحدة السورية.

أ) تفنيد طروحات الأمير فيصل :

لقد كان الإعداد لمؤتمر الصلح الشغل الشاغل لشكري غانم. فقبيل انتهاء الحرب يذكر شكري غانم «بأنه يتّصل بلجان اميركا ومصر وغيرها إعدادًا لمؤتمر الصلح»[٨٠]. ويشارك غانم في طرح المسألة السورية أمام مؤتمر الصلح[٨١] فيذكر بأنه يتكلّم «باسم جماعة يقدّر عدد أعضائها بأكثر من مليون نسمة»، وبالتالي فانه لا يريد أن يكون تحرير سوريا عن يد أهل الحجاز، كما انه عارض ان يتكلّم فيصل «ممثّل الحجاز» باسم جميع «الناطقين باللغة العربية وباسم سوريا». «فان دمشق تبعد عن مكة بما لا يقلّ عن ألف وخمس مئة كيلومتر. فاية صلات روحية وتقارب ذهني تربط بين طبيعة السوري والحجازي، بين البدو وأهل الحضر؟ وهل هناك غالبية من العنصر

---

٧٩. نص هذه الرسائل موجود في :
Comité Central Syrien, *La Syrie devant la Conférence, op. cit.*, p. 16-19

٨٠. A.E., V. 6, p. 186-188 (28 déc. 1918)

٨١. يمكن مراجعة النص الكامل لخطاب غانم أمام المؤتمر (١٣ شباط ١٩١٩) في كراس
La Syrie devant la Conférence, op. cit., p. 3-5

العربي في سوريا من شأنها ان تعلّل او تبرّر مثل هذه الفكرة؟ ان ضم سوريا الى الجزيرة العربية هو افتئات صارخ على قدسية الأرض التي أنبتت هذا الشعب وعلى تاريخه...»[٨٢].

هل حاول غانم قبل صدامه مع الأمير فيصل ان يوفّق بين موقفه وموقف الأمير الهاشمي؟

في أحد الرسائل من غانم الى بيشون[٨٣] يقول: «صاحب الفخامة: عند المرور الأول لفيصل في باريس تيسّر لي أن أتناقش مطوّلاً مع هذا الأمير الشاب، وقد حملته على الاهتمام كثيرًا ببرنامج اللجنة المركزية الذي توسّعت في شرحه له، وهو البرنامج الذي يرتكز على وحدة سوريا واستقلالها وتنظيمها على الأساس الفدرالي. لقد نجحت في توجيه طموحه بأن يصبح هو نفسه رئيس الاتحاد الفدرالي، بدلاً من أن ينعزل في منطقة دمشق حيث – في حال تسلّمه منصب الأمير أو السلطان – ينحبس بين أخيه في منطقة حلب والفرنسيين على الساحل ووالده الملك حسين في الحجاز. وبموافقته يكون قد أمّن خدمة لشعب شقيق بدل أن يكون مسؤولاً عن تجزئة ودمار البلاد السورية. لقد بدا لي ان هذه الفكرة راقت له (...) ولقد أطلعت السيد (غوت) على هذه المقابلة. وقد علّق الكولونيل بريمون «انني غيّرت تفكير الأمير».

(...) لكن بعد ذهابه الى لندن... عاد بأفكار وطروحات مغايرة، وهذا ما استشفيته من الحاشية المحيطة به. وهؤلاء يصرّحون: «انكلترا وعدتنا بالاستقلال الكامل دون أي تدخّل خارجي ونحن نقف معها». من أبرز أعضاء الحاشية المحيطة بفيصل عوني عبدالهادي، ويبدو ان غانم كان يكنّ له بغضًا أكيدًا إذ يتّهمه في أكثر من تقرير بأنه مرتبط بالدوائر الانجليزية[٨٤].

في ٢٤ نيسان ١٩١٩ يرسل غانم رسالة[٨٥] الى ريمون بوانكارّه يحثّه فيها على التحرّك في سوريا – عسكريًا واعلاميًا – ويحذّر من تفتيت البلاد، ويشير الى عمليات الدفع من قبل الانجليز[٨٦] وحتى ان الدعاية الفيصلية أخذت تستقطب سوريين في باريس والاميركتين. أما في رسالته[٨٧] الى كليمنصو، رئيس مؤتمر الصلح، فيعارض غانم المطالب التي قدّمها فيصل ويفنّدها ويطرح على المؤتمر وجهة نظر أخرى: «فان مطالب الجاليات السورية اللبنانية هي ضد ما صرّح به الأمير كما يظهر من العرائض المقدّمة الى المؤتمر في ١٣ شباط الماضي ومن خلال تصريحات الوفد الرسمي اللبناني ان سوريا المستقلة ضمن حدودها الموحّدة، وضمن تنظيمها على أساس مقاطعات

---

٨٢. نقلاً عن ترجمة زين نور الدين زين، **الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان**، دار النهار للنشر، ١٩٧١، ص ١٠٤.

٨٣. A.E., V. 8, p. 102 (24 janv. 1919)

٨٤. A.E., V. 7, p. 204 (11 janv. 1919) et A.E., V. 9, p. 226-227 (14 fév. 1919)

٨٥. A.E., V. 12, p. 176

٨٦. قال (برتيلو) أحد كبار موظفي الخارجية الفرنسية «من يملك القوة والمال يسيطر على الشرق».

٨٧. A.E., V. 13, p. 279-282 (14 juin 1919)

فدرالية وحكومة ديمقراطية، تحت وصاية فرنسا، هي من الشروط التي تحمل لبنان على الانضواء والمشاركة في الوحدة السورية».

ويبدو ان رسائل غانم لم تكن تلقى جوابًا فيقدّم في ١٦ حزيران ١٩١٩ رسالة[٨٨] الى بوانكاره يحتج فيها على عدم الإجابة على رسائله. وبعد أن يجدّد أسفه واحتجاجه على دعوة فيصل الى مؤتمر الصلح يضيف: قلت ان الصهيونية وتدويل فلسطين تحت المظلة الانجليزية، والحجازية او العروبية، كلها أقنعة كان يتحرّك عبرها عملاء انكلترا».

ب) الاحتجاج على الوفود اللبنانية

ذكرنا ان اللجنة المركزية السورية كانت تمثّل، في مشروعها السياسي بالنسبة لمستقبل سوريا، وجهة نظر الجمعيات الكولونيالية وغرف التجارة. وليس من الضروري التذكير بأهمية هذه القوى في توجيه السياسة الفرنسية. بيد أن موظفين كبار في وزارة الخارجية – وقوى أخرى من خارج الوزارة – كان لهم في هذه المرحلة، وجهة نظر مغايرة لتلك التي يمثّلها شكري غانم – من هنا يمكننا الزعم بوجود سياسات فرنسية – بالنسبة لمستقبل لبنان – وليس سياسة فرنسية واحدة[٨٩]. ومهما يكن من أمر فالداعين لاستقلال لبنان الكبير عن الداخل السوري، في وزارة الخارجية، كانوا وراء تسهيل مهمة الوفود اللبنانية الى مؤتمر الصلح.

في ٢ شباط ١٩١٩ يقدّم شكري غانم رسالة[٩٠] عتب الى وزارة الخارجية حول موقف الوفد اللبناني الأول، ويطلب توضيحًا من المسؤولين عن المدلول السياسي لمجيء هذا الوفد، كما يطلب توضيح السياسة الفرنسية المتبعة له. وكذلك يرسل رسالة ثانية[٩١] يعتب فيها ايضًا على السماح بمجيء الوفد اللبناني الى باريس وتركه يعرض مطالبه امام المؤتمر[٩٢]. غير انه في رسالة اخرى يطلب من رئيس الدولة إعطاء أوسمة شرف لأعضاء الوفد اللبناني الأول وللشهداء اللبنانيين[٩٣].

أما بالنسبة للبطريرك الحويك فيقول: لا أفهم شيئًا من السياسة التي نتّبعها في سوريا. حتى

---

٨٨. A.E., V. 13, p. 274-278

٨٩. «يجب أن يكون لفرنسا سياسة محدّدة في سوريا». هذا ما قاله مارك سايكس الى السفير الفرنسي في روما أوائل تشرين الثاني ١٩١٨ – A.E., V. 4, p. 69

٩٠. A.E., V. 9, p. 34-35 (2 fév. 1919)

٩١. A.E., V. 9, p. 188-189

٩٢. كان داود عمون قد طرح مطالب مجلس الإدارة من خلال مذكّرة قُدِّمت الى مؤتمر الصلح.

٩٣. لا يمكن التعجّب من تغيّر موقف غانم اذا علمنا ان داود عمون طرح في ختام مذكّرته العلاقة بين سوريا ولبنان على النحو التالي:

«... فنظام يفصل بينهما فصلاً تامًا يضرّ بهما معًا. ومع ذلك فلبنان يأبى الاشتراك في الوحدة السورية – مع المحافظة على شخصيته الممتازة – إلاّ اذا كانت فرنسا هي الدولة المساعدة لكليهما معًا...».

اني أخاف ان أفهم هذه السياسة. نكتب ونحاور أصدقاء البطريرك (الحويك) ونرجو منه ان لا يحصر موقفه باستقلال لبنان، ولكن عليه أن يوسّع قضيته الى كل سوريا[٩٤].

اذا كان موقف غانم من الوفود اللبنانية الرسمية تساؤليًا أكثر منه هجوميًا، فان موقفه من نشاط القوى اللبنانية الاستقلالية (المتمثّلة بالاتحاد اللبناني والرابطة اللبنانية في باريس) ينمّ عن قساوة لا تهادن. ففي تقرير الى وزير الخارجية بيشون رفعه غانم جاء فيه ما يلي:

«لقد نمي إلي أن ثمة تحرّكات معارضة للسياسة الفرنسية في سوريا، وأجد من واجبي لفت نظركم إليها:

١. ثمة احتجاجات أُرسلت الى سكرتارية مؤتمر الصلح او مباشرة الى مندوبي الدول الحليفة من عشرات اللبنانيين والسوريين، المعروفين بعدائهم لفرنسا وحتى للوفد الرسمي الذي أرسلته حكومتهم[٩٥].
٢. ثمة مأدبة في طريق التحضير من قبل هؤلاء الأشخاص أنفسهم على شرف الأمير فيصل الذي تجمعهم به وحدة الموقف المعارض لفرنسا.
٣. لقد تمّ تنظيم لجنة لبنانية مؤلّفة من هؤلاء أنفسهم، وذلك بتاريخ وصول فيصل نفسه، وربما تمّ ذلك بإيحاء منه.

كل هذه الدسائس تهدف الى مجابهة السياسة الفرنسية في سوريا، وتقويض نفوذها وإيجاد حالة من الاضطراب والتحريض في أفكار مندوبي القوى الكبرى.

ان الحرية المتروكة لهذه الدسائس على الأراضي الفرنسية بالذات لا تنسجم مع الخط السياسي الذي تتبعه الديبلوماسية الفرنسية امام مؤتمر الصلح.

كما ان هذه التحرّكات تؤدّي الى همود في حمية عناصر اللجنة المركزية السورية المتعلّقة بالتقاليد الفرنسية، كما انها تخفّف من صلابة المحبّذين.

هذه السياسة تبدو أنها أميل للتساهل الإرادي، علمًا أنها تؤدّي – من وجهة نظرنا – الى الضرر بالمصالح الفرنسية – السورية.

ومن هنا نجد من واجبنا، مضطرين، ان ننوّه بهذا الخطر»[٩٦].

ج) التركيز على دعم فرنسا والوحدة السورية

ان غزارة الرسائل التي نجدها لشكري غانم في ارشيف وزارة الخارجية ١٩١٨ – ١٩٢٠، والمودة التي يتكلّم بها مع رئيس الوزراء ووزير الخارجية وباقي كبار الموظفين، هي من المؤشّرات

---

٩٤. A.E., V. 15, p. 40-44 (18 août 1919)
٩٥. يقصد الوفد الأول الذي أرسله مجلس الإدارة.
٩٦. الرسالة مؤرّخة في ١٨ شباط ١٩١٩.

التي تنم عن الأهمية البالغة لهذا الشخص – على الأقل بالنسبة للفرنسيين[٩٧] . ويبدو أن الهم المحوري الذي كان يستحوذ على كل نشاطه يتمثّل بأمرين :

– تحقيق الوحدة السورية.

– تحقيق الوصاية الفرنسية على كامل سوريا.

من أجل تحقيق ذلك استعمل غانم ولجنته كافة الأساليب :

– أسلوب المساعدات المالية لشراء المؤيّدين ولنشر الدعاية الإعلامية: ففي مذكّرة قدّمها غانم الى وزير الخارجية في ١٠ تشرين الأول ١٩١٨[٩٨] يطالب بمبلغ ٥٠٠ الف فرنك لتنفيذ خطط إعلامية ، واستقطاب مؤيّدين لتحقيق الانتداب الفرنسي على سوريا مع تأمين وحدتها.

ويقوم غانم بإلقاء المحاضرات في الأوساط الاقتصادية المهتمة بسوريا محرّضًا اياها على التدخّل بكل ثقلها المادي والمعنوي لإنجاح مشروعه – الذي هو مشروعها – فيشارك في مؤتمر مرسيليا حول سوريا ويلقي فيه محاضرة ، ويشارك في إلقاء محاضرات عدة منها واحدة في ليون[٩٩].

– كما قام بأسلوب إغراق مؤتمر الصلح بالعرائض المؤيّدة لمشروعه. «أرجو ان أتمكّن – يقول – من التأثير على مؤتمر الصلح بإرسال عدد كبير جدًا من العرائض الممهورة في بعض الأحيان بتواقيع الأسماء نفسها»[١٠٠] . وكان دائمًا يشدّد من عزيمة كليمنصو لمواجهة الضغط الانجليزي ، ففي ١٢ كانون الأول ١٩١٨[١٠١] يرسل الى كليمنصو برسالة يشكو فيها من تردّي الأوضاع في سوريا وضعف الفرنسيين فيها بالنسبة للنفوذ الانجليزي. بينما كان كليمنصو قد أكّد له حرص حكومته على تطوّر سوريا نحو حضارة هادئة ، مع حتمية دفاعها عن الأمة السورية الى أقصى حدّ أمام الحلفاء[١٠٢] . غير ان غانم يعود ويستحلف كليمنصو – باعتبار انه أمسك المسألة السورية بيده – ان يؤمّن لها حلاً ينسجم مع مصالح فرنسا ، وهذا ما ينسجم مع مصالح سوريا بأكملها[١٠٣] . غير ان تحرّك غانم على مستوى المهاجرين السوريين واللبنانيين يستمر بالتصاعد[١٠٤] ، فيقدّم في ١٠ كانون الثاني ، أي عشية انعقاد مؤتمر الصلح ، الى وزير الخارجية الفرنسي برقيات

---

٩٧. من حقنا ان نتساءل هل ان أهميته نابعة من شخصيته المثقفة أم من كونه ممثلاً للقوى الاقتصادية الفاعلة في وزارة الخارجية ، أم ان أهميته نابعة عن السببين معًا؟؟ على كل حال ان الوثائق المتعلّقة بغانم تسمح بتحضير أطروحة دكتوراه عنه بكل سهولة.

٩٨. A.E., V. 2, p. 217

٩٩. A.E., V. 7, p. 239

١٠٠. A.E., V. 7, p. 221

١٠١. A.E., V. 5, p. 242

١٠٢. A.E., V. 5, p. 2

١٠٣. A.E., V. 6, p. 158

١٠٤. خاصة من خلال الجمعيات الملحقة به في نيويورك ومصر وباقي مناطق الاغتراب في أميركا.

المغتربين الذين يتمنّون تكليف وزير الخارجية (الفرنسي) الطلب من مؤتمر الصلح أن يوكل الى فرنسا أمر تنظيم سوريا بكاملها ضمن نظام فدرالي»[١٠٥].

على صعيد آخر كان يتّصل غانم ببعض مراكز التأثير العسكرية ؛ في رسالة منه الى (فرانشي ديسبري) يقول : «أذكر يا حضرة الجنرال كلمة رئيس أركان الجيش الفرنسي : سوريا بعد متز وستراسبورغ»[١٠٦].

ولكن مع التطورات التي عرفتها المسألة السورية على نحو مغاير للمصالح الفرنسية قدّم غانم الى بيشون احتجاجًا على إرسال لجنة[١٠٧] لاستفتاء شعوب المنطقة باعتبار انها تعقّد الوضع وتحرّكه بدلاً من تهدئته[١٠٨].

ومنذ حزيران تميل رسائل غانم للتشاؤم فهو يحتجّ على عدم الجواب على رسائله من وزارة الخارجية ويطلب اذنًا بفرصة بسبب الارهاق الذي يعانيه[١٠٩]. كما يتأفّف من زميله في اللجنة المركزية جورج سمنه لأنه لا يقوم بواجبه في وزارة الخارجية. وينهي رسالته بالتأسّف لأنه أرهق صحته وأضاع وقته وبذل من الآلام والأحزان بدون طائل[١١٠].

II . حزب الاتحاد السوري Parti de l'Union Syrienne

الحزب الثاني الذي نشأ في هذه الفترة والذي كان يعمل للوحدة السورية هو حزب الاتحاد السوري. ويبدو أنه كان يتشكّل من مجموعة من النخب الفكرية من طوائف متعدّدة ، والبرنامج الذي كان يسعى لتحقيقه هو وحدة سوريا على أساس اللامركزية والوصول الى الاستقلال التام.

أ) مؤسّسو الحزب :

أورد تقرير[١١١] لجهاز الاستخبارات التابع للبحرية الفرنسية في المشرق المعلومات التالية.
«هناك حزب سوري جديد يبرز الى الوجود ، على رأسه لجنة مؤلّفة من شخصيات غنية جدًا ، ومن صحفيين سوريين في مصر. ومنهم :

ميشال بك لطف الله ، رئيس النادي السوري في القاهرة
ادوار كرم ، ملاّك كبير في الاسكندرية

---

١٠٥. A.E., V. 7, p. 183-189
١٠٦. A.E., V. 7, p. 221 (13 janv. 1919)
١٠٧. اللجنة التي سُمّيت فيما بعد لجنة كينغ -- كراين.
١٠٨. A.E., V. 12, p. 66
١٠٩. A.E., V. 13, p. 274-278 (18 juin 1919)
١١٠. A.E., V. 15, p. 40-44 (18 juillet 1919)
١١١. A.E., V. 7, p. 199 (9 janv. 1919)

يعقوب صرّوف وفارس نمر ، أصحاب ومالكي «المقطم» ومجلة «المقتطف» ومن قدامى طلاب الجامعة الأميركية ببيروت

سليم تقي الدين ، درزي

محب الدين الخطيب ، مدير الصحيفة العربية «القبلة» التي تصدر في مكة

فؤاد الخطيب ، المندوب الدبلوماسي لمملكة الحجاز في القاهرة

الشيخ رشيد رضا ، صاحب ومدير مجلة «المنار»

عباس المصري.

أما تقرير[112] (مالزاك) حول السوريين في مصر فقد جاء فيه :

«... ثم هناك حزب الاتحاد السوري الذي تأسّس سرًّا برئاسة ميشال بيك لطف الله ، شقيق الكولونيل لطف الله الذي أُبعد من طنجه في ايار ١٩١٨ ، وهو ذو اتجاهات قومية وعروبية (...) هذا الحزب يتألّف من أعضاء كانوا ينتمون الى تجمّعات ثلاث :

- اللجنة السرية العربية التي كانت موضوع تقرير رفعناه للوزارة رقمه ١٨١ بتاريخ ١٥ حزيران ١٩١٨.
- والاتحاد اللبناني.
- ونادي الوحدة السورية وهو تجمّع لا لون سياسي له ، تمكّن ان يجمع في القاهرة مسلمين ومسيحيين سوريين من طوائف عدة.

مديرا المقطم الدكتورين نمر وصروف ، ورئيس تحرير الاهرام داود بركات ، ومدير المكتب العربي (...) نعوم شقير ، رفيق بيك العظم ، الدكتور شهبندر ، الشيخ رشيد رضا والشيخ كامل القصاب ، والأربعة هم من الصحفيين المسلمين المعروفين ، وهم من واضعي نظام الحزب مع اسكندر بيك عمون ، الرئيس السابق للاتحاد اللبناني. هذا الحزب يريد القيام بدعاية ناشطة لأفكاره ، في سوريا من خلال توسيط رجال يدخلون في حاشية الأمير فيصل ، وفي أوروبا من خلال بعض السوريين الدائرين في فلك الانجليز من هثل هـ. زغيب الذي تبجّح بأنه حمل الفرنسيين نفسهم على إلغاء اتفاقية سايكس - بيكو مع فسح المجال حرًّا للتيار العربي في سوريا.

والحزب الجديد يتكل على دعم انجلترا ، وهي التي بشّرت به بشكل شبه رسمي من خلال مراسلي الديلي ميل والتايمز في القاهرة ، كما قدّمت الدعم المالي له من أجل بث الدعاية لقيام سوريا الكبرى ولاحقًا قيام كونفدرالية دول عربية. ان العون الانجليزي هو بالتأكيد ما يهدّد نفوذ فرنسا في أوساط السوريين ، وتحرّك هذا التجمّع سيصطدم بانكفاء المسيحيين غير المتأثّرين بالنفوذ الانجليزي ، وذلك بسبب هيمنة المسلمين على قيادته.

في تقرير آخر[113] عن هذا الحزب نجد أسماء لم يوردها التقريران السابقان وأبرزها : خليل

١١٢. A.E., V. 7, p. 160 (9 janv. 1919)

١١٣. A.E., V. 7, p. 191 (10 janv. 1919)

خياط ، دكتور مشاقة ، أ. مختار الصلح ، خالد الحكيم ، ثابت ثابت ، عوض مفرّج ، جاد الله سوسة ، حنا كنعان ، عيسى طنوس. وتضيف احدى الوثائق[114] أسماء اخرى من مثل : حسن بك خالد ، وهبه أليسا ، باديا بك كربا ، أسعد مفرّج ، شبلي جمل[115] ، سليم سركيس ، نقولا حداد.

ب) برنامج حزب الاتحاد السوري في القاهرة :

تألّف برنامج[116] الحزب من النقاط التالية :

١. تشكّل سوريا بمجموعها متحدًا قوميًا عربيًا ، تمتد من طوروس في الشمال ، من الخابور والفرات في الشرق ، ومن بادية الشام ومدائن صالح في الجنوب ، ومن البحر الأحمر – خط العقبة – رفح والبحر المتوسط في الغرب.
٢. تتمتّع سوريا باستقلال تام ، مضمون من عصبة الأمم ، وهذه العصبة تضمن ايضًا دستورها وتحمي استقلالها.
٣. تكون عصبة الأمم مرجع حكومة البلاد في طلب الاختصاصيين في بعض المناصب الاستشارية الهامة ، وذلك تبعًا لما تراه هذه الحكومة من ضرورة.
٤. تتبع الحكومة السورية مبادئ الديمقراطية اللامركزية ، وترتكز قوانينها وأنظمتها على أساس مدني صرف ، باستثناء قوانين الأحوال الشخصية التي تبقى على حالها.
٥. يستمر العمل بالأنظمة والقوانين المعمول بها حاليًا حتى موعد اجتماع الجمعية الوطنية العامة الممثّلة للشعب ، اذ تقوم هي ، عندئذٍ ، بإعادة النظر بهذه القوانين او تستبدلها بأخرى ملائمة لمصلحة البلاد ولروحية النظام المدني الجديد.
٦. تقسم البلاد ، إداريًا ، الى ولايات مستقلة ذاتيًا ، ولكنها مرتبطة مع بعضها لتأمين المصلحة العامة. في هذه التقسيمات تراعى عوامل التقاليد والجغرافية والخصائص المحلية (فلسطين ، جبل حوران ، تقاليد البدو والنصيرية في ولايات حلب ودمشق ودير الزور) وتقاليد لبنان في حدوده الطبيعية وامتيازاته القديمة.
٧. كل ولاية يكون لها مجلس تمثيلي خاص منتخب من قبل السكان على نحو يحفظ حقوق الأقليات. وتجرى الانتخابات كل أربع سنوات. من مهمات هذا المجلس الاهتمام بشؤون الولاية وتنظيم شؤونها الداخلية بما يتلاءم مع مصلحتها شرط ان لا يتناقض ذلك مع القوانين العامة للبلاد.

---

١١٤. A.E., V. 7, p. 167-169

١١٥. ربما يكون شبلي شميل أيضًا.

١١٦. A.E., V. 7, p. 167-169

٨. تشكّل الولايات ولبنان حكومة مركزية تكون عاصمتها دمشق صيفًا وبيروت شتاءً. هذه الحكومة تكون مسؤولة امام الجمعية العامة للبلاد.
٩. يكون للبلاد مجلس تمثيلي عام يتألّف من أعضاء منتخَبين من قبل المجالس الإدارية في الولايات، وذلك على أساس نسبة واحد لكل ثلاثة.
هذا المجلس يجتمع مرة في السنة، في مقر الحكومة للمناقشة في شؤون البلاد والاهتمام بمصالحها العامة، واصدار القوانين الضرورية والملائمة.
١٠. كل ولاية تشكّل شرطة محلية لفرض الأمن في الداخل، والحكومة تحضّر قانونًا خاصًا حول مسألة التجنيد العام.
١١. كل الوظائف الحكومية توكل الى الأكثر كفاءة من المواطنين، وذلك ضمن حدود المادة الثانية من هذا البرنامج.
١٢. سيتمّ اعتماد برامج تربوية موحّدة لكل البلاد، وتكون قاعدتها الروح الوطنية دون تفريق بين الطوائف والأديان.
١٣. كل ولاية تقتطع من مداخيلها الضرائبية الخاصة مصاريف حكومتها. أما بالنسبة للمداخيل الناتجة عن الجمارك، والبرق والبريد، وسكك الحديد، والمناجم والزوارق، فتجمع من قبل الحكومة المركزية للبلاد، الأمر الذي يسمح لها القيام بأعباء المصالح العامة.
١٤. عندما تتوصّل الأمة العربية الى تشكيل اتحاد كونفدرالي، فان سوريا ستنضم إليه بشرط ان لا يؤثّر ذلك على وحدتها الوطنية الخاصة ولا على شكل حكومتها.

ج) تحرّك الحزب:

بعد أن أعلن الحزب عن برنامجه في اوائل كانون الثاني ١٩١٩[١١٧]، قدّم رئيسه ميشال لطف الله لائحة بأسماء اللجنة التنفيذية المركزية الى السلطات الفرنسية[١١٨]، كما قام لطف الله بإرسال برقية الى كليمنصو يذكر فيها مبادئ الحزب[١١٩]، ثم يرسل مذكّرة الى كليمنصو ايضًا يطرح فيها تصوّره لسوريا الموحّدة والمستقلة[١٢٠].

ولما كانت السلطات الفرنسية قد اتّخذت إجراءات مشدّدة بمنع الأشخاص او الوفود – الذين لا ترضى عنهم – من الذهاب الى باريس لعرض قضاياهم أمام مؤتمر الصلح فاننا نجد سؤالاً من شكري غانم يتقدّم به الى (جان غوت) في الخارجية الفرنسية يسأله عن إمكانية

١١٧. A.E., V. 7, p. 191-194
١١٨. A.E., V. 8, p. 64 (23 janv. 1919)
١١٩. A.E., V. 8, p. 117 (25 janv. 1919)
١٢٠. A.E., V. 9, p. 10-12 (1 fév. 1919)

السماح للطف‌الله بالدخول الى باريس[١٢١] ، وذلك استجابةً لالتماس قدّمه لطف‌الله نفسه – الموجود في مدريد – الى غانم ، يعرض فيه صعوبة مجيئه الى باريس ويطلب منه التوسّط له مع الحكومة الفرنسية للمجيء الى باريس وابلاغ مؤتمر الصلح أماني حزبه[١٢٢] .

III. جمعية سوريا الجديدة الوطنية Nouvelle Ligue Nationale Syrienne

إذا كان مفهومًا ان تقوم جمعيات وأحزاب مدعومة من فرنسا او انكلترا ، وتطرح برامج حول مستقبل المنطقة تنسجم مع مصالح هاتين الدولتين الكبيرتين ، فمن الملفت للباحث أن تقوم جمعيات ، في هذه الفترة (١٩١٩ – ١٩٢٠) تدعو لوحدة سوريا تحت الوصاية الأميركية . علمًا أن أميركا لم تكن بعد قد أصبحت دولة كبرى تسعى لايجاد مناطق نفوذ خارج القارة الأميركية .

أ) مبادئ الجمعية :

جاء في النص الأساسي لمبادئ هذه الجمعية[١٢٣] :

« بناء على كون دول الأحلاف أعلنت مرارًا وبكلام لا يقبل الالتباس اتّخاذها أساسًا للصلح ولتقرير نظام الأمم المبادئ التي صرّح بها الرئيس ولسن باسم حكومة الولايات المتحدة والتي تقضي بتحرير الشعوب الصغيرة المستعبدة وتدريجها في الارتقاء الذاتي الى ان تتمكّن من ان تحكم نفسها بنفسها دون تداخل أجنبي او معارضة خارجية .

وبناء على كون شعبنا السوري الذي حافظ على جنسيته وقوميته ولغته وعاداته محافظة تامة مدة أربعة قرون قضاها تحت نير التركي الظالم هو احدى تلك الأمم التي تحرّرت وبالتالي نالت حق تقرير مستقبلها .

وبناء على كون الولايات المتحدة الأميركية في كل تاريخ علائقها مع الدول والأمم الأجنبية وبفضل دستورها ومبادئ أهلها وبشهادة معاملتها لكوبا وغيرها لا تقبل ابدًا على عمل دولي لتنتفع بل لتنفع وتخدم ولتنجلي عن البلاد متى استطاع أهل البلاد إدارة شؤونهم التامة .

وبناء على كون الولايات المتحدة محرزة ثقة كل الدول يؤمّنونها على مصالحهم ولا يشكون بوعودها وليست مقيّدة بمعاهدات دولية تغلّ يديها عن العمل .

وبناء على كون الولايات المتحدة محبوبة من الشعب السوري ومستعدة لمساعدته .

بناء على كل ذلك ورغبةً في وضع خطة تكفل نجاح بلادنا وتعود على أبنائها بالخير والسلام قرّرنا وضع المبادئ الآتية والعمل لتحقيقها :

---

١٢١. A.E., V. 12, p. 49 (15 avril 1919)

١٢٢. A.E., V. 12, p. 50

١٢٣. A.E., V. 9, p. 205

١. عدم إرجاع الحكم التركي الجائر الى سوريا اسمًا او فعلاً.
٢. جعل سوريا برمتها من جبال طوروس الى صحراء سيناء ومن بحر الروم الى الصحراء والفرات ، بلادًا حرة مستقلة دون تمييز بين الطوائف والشعوب ، مؤلّفة من مقاطعات لكل منها هيئة حكم إدارية توافق أحوالها.
٣. وضع البلاد تحت وصاية وتدبير الولايات المتحدة الى ان يتمكّن السوريون من الحكم الذاتي التام.

الدكتور جورج خيرالله ، رئيس
الدكتور فيليب حتي ، كاتم أسرار عام

١٢ شباط ١٩١٩»

ب) تحرّك التيار السوري المؤيّد للوصاية الأميركية :

يبدو أن نشاط جمعية سوريا الجديدة الوطنية لم يكن معزولاً عن جملة تحرّكات حصلت في أماكن الاغتراب اللبناني. فثمة تقريران[١٢٤] من مصر يشيران الى وجود تيار يقوده نمر باشا (صاحب المقطم) ، المتأثر مع غيره بآراء هوارد بلس ، يطالب بالوصاية الأميركية على مجمل سوريا ويعتبر أن الوجود الفرنسي يقسم سوريا الى ثلاث مناطق : لبنان ، المنطقة الشريفية ، وفلسطين. وهناك برقية من نمر باشا الى مؤتمر الصلح يدعو فيها لوحدة سوريا تحت الوصاية الاميركية[١٢٥].

حتى ان أميركا الجنوبية شهدت تحرّكًا واسعًا بين المغتربين يدعو للوحدة السورية مع الوصاية الأميركية. ومن دعاة المؤتمر الذي أطلق هذه الدعوة : داود مجاعص من لاباز ، وهو الذي حضر المؤتمر ، والسيد بالش رئيس الرابطة السورية في سنتياغو ، والبرازيل أرسل (سوزا) والأرجنتين الدكتور (خليل) سعاده ، وألبيرو ابو خاطر ، وبوليفيا مجاعص[١٢٦].

ثانيًا : بعض التيارات ذات التوجّه اللبناني

لقد ركّز الباحثون في التاريخ اللبناني ، عادةً ، على دور الوفود اللبنانية وكونها الممثّل للتيارات الشعبية المسيحية بشكل خاص. ولكن من خلال وثائق وزارة الخارجية ، يبدو ان هناك

١٢٤. A.E., V. 7, p.10, p. 104-105 et p. 108 – والتقريران بتاريخ ٢٨ شباط وأول اذار ١٩١٩.
١٢٥. A.E., V. 10, p. 159-160
١٢٦. A.E., V. 12, p. 148 (24 avril 1919)

جمعيات وحركات كان لها وزنها على مستوى المثقفين وعلى مستوى القاعدة الشعبية المسيحية. وقد حاولت هذه الجمعيات والحركات ان تواجه التيار الداعي لضم لبنان الى وحدة سورية، مراهنة في صراعها على مجمل عوامل داخلية لبنانية وعلى متغيّرات تتصل بالصراع الانجليزي – الفرنسي في المنطقة، وبنوع خاص عملت على التأثير في القرار الفرنسي – على مستوى وزارة الخارجية ومواقع النفوذ الأخرى – ويبدو أن مسار الأحداث، لاحقًا، كان الى جانبها.

ما هي أهم هذه الأحزاب والحركات؟

١. حزب الاتحاد اللبناني

لقد كان حزب الاتحاد اللبناني من الجمعيات اللبنانية التي لعبت الدور الأساسي في طرح المسألة اللبنانية بأفق استقلالي قبيل الحرب العالمية الأولى، وابانها وبعدها. وبالرغم من الدراسات الكثيرة التي وُضعت حول هذا الحزب، ومنها أطروحات جامعية، فالمجال لا يزال واسعًا لمزيد من البحث والتنقيب. وسنحاول إلقاء بعض الأضواء الجديدة على نشاط الحزب، بين عامي ١٩١٨ – ١٩٢٠، وذلك انطلاقًا من وثائق ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية.

أ) حول السياسة العامة للحزب

بعد أن تمّ تقاسم النفوذ في السلطنة العثمانية بين الدول المتحالفة (بريطانيا، فرنسا، روسيا وايطاليا)، وذلك عبر مراسلات عديدة تبودلت خلال الأعوام ١٩١٤ – ١٩١٦، كانت سوريا ولبنان من المناطق التي أُعطيت لفرنسا. وفي ضوء ذلك شدّد الفرنسيون من اهتمامهم بالقوى السياسية والطائفية والفكرية الفاعلة على الصعيد اللبناني خاصة والسوري بشكل عام.

ففي ٧ تموز ١٩١٨ أرسل التحري الفرنسي في القاهرة تقريرًا مفصّلاً عن المهرجان الذي عقده حزب الاتحاد اللبناني في القاهرة، وتكلّم فيه أوغست باشا أديب، وعباس أفندي المصري، ويوسف السودا، ثم انطون الجميل سكرتير الاتحاد[١٢٧].

وفي ٥ أيلول ١٩١٨ أرسل الضابط الفرنسي الكبير كولوندر (Coulondre)، عن البرنامج السياسي للاتحاد اللبناني، تقريرًا يبرز فيه ان هذا الحزب يطالب بالاستقلال التام للبنان تحت حماية الدول الكبرى، بما فيها المانيا والنمسا[١٢٨].

ويرسل قنصل فرنسا في الاسكندرية بونزون (Bonzon) بتاريخ ٢ كانون الثاني ١٩١٩ تقريرًا يذكّر فيه بالدسائس المفرقة في خصومتها من قبل حزب الاتحاد، وسياسته الاستقلالية وارتباطاته المتنوعة مع الحزب الشريفي. ويورد القنصل معلومات وصلته حديثًا عن تسميته ثلاثة،

---

١٢٧. A.E., V. 1, p. 182

١٢٨. A.E., V. 1, p. 252-256

من أكبر أعضاء الاتحاد نفوذًا ، مستشارين للأمير فيصل وهم : أديب باشا ، رئيس الاتحاد اللبناني ، شقير باشا ، واسكندر عمون... ويستدرك القنصل ان داود عمون هو على خلاف مع شقيقه ويقود سياسة مناقضة له ، وان اسكندر سيختاره الأمير فيصل مندوبًا عنه في مؤتمر الصلح بباريس[١٢٩]. واسكندر عمون ، الذي سيصبح فيما بعد وزيرًا للعدلية في الحكومة الفيصلية الأولى ، تبرزه التقارير الفرنسية المختلفة كأحد أبرز أخصام السياسة الفرنسية الخطرين في هذه المرحلة[١٣٠].

وفي ٩ كانون الثاني ١٩١٩ يرسل قسم الاستخبارات في البحرية الفرنسية العاملة في المشرق تقريرًا عن تصاعد نفوذ حزب الاتحاد اللبناني في مختلف المناطق اللبنانية ، وانتشار الداعين لبرنامجه[١٣١].

ويقدّم لي فيفر – بونتالي (Lefèvre-Pontalis) وزير فرنسا المفوض في مصر الى بيشون (Pichon) وزير الخارجية تقريرًا عن التيارات السياسية في أوساط «الشوام»[١٣٢] الموجودين في مصر ، وتاريخ هذا التقرير هو في ٩ كانون الثاني ١٩١٩. جاء في التقرير[١٣٣] :

«يوجد حاليًا في مصر ثلاث جمعيات سورية ، ولكن باتجاهات مختلفة ، وهي تقوم بنشاطاتها في القاهرة والاسكندرية بشكل رئيسي. احداها مؤيّدة لفرنسا وتدعى اللجنة اللبنانية – السورية... وتيار حزب الاتحاد اللبناني الذي يصفه بأنه غير محب لفرنسا (فرانكو فوب) وانه ذو اتجاهات قومية. ويتهم السلطات الانجليزية بأنها وفّرت الحرية الكاملة لنشاط هذا التيار منذ ما يقارب العام ، غير عابئة بانعكاس ذلك على مصالحها ، بالنسبة لتقوية التيار القومي المصري على نحو مماثل. ويقول ان جريدة «الأمة» الناطقة الرسمية باسم الاتحاد اللبناني ، وهو يضم مجموعة من العاملين في الإدارة المصرية ، تهاجم باستمرار اطروحة التدخّل الفرنسي في لبنان وتمجّد السياسة الانجليزية في الشرق ضمن خلفية الانتفاع المالي. ولا يبدو ممكنًا بأي حال ، أن يلعب هذا التجمّع الدور الفعّال في تسوية المسألة اللبنانية ، خاصة بعد أن قرّر مجلس الإدارة إرسال وفد الى فرنسا. وتأثيره ، بالتالي ، محدود خارج مصر بالرغم من الجهود التي يبذلها حتى الآن».

وفي السياق نفسه يقدّم الكومندان سارو (Sarrou) تقريرًا آخر حول السوريين واتجاهاتهم في مصر (١٣ كانون الثاني ١٩١٩) ، فيشير الى ان المطران دريان يتزعّم الاتجاه المؤيّد لفرنسا ، واما الاتجاه المعارض لها فيتألّف من الاتحاد اللبناني ، المدعوم من قبل الانجليز ، وقد حوّل عمله الى السرية[١٣٤].

---

١٢٩. A.E., V. 7, p. 55

١٣٠. A.E., V. 7, p. 34 et V. 14, p. 20

١٣١. A.E., V. 7, p. 199

١٣٢. هذه هي الصفة التي كانت تُطلَق على المهاجرين من سوريا ولبنان الى مصر.

١٣٣. A.E., V. 7, p. 159-162

١٣٤. A.E., V. 9, p. 54

وفي التاريخ نفسه (١٣ كانون الثاني ١٩١٩) ترسل الدوائر الديبلوماسية الفرنسية في مصر ببعض المعلومات عن حزب الاتحاد اللبناني، ومما جاء فيها[١٣٥]:

«لقد سمحت السلطات الانجليزية المحلية للجنة المركزية لحزب الاتحاد اللبناني في القاهرة ان ترسل الى أوروبا - بناء على طلبها - وفدًا يطرح أمام حكومات الحلفاء مطالب «الاتحاد» المتعلّقة بمستقبل لبنان. ولكن المأزق الذي يواجهه الحزب هو تأمين المال الكافي لسفر مندوبه الى أوروبا».

وفي تقرير آخر[١٣٦] عرض لطلب لجنة الاتحاد اللبناني من السلطات الانجليزية السماح لها بإرسال وفد من أعضائها الى لبنان. غير ان أي جواب من قبل الانجليز لم يتم. وهذه اللجنة، بدورها، تعدّ مذكّرة بمطالبها: الاستقلال التام الناجز للبنان ضمن حدوده الطبيعية مع حماية الدول الكبرى مجتمعة. هذه المطالب سيقدّمها الاتحاد قريبًا، الى الدول الحليفة والى مؤتمر الصلح، وذلك باسم جميع اللبنانيين، وجميع الشهداء الذين ماتوا من الجوع والمرض، شهداء الظلم والطغيان التركي ابّان الحرب.

ومن بين المسؤولين عن هذا الحزب في الاسكندرية يعرض التقرير الأسماء التالية:

يوسف السودا، رئيس، مهنته محام في الاسكندرية

توفيق طنوس، سكرتير (يقال بأنه استقال)، وهو صاحب ومدير جريدة «الأمة»

سمعان سابا، أمين الصندوق، وهو تاجر تبغ

الدكتور نجيب فرح، الدكتور خليل صافي، سليم زند، مراد السودا (محام بالاسكندرية)، اسكندر نعمه (تاجر)، يوسف قشمه (تاجر تبغ)، سليم العظم (الترجمان السابق لسفارة ايران)، عباس المرصفي[١٣٧] محرّر في جريدة «ذي ايجيبتيان غازيت» (The Egyptian Gazette) ومراسل جريدة الاهرام في الاسكندرية، كل هؤلاء أعضاء.

أما اللجنة الاستشارية فهي مؤلّفة من اسكندر الحاج بطرس، توفيق اسكندر ونصر الله عساف.

وبينما نجد تقريرًا من (بونتاليس) القنصل الفرنسي في القاهرة، يعتبر فيه رئيس الاتحاد اللبناني أديب باشا معارضًا النفوذ الفرنسي ومؤيّدًا للنفوذ الانجليزي[١٣٨]، نجد تقريرًا آخر من مخابرات البحرية يصف حزب الاتحاد اللبناني، ويوسف السودا أحد زعمائه، بالاستقلال في الآراء والمواقف[١٣٩].

---

١٣٥. A.E., V. 7, p. 144

١٣٦. A.E., V. 7, p. 40

١٣٧. هو نفسه عباس المصري.

١٣٨. A.E., V. 10, p. 54

١٣٩. A.E., V. 7, p. 27-32

ب) تحرّك الحزب مع فروعه :

لم يقتصر نشاط الاتحاد اللبناني على القطر المصري وانما تعدّاه الى مختلف بلدان الاغتراب ، وبخاصة في الوطن الأم. فهذه برقية من فنزويلا الى مؤتمر الصلح موقّعة بامضاء سليمان بو صادر تطالب باستقلال لبنان التام مع إعادته الى حدوده الطبيعية[١٤٠]. وبالمعنى نفسه والى المرجع نفسه ، ثمة برقية اخرى من فرع الاتحاد في بوينس ايرس[١٤١]. أما المذكّرة البالغة الأهمية والتي يمكن اعتبارها «خطابًا سياسيًا» يعكس المرتكزات الفكرية التي قام عليها «حزب الاتحاد» ، فهي المذكّرة التي أرسلها أوغست أديب رئيس الاتحاد وانطوان الجميل السكرتير العام ، وقد أرسلت من مصر بتاريخ ١٤ شباط ١٩١٩. وسنوردها بحرفيتها لأهميتها الاستثنائية :

«حضرة الاخوان الأفاضل والمواطنين الكرام رئيس وأعضاء الجمعية اللبنانية في باريس.

بمزيد السرور والابتهاج تلقّينا كتابكم المؤرّخ في ٢٨ كانون الثاني ١٩١٩ الحامل إلينا بشرى اجتماع اللبنانيين في باريس وعقدهم العزيمة على المطالبة باستقلال لبنان استقلالاً تامًا. وقد أشرتم في كتابكم المذكور الى برقية سبق لكم إرسالها إلينا بهذا الخصوص ولكن تلك البرقية لم تصل الى الآن. وما أسفنا لعدم وصولها إلاّ لأنه ترتّب على ذلك تأخّرنا عليكم بالرد عن غير قصد منا.

نحن نهنّئكم ايها الاخوان بنهضتكم الوطنية ونهنّئ بلجنتكم التي وضع المواطنون ثقتهم بها للدفاع عن حقوق الوطن العزيز ونرجو لكم كل نجاح وفلاح في خدمة قضية لبنان التي كثر المخاصمون فيها. نحن قمنا بهذه النهضة منذ مدة وبذلنا كل مجهودنا في سبيل تعزيزها وتأييدها لأننا لم نشأ أن نترك الفرصة السانحة تمرّ دون أن نقوم بالواجب المقدس على كل لبناني حر نحو وطنه. فحالما سمحت الأحوال أعلنا برنامجنا السياسي قبل كل جمعية وجاهرنا بطلب استقلال لبنان التام ضمن حدوده الطبيعية بضمانة الدول او عصبة الأمم التي أخذت على عاتقها الدفاع عن الشعوب الصغيرة بعد إنالتها حقوقها. واذا كل شعب قد نهض يطلب لنفسه الاستقلال والانعتاق من السيادة. أليس ذلك أحرى باللبنانيين الذين ما برحوا متمتعين على كرّ الدهور باستقلالهم الإداري او التام فيطلبوا ذلك الاستقلال الآن – بعد تقلّص السيادة التركية – كاملاً خالصًا من كل نقص حفظًا لتقاليدهم وصيانة لقوميتهم. هذه كانت مطالبنا من الدول نصيرة الحق وعاضدة الأمم الصغيرة معتقدين انه لا يجوز للوطني الصادق أن يطلب لبلاده غير الحرية والاستقلال ورفعها الى مصاف البلدان الراقية لا ابقاءها تحت الوصاية والإشراف الغريب. وقد تصدّى لنا كثيرون في سبيلنا وأقاموا بوجهنا العقبات لغايات في النفس واختلقوا علينا الأراجيف حتى ان بعض الكتّاب عندكم رمانا علنًا بالخيانة والمروق عن الوطنية. واذا كان من يطلب الاستقلال لبلاده يعدّ خائنًا فبأي نعت يُنعت من يطلب لها الاستعباد وان كان يستره بألفاظ منمّقة. حاول الخصوم بنوع خاص تسويد صحيفتنا في عين فرنسا محاولين إظهار تلك الأمة الشريفة بغير مظهرها الحقيقي هي

١٤٠. A.E., V. 125, p. 14

١٤١. A.E., V. 7, p. 216

التي طالما مدّت يدها لكل شعب نهض ليستقل وساعدت في الماضي على تأييد استقلالنا ، لم يرض هؤلاء الغلاة دليلاً على حبنا لفرنسا إلاّ تضحيتنا باستقلالنا وتقاليدنا وقوميتنا وطالما قلنا لهم : نحن نحب فرنسا أكثر مما تحبونها ولكننا نحب وطننا أكثر منها وهي لا تريدنا إلاّ كذلك. على ان هذه الوشايات جازت لسوء الحظ على بعض طلاب الاستعمار فوقفوا بوجهنا موقف المعاكس مخالفين في ذلك تقاليد بلادهم الحرة. على اننا لم نتزعزع عن مبدأنا وواصلنا ولا نزال مواصلين السعي لبثه وحمل اللبنانيين على اعتناقه والدول على إقراره.

ولكن ما لنا اليوم وإعادة تذكارات الماضي فالوقت وقت عمل وتطلّع الى المستقبل بيد اننا نقول لكم اننا أثناء جهادنا كنا دائمًا نتطلّع بالفكر الى مواطنينا النازلين في باريس لما نعرفه في الكثيرين منهم من صدق الوطنية والغيرة القومية وكنا واثقين ان تلك القوى المستكنة ستندفع الى العمل بعزم وهمّة عندما يُتاح لها ذلك فتنهض لإسماع صوتها عاليًا مسكتًا لكل صوت يطلب غير مطلبنا. فلم يخب ظننا بكم يا سلالة اللبنانيين الأماجد الذين طالما سفكوا دماءهم صونًا لحريتهم في جبالهم المنيعة. حققتم الآمال المعقودة عليكم فبارك الله فيكم وأخذ بيدكم في عملكم الشريف. انه كان يعزّ علينا أن تكون الآن باريس ملتقى وفود الشعوب والأمم وكل تلك الوفود تطلب لبلادهم الحرية من غير قيد وتنشد لأقوامها الاستقلال المطلق ولا يكون للبنان من يطلب له إلاّ الاستعباد والتجرّد من شخصيته المستقلة. ولكن لا لن يدون التاريخ هذا العار على اللبنانيين في هذه السنة العظيمة في تاريخ الإنسانية ، فانه لم يحرم من أبنائه من يسمع صوته في نشيد الحرية العام ومن يضع حجرة في بناء الاستقلال الضخم.

أما نحن فحال وصول كتابكم إلينا نقلنا بشراه الى سائر فروع الاتحاد اللبناني في القطر المصري وأرسلنا إليكم تلغرافًا هذا نصه :

«Comité Libanais, 13 rue Chabrol, Paris. D'accord sur programme. Donnons mandat agir notre nom. Cablâmes Société[١٤٢] Amérique vous donner mandat. Lettre suit.»

وبالفعل أرسلنا في الوقت نفسه تلغرافات الى جمعياتنا في البرازيل والارجنتين وكندا التي كانت طلبت منا ان نمثّلها فأخبرناها بتأليف جمعيتكم على قاعدة استقلال لبنان التام بحدوده الطبيعية وطلبنا منها أن تنوبكم عنا تلغرافيًا كما نوبناكم عنا وعسى أن تكونوا الآن قد استلمتم الردود اللازمة لمباشرة العمل باسم اخوانكم ايضًا.

نحن قائمون بالمساعي اللازمة للسفر الى لبنان والحصول على تفويض من الشعب فاذا تيسّر لنا ذلك سنسرع الى إفادتكم كما انه اذا تيسّر لأحدنا السفر الى باريس فانه سينضم إليكم. هذا ورجاؤنا ان تواصلونا بأخباركم وتفضّلوا بقبول تحياتنا مشفوعة بالدعاء لكم بالنجاح التام.

السكرتير العام : انطوان الجميل　　　　رئيس الاتحاد اللبناني : أوغست أديب[١٤٣]

١٤٢. ربما يقصد Cablogramme أي برقية.

١٤٣. A.E., V. 9, p. 123-125

ج) تحرّك الاتحاد باتجاه مؤتمر الصلح :

على أثر انتصار الحلفاء، بادر حزب الاتحاد اللبناني بإرسال برقية التهنئة التالي نصها :
«الاتحاد اللبناني يحيّي انتصار الحلفاء في سوريا ويؤكّد الاستقلال التام للبنان بحدوده الطبيعية بحماية القوى الكبرى».

أديب – رئيس الاتحاد[144]
١٣ تشرين الأول ١٩١٨»

وفي ٥ كانون الثاني ١٩١٩ يرسل الاتحاد مذكّرة[145] مطوّلة الى كليمنصو رئيس مؤتمر الصلح. ولأن هذه المذكّرة تعكس موقفًا متشدّدًا في استقلاليته من جهة، ولأن ثمة تعمّد، في مختلف المراجع الدراسية لتاريخ لبنان في هذه الفترة بتجاهل هذا الموقف، وجدنا من اللازم عرض كامل هذه المذكّرة[146].

رسالة موجّهة الى السيد ج. كليمنصو رئيس مجلس الوزراء – باريس
«سيدي الرئيس،

بعد أن تحمّل لبنان، طيلة أربع سنوات، آلامًا يعجز القلم عن وصفها، وفَقَد قرابة نصف سكانه، بفعل المجاعة التي نفّذت بتنظيم دقيق، وبتأثير الأوبئة، تحرّر أخيرًا من السيطرة العثمانية، على يد جيوش الحلفاء المظفّرة، ثم أُعيدت حكومته على ما كانت عليه قبل الحرب، وفق النظام الأساسي (١٨٦١ – ١٨٦٤) الذي وقّعت عليه الدول الكبرى. ومما لا شك فيه، ان هذا النظام، الذي كان في الأساس مؤقتًا، لأنه وليد التبعية التي ربطت لبنان بالامبراطورية العثمانية، سيعدّل عند إقرار الصلح. وتطبيقًا للمبدأ الذي أعلنه الحلفاء، والذي يدعو الشعوب التي تحرّرت من النير العثماني الى تقرير مصيرها على ضوئه، سيقول اللبنانيون كلمتهم بصدد شكل الحكم الذي يتمنون إقامته في بلادهم.

و«الاتحاد اللبناني» الذي تأسّس عام ١٩٠٩ للذود عن مصالح لبنان، والذي ينتسب إليه الكثيرون في مصر وأميركا ولبنان، قد رفع الى الدول الحليفة الكبرى، خلال كانون الثاني ١٩١٨، مذكّرة حول أماني اللبنانيين الذين يمثّلهم، ومن الثابت ان برنامجه، الذي توجزه صيغة «استقلال لبنان في حدوده الطبيعية بضمانة الدول الكبرى»، لم يحظَ بعد بموافقة الشعب اللبناني، ومن الضروري تأمين شرطين لهذا الشعب، ليستطيع قول كلمته في الموضوع، أما الأول، فهو أن يتمكّن المغتربون اللبنانيون من الحصول على كل ما يسهّل لهم الاتصال ببلدهم، والعودة إليه منذ

---

١٤٤. A.E., V. 2, p. 267

١٤٥. A.E., V. 7, p. 87-89

١٤٦. استعنّا بترجمة للدكتور جورج كرم، نُشر في مجلة **حوليات**، ١٩٨١، الجامعة اليسوعية، ص ١٣١ – ١٣٢.

الساعة ، وذلك ليحاوروا مواطنيهم ويرشدوهم بآرائهم وتجاربهم ، وليدلوا بأصواتهم في عملية الاقتراع الشعبي . ولا يكون كلامنا بلا طائل اذا ما ذكّرنا هنا ان عدد المغتربين اللبنانيين يقدّر بـ ٣,٠٠٠,٠٠٠ . فهم اذن أكثر عددًا من اللبنانيين المقيمين ، وان معظمهم في سن الشباب ، وان ما كانوا يرسلونه من دراهم ، كان يؤمّن حاجات ذويهم . وأما الشرط الثاني فهو ان يتمكّن الشعب اللبناني من الاقتراع بحرية بعيدًا عن أي ضغط أو إكراه . وقد بلغنا ان أشخاصًا يقومون بدعاية سياسية ، قد أخذوا يستغلون فقر الشعب اللبناني وتضعضعه النفسي ، الناجمين عن المحن الرهيبة التي مرّ بها وذلك لانتزاع تواقيعه على المبادئ التي يروّجون لها ، بعد تطويقه بمختلف الأساليب غير المشروعة ، بدافع من حماسهم غير المتحفّظ . اننا نحتج بأصوات مرتفعة على هذه الممارسات .

ومن جهة ثانية ، فقد وافق مجلس إدارة لبنان على قرار يتعلّق بمستقبل لبنان السياسي . ان النظام الأساسي (١٨٦١ — ١٨٦٤) الذي نصّ على إنشاء هذا المجلس ، قد حدّد مهمته في المادة الثانية كما يلي :

«توزيع التكاليف والتدقيق في واردات الجبل ومصارفاته ، وتبيان آرائه الشورية في المسائل التي يعرضها عليه المتصرّف». وعليه ، فهو لا يملك أيّة سلطة تخرج عن نطاق صلاحياته التي حدّدت بوضوح ، فضلاً عن ان الشعب اللبناني لم يعطه أي تفويض شرعي يخوله حق تقرير مصير لبنان . ولما كان من الواجب تجديد ولاية ثلث أعضاء المجلس كل سنتين ، وبما ان أعضاءه الحاليين قد انتخبوا قبل الحرب ، فان ولاية ثلثي أعضائه هي في حكم المنتهية ، ولا سيّما ان عملية الانتخاب اللازمة لبقائهم في مراكزهم لم تحصل .

اننا نطلب من حكومات الحلفاء التي نكنّ لها الاحترام ، ان تؤمّن للمغتربين اللبنانيين سبل الاتصال الحرّ بوطنهم ، ليعودوا إليه ساعة يشاؤون ، وان تعتبر القرار الذي أصدره مجلس الإدارة معبّرًا عن أماني أعضائه الشخصية ، وبالتالي لا يقيد الشعب اللبناني بشيء ، وان تعتبر المواثيق التي حصلت في هذه الظروف باطلة وملغاة ، وغير معبّرة عن إرادة اللبنانيين الحرّة ، وأن تؤمّن لاستفتاء الشعب اللبناني جميع الضمانات اللازمة لاستقلاليته ، فيحصل بإشراف مندوبين عن الدول العظمى ، ولا يستبعد أن تعترض سبيل القيام باستفتاء عام في البلاد صعوبات كبرى . ويمكننا التأكيد ان قيام جمعية تأسيسية يتراوح عدد أعضائها بين ٢٠٠ و ٣٠٠ عضو ، وينتخبون بالاقتراع الصحيح والمراقب ، ثم دعوتها الى تقرير مصير لبنان ، هو وحده يؤدّي الى اتخاذ قرار عن إرادة الشعب .

تلك هي الأماني التي أخذنا على عاتقنا رفعها بملء حريتنا الى الدول العظمى والحليفة . وأملنا وطيد بأنها ستعير مستقبل هذا الشعب الصغير اهتمامها ، لما قاساه من آلام ، ولتعلّقه الثابت بالقضية الكبرى التي حملت الأمم الحليفة السلاح من أجلها ، ألا وهي قضية الحق والحضارة .

ولنا الشرف في أن نرفع إليكم ربطًا ترجمة لاحتجاجنا الذي وجّهناه الى مجلس إدارة لبنان.
وتفضّلوا، سيدي الرئيس، بتقبّل أسمى عبارات تقديرنا.

رئيس الاتحاد اللبناني
سودا

وبمؤازرة هذه المذكّرة أرفقت دراسة تفنّد المرتكزات التي شكّلت مضمون قرار مجلس الإدارة.

ففي الشكل ثمة طعن بقانونية تمثيل المجلس للشعب اللبناني على اعتبار ان مدته قد انتهت وكذلك عدم حريته في التصرّف من جهة، ومن جهة أخرى بسبب وجود لبنانيين كثر في الخارج لم يتمثّلوا بالوفد الذي أرسله المجلس الى مؤتمر الصلح.

وتذكّر الدراسة بديمقراطية الإمارة اللبنانية (كانتقال الإمارة من المعنيين الى الشهابيين وسقوط بشير الثاني...) وتطالب بتمثّل هذه الظاهرة من قبل مجلس الإدارة.

أما في الموضوع، فتضيف الدراسة، ان مجلس الإدارة اقتصر طلبه على الاستقلال الإداري دون الاستقلال التام، الأمر الذي أدّى الى طلب السيادة الأجنبية بل الى ترك الباب مفتوحًا لإدخال لبنان في دائرة الاتحاد السوري وجعله ولاية سورية مهما اختلفت الأشكال.

وبعد الموافقة على الطلبين الأول والثالث، من قرار مجلس الإدارة يلفت النظر الى ما في القرار من النقص والاهمال:

١. طلبتم في البند الثاني من القرار الاستقلال الإداري، بالشكل المعروف بحسب مبدأ «اللامركزية» فاقتصرتم على قولكم «تأييد استقلال هذا البلد اللبناني بإدارة شؤونه الإدارية والقضائية بواسطة رجال من أهله» وهو استقلال وظائف لا استقلال بلاد قد يكون حظ لبنان منه حظ سائر الولايات السورية.

وطلبتم في البند الرابع معاونة دولة أجنبية «للإدارة المحلية في تسهيل نشر العلوم والمعارف وتقدّم البلاد ورقيّها وإزالة أسباب التفرّق والخلاف وتطبيق الأعمال على محور العدالة والحرية والمساواة وضمان الدولة المشار إليها للاستقلال المذكور منعًا لكل مساس به».

معنى ذلك ان الوظائف الإدارية والقضائية تُسند الى أهل لبنان. وكل ما سوى ذلك يكون للدولة المساعدة او الحامية: فلها نظارات المعارف والمالية والأشغال العمومية والأديان والعدلية والخارجية والعسكرية، وكان الأليق بنا وبكم أن تُذكَر هذه الأمور صريحًا لا أن يُشار إليها من طرف خفي قد يفوت فهمه الأكثرين.

٢. أهمل أمر الحاكم ولم ترد الإشارة إليه بكلمة فلم نفهم ما هو رأيكم فيه: من يكون الحاكم في لبنان؟

٣. أغفلت أيضًا مسألة الحكومة أو الوزارة. وهي كما لا يُخفى أساس كل عمل في البلاد

المستقلة : هل يكون للبنان حكومة مؤلّفة من وكلاء كما في البلدان المتمدّنة. فوكالة للداخلية مثلاً ووكالة للعدلية ووكالة للمالية الخ ، أم لا يكون؟

٤. أيبتدئ القضاء وينتهي في لبنان أم يكون له محكمة تمييز خارجية عنه مسيطرة عليه؟

انكم في ما طلبتموه صريحًا في البندين الثاني والرابع وفي ما أهمل طلبه قد قطعتم أمل لبنان بالاستقلال الصحيح وجعلتموه بحيث يسهل إدغامه في سوريا فيكون ولاية من ولاياتها...

هذا ما رأينا لفت نظركم إليه من حيث شكل القرار وموضوعه خدمة للمصلحة العامة. ولما كان هذا القرار لم يتصل بنا إلاّ بعد ان وضعتموه موضع التنفيذ بايفاد وفد يعرض الطلبات التي تضمنها مؤتمر الصلح ، فلم يكن أمامنا في حين نبسط لكم ما تقدّم إلاّ أن نرفع في الوقت نفسه مذكّرة الى رؤساء الحكومات المتحالفة نحتج فيها على طلب تضييق استقلالنا. ونبسط أماني الشعب اللبناني كاملة وهي «التمتع بالاستقلال التام في حدود البلاد الطبيعية بضمان الدول العظمى».

هذا ونحن على يقين من أنكم تحلّون هذه الملاحظات محلها قيامًا بالواجب المفروض على كل لبناني صادق لبلاده المنكودة الحظ ولأبنائها المقيمين والمهاجرين أبناء اليوم وخصوصًا أبناء الغد[١٤٧]...»

بعد هذه المذكّرة والدراسة المقدّمة الى أعضاء مؤتمر الصلح ، قدّم حزب الاتحاد اللبناني الى كليمنصو مذكّرة أخرى تطالب بإنصاف اللبنانيين والتعويض عليهم من خسائر الحرب ، وتحميل الأتراك دفع التكاليف[١٤٨].

على مستوى آخر لم يقتصر تحرّك الاتحاد اللبناني على المذكّرات النظرية وانما تعداه الى التحرّك الشعبي في مختلف المناطق اللبنانية. وعندما جاءت لجنة كينغ – كراين لاستفتاء شعوب المنطقة بالنسبة الى مستقبلهم ، تمكن الاتحاد من تقديم ٣٦ عريضة تبنّت برنامجه.

وسوف يلعب زعماء الاتحاد الدور البارز في تطوّر السياسة اللبنانية ابّان فترة الانتداب وفي فترة الاستقلال.

٢. جمعية النهضة اللبنانية ودورها في مؤتمر الصلح

كانت جمعية النهضة اللبنانية قد أُنشئت عام ١٩١١ (أواخر شهر آب) على أثر حفلة تكريمية كبرى أقامها نعوم مكرزل[١٤٩] في نيويورك وحضرها العديد من الوجهاء والأدباء والتجار اللبنانيين. ومن الأهداف التي حدّدتها عند نشأتها :

---

١٤٧. هذه المذكّرة – الدراسة موجودة في A.E., V. 7, p. 92-94 . – وكذلك يراجع ، يوسف السودا ، **استقلال لبنان والاتحاد اللبناني في الاسكندرية** ، لا اسم للمطبعة ، لا تاريخ ، ص ١٣١ – ١٣٥.

١٤٨. A.E., V. 10, p. 36-38 (5 fév. 1919)

١٤٩. وُلد في ٢ آب سنة ١٨٦٤ بقرية الفريكه. تعلّم تحت السنديانة ومن ثم في مدرسة الحكمة. غادر الوطن

- المحافظة على امتيازات لبنان
- فتح مرفأ له.
- ترقية شؤونه العمرانية.

وقد حاولت هذه الجمعية ان تتحرّك بالتنسيق مع باقي الجمعيات اللبنانية طارحة القضية اللبنانية قبيل وأثناء الحرب العالمية الأولى. ما يهمنا الآن تسليط بعض الأضواء على نشاط هذه الجمعية ورئيسها نعوم مكرزل في مؤتمر الصلح ١٩١٩ - ١٩٢٠.

أ) ظروف مجيء نعوم مكرزل الى باريس

كانت السياسة الفرنسية بالنسبة لمستقبل المنطقة (سوريا ولبنان وفلسطين) تفتقر للوضوح، كما بيّنا. وكان هناك حاجة من قبل الفرنسيين لقوى إعلامية وسياسية ناشطة تساعدهم في صراعهم ضد المدّ الانجليزي - الشريفي المناهض لهم على امتداد المنطقة.

من هنا فاننا نميل الى الترجيح بأن مجيء نعوم مكرزل الى باريس (١٩١٩)، يعود الى سببين:

- إرادته الصلبة بالدفاع عن استقلال لبنان وتوسيع حدوده في ظل الحماية الفرنسية.
- حاجة الفرنسيين الى شخصية إعلامية (صاحب أكبر جريدة مهجرية) وسياسية (رئيس جمعية النهضة اللبنانية). هذه الشخصية لها تأثيرها ونفوذها في مختلف الأوساط السياسية والدينية والإعلامية في لبنان وفي بلاد الاغتراب.

ولقد كانت المشاورات مستمرة بين مكرزل والفرنسيين ابّان الحرب، وكذلك ازدادت قبيل انتهائها. ففي ٢٨ تشرين الثاني ١٩١٨ يرسل القنصل الفرنسي في نيويورك (ليبرت) تقريرًا[١٥٠] الى وزارة الخارجية الفرنسية عن اجتماع هام عقده مع مغتربين لبنانيين وسوريين أبرزهم نعوم مكرزل مدير جريدة الهدى والدكتور ايوب ثابت وأمين الريحاني. وفي شباط يرسل ليبرت ٣ تقارير على التوالي، يذكر في الأول[١٥١] ان نعوم مكرزل رئيس النهضة اللبنانية هو شخصية هامة ويجب رعايتها عند وصولها الى باريس، وفي التقرير الثاني يشدّد القنصل الفرنسي على ان مكرزل صديق

الى مصر حيث مارس التعليم لدى الآباء اليسوعيين في القاهرة، ثم لم يلبث ان عاد الى لبنان، وبعد سنتين هاجر الى نيويورك مرورًا بباريس. بعد أن مارس التجارة والتعليم انطلق في مهنة الصحافة فأنشأ صحيفة صغيرة دعاها «العصر» عام ١٨٩٤، ثم أنشأ جريدة «الهدى» عام ١٨٩٨، وقد أصبحت تصدر يوميًا من عام ١٩٠٢، وكانت الرابط الهام بين الوطن والمهاجرين. اشترك مكرزل في المؤتمر العربي بباريس (١٩١٣) كما لعب دورًا هامًا خلال الحرب العالمية الأولى فساهم بارسال التبرّعات الى اللبنانيين، ودافع عن القضية اللبنانية بمواجهة الظلم العثماني. كان برنامج جمعيته يتّصف بالطابع الليبرالي. (يمكن مراجعة هذا البرنامج في مجلة المنار، ج ٨، المجلد ١٧، ص ٦١٨ - ٦٢٣).

١٥٠. A.E., V. 3, p. 244-258

١٥١. A.E., V. 9, p. 262

حميم لفرنسا وانه آت الى باريس على ظهر الباخرة فرنسا[١٥٢]. وفي الثالث يحاول التخفيف من مسألة الخلاف بين مكرزل وبين أيوب ثابت مشيرًا الى ان الاثنين يؤيّدان وضع سوريا تحت الوصاية الفرنسية[١٥٣].

ب) البرنامج المقدّم من جمعية النهضة اللبنانية الى المؤتمر

على امتداد عامي ١٩١٩ و١٩٢٠ قدّم مكرزل الى مختلف الأوساط السياسية والدينية والاعلامية في باريس وفي عدة بلدان أوروبية برنامج جمعية النهضة اللبنانية بالنسبة لمستقبل لبنان، وحسبنا التوقّف عند وثيقتين تتشابهان في خطوطها العريضة.

– الوثيقة الأولى مؤرّخة في ١٠ اذار ١٩١٩[١٥٤].

«ان جمعية النهضة اللبنانية[١٥٥] هي جمعية وطنية سياسية واصلاحية، هدفها الدفاع عن مصالح لبنان ونجاحه وإعادته الى حدوده التاريخية والطبيعية، وتأمين حكومة دستورية مستقلة له تحت وصاية فرنسا وحدها، وكذلك تحقيق تنميته السياسية والاقتصادية والاجتماعية وايضًا تأمين التضامن والوحدة الوطنية. وان جمعيتنا ترى ان من الواجب ايكال السلطة الى حاكم فرنسي يقيم في لبنان ويعاونه مستشارون وقائد للجيش كلهم فرنسيون، خدمتهم للبنان تستمر حتى يصبح بمستطاع الشعب اللبناني ان يحكم نفسه بنفسه.

أما بالنسبة للمجلس الوطني الذي تناط به امور التشريع وادارة البلاد، فيجب ان يقتصر على اللبنانيين وحدهم، وتشكيله يتم بالانتخاب وليس بوسائل اخرى، بما فيه حكام المناطق وقضاة المحاكم.

العربية والفرنسية هما اللغتان الرسميتان للبلاد

الجيش اللبناني لا يقوم بالحرب إلاّ على التراب الوطني اللبناني. وذوي الأصل اللبناني هم وحدهم الذين يحق لهم الانخراط في السلك العسكري.

جميع الموظفين في الوظائف العامة يجب ان يكونوا من المواطنين اللبنانيين.

علم لبنان يجب ان يكون علم فرنسا مع وجود الارزة في الجزء الابيض منه.»

– أما الوثيقة الثانية فهي مؤرّخة في ١٤ ايار ١٩١٩، وهي بعنوان «مطالب جمعية النهضة اللبنانية»[١٥٦].

---

١٥٢. A.E., V. 10, p. 55 (25 fév. 1919)

١٥٣. A.E., V. 10, p. 9 (27 fév. 1919)

١٥٤. A.E., V. 10, p. 208 (10 mars 1919)

١٥٥. التسمية الفرنسية للجمعية : «La Ligue Libanaise»

١٥٦. A.E., V. 12, p. 288-289; V. 14, p. 15-16 et V. 125, p. 45-46

« انها جمعية تأسّست في نيويورك عام ١٩١٩، ولها اليوم فروع في كل بلدان الاغتراب، وهي تمثل غالبية المهاجرين اللبنانيين (وبعد ان تورد نصًا مشابهًا للمذكّرة السابقة تضيف) ان تاريخ الشعب اللبناني يشهد، حتى دون العودة الى الفترة الفينيقية، بأنه خاض مجابهات دامية، متفاوتة في حدّتها، وذلك من اجل الحفاظ على استقلاله. وحدوده انكفأت او تمدّدت تبعًا للاحداث والظروف. وهذا الجبل الفخور بنفسه، الذي شكّل على امتداد العصور ملجأ لكل الطوائف المضطهدة في الشرق، حوّله تحالف الاتراك والالمان، بعد الغاء استقلاله، ارضًا خرابًا يرفرف عليها الرعب، فارضين عليه نظامًا من الارهاب والتنكيل بجوع الناس ويتركهم طعمًا للأمراض والأوبئة بشكل منهجي ومنظّم (...).

وتصل المذكّرة الى القول:

ان جمعية النهضة اللبنانية مستندة على مبادئ الحق والعدالة والحرية التي رفعها الحلفاء، تتقدّم بالمطالب التالية:

- تشكيل حكومة لبنانية تمثيلية ومستقلة بمساعدة فرنسا وحدها.
- إعادة لبنان الى حدوده الطبيعية والتاريخية حسب الخريطة الموضوعة من قيادة الحملة الفرنسية على سوريا عام ١٨٦٠ - ١٨٦١.
- استحداث الأنظمة الوطنية التي تستجيب لحاجات البلاد.
- استحداث قانون لأوقاف الطوائف المختلفة الموجودة في لبنان والتي هي بيد رجال الدين بحيث تخضع هذه الأوقاف للضرائب وتبقى مُدارة من رجال الدين، على ان تُنفق فوائض مردودها على التعليم الرسمي وعلى أعمال الخير بما يتفق والهدف الأصلي من قبل الذين أوقفوها.

صاحب الهدى ورئيس جمعية النهضة اللبنانية
نعوم مكرزل

ج) التحرّكات التي قام بها مكرزل لإنجاح برنامجه

ان الأهداف التي وضعها مكرزل نصب عينيه لم تكن كلها سهلة المنال في إطار الصراعات التي كانت محتدمة على صعيد السياسة الفرنسية وعلى صعيد العلاقات مع الانكليز ومع فيصل، وكذلك بالنسبة لتنوّع التيارات ضمن الطوائف اللبنانية.

وبالرغم من اننا، في منهجيتنا لتحليل أحداث التاريخ، أميل الى ايلاء الأهمية لمجموع العوامل المعقّدة والمتشعبة التي تكمن وراء حدث معيّن، إلاّ أننا، في ذات الآن، لا نقلّل من تأثير معيّن قد يلعبه بعض الأفراد. وانطلاقًا من ذلك نؤكّد على أهمية الدور الذي لعبه مكرزل، مع رجالات قلائل آخرين، في طرح المسألة اللبنانية في مؤتمر الصلح.

١. اجتماعاته مع المسؤولين الفرنسيين :

استمر وجود مكرزل في باريس عدة أشهر قابل أثناءها أهم االشخصيات السياسية والعسكرية والدينية ، وتداول معها جوانب المسألة اللبنانية.

في ٢٣ نيسان ١٩١٩ قابل المفوض السامي الفرنسي جورج بيكو ، وقد أكّد المسيو بيكو له - حسب تقرير أرسله الى جريدة الهدى - «ان مبادئنا مطابقة لمبادئه تمامًا وان هذه المبادئ التي تبشّر بها النهضة اللبنانية أصدق وأصرح المبادئ اللبنانية الوطنية. واثباتًا لحديثه معي أرسل في اليوم التالي صديقه الكابتن لويس ماسينيون لزيارتي في نزل الكونتيننتال ليؤكّد لي بالنيابة عنه ارتياحه الى مبادئ النهضة اللبنانية. انا لست ذاهبًا الى لبنان. ولن أعود الى الولايات المتحدة قبل ان يتم لنا النجاح أم الانخذال. لا تنسوا ان هنالك جمعيات وجرائد مشتراة بمال فيجب على اللبنانيين الأصلاء نبذها من بينهم. وهي التي يبيع أصحابها ضمائرهم وتجرّب بيع استقلال لبنان.»

وفي تقرير آخر أرسله في ٢٢ ايار ١٩١٩ يقول : «دعتني اليوم وزارة الخارجية الفرنسية وأخبرتني بأن بروغرام النهضة اللبنانية الذي كان في الوزارة منذ أسابيع قد قُبل بكل مواده (...) سيكون استقلالنا تامًا ولن يكون لنا سوى علائق اقتصادية فقط مع جاراتنا من الولايات السورية...».

وفي ٢٧ ايار ١٩١٩ قابل مكرزل الماريشال جوفر وتحادثا طويلاً وأبدى الماريشال اهتمامه بمسألة لبنان وسوريا ووافق على بروغرام النهضة كل الموافقة.

وتقرير أول حزيران من نفس السنة يشير الى تمكّن مكرزل من مقابلة الجنرال فوش في مكتبه الخاص وعطف هذا القائد العظيم على المسألة اللبنانية.

وفي ٢٢ حزيران ١٩١٩ قابل المسيو بوانكارة رئيس الجمهورية الفرنسية وقدّم له الراية اللبنانية الحريرية التي اقترحت شكلها النهضة اللبنانية. وقد طلب منه الرئيس الفرنسي ان يحمل للبنانيين ما معناه : «قل لهم ان فرنسا لا يمكن ان تتخلّى عن مساعدة لبنان الذي تحبّه. وهي التي خلصته وسوف تخلّصه وتحرّره وتنيله استقلاله وتساعده عملاً برغائب ومطالب أبناء لبنان في بروغرام النهضة اللبنانية.»

وفي ٢٦ آب ، عند الساعة الحادية عشرة صباحًا (عام ١٩١٩) يكون مكرزل في صحبة البطريرك الحويك اثناء اجتماعه مع المسيو بيشون وزير الخارجية[١٥٧].

وفي ٨ تشرين الثاني ١٩١٩ يجتمع نعوم مع بيشون ويتداولان في ما وصلت إليه المسألة اللبنانية[١٥٨].

---

١٥٧. تاريخ جريدة الهدى والجوالي اللبنانية في أميركا ١٨٩٨ - ١٩٦٨. لا اسم للمؤلف ، مطبعة الهدى ، ١٩٦٨ ، ص ٤٠ - ٤٥.

١٥٨. A.E., V. 125, p. 43 (8 nov. 1919)

وفي ١١ تشرين الثاني ١٩١٩ عاد مكرزل الى نيويورك فاستقبل من قبل المهاجرين بحماس. وبعد وصوله تلقّى البرقية التالية من وزير الخارجية الفرنسي[١٥٩] :

«المسيو نعوم مكرزل رئيس النهضة اللبنانية.

سيدي الرئيس

لي الشرف أن أعلمك بوصول الأوراق والسجلاّت التي تكرّمت بإرسالها إلي في كتابك المؤرّخ في ٨ تشرين الثاني وقد اطّلعت على مضمونها بأشد الاهتمام.

انك تعلم حق العلم شعور المحبة القوية التي تخالج ضمير الأمة الافرنسية نحو مواطنيك الذين أبانوا لها في اثناء الحرب بالبراهين الكثيرة مبلغ تعلّقهم بها. فكن على يقين من أن أماني النهضة اللبنانية تمكّنت تمامًا من قلب فرنسا. وأرجو منك ان تكون لدى النهضة ترجمان امتنان فرنسا وتشكراتها وان تؤكّد لها ان حكومة الجمهورية تثابر دائمًا على الدفاع عن حقوق اللبنانيين ومطاليبهم العادلة الحقة. وانني يا سيدي الرئيس أحسب نفسي سعيدًا باغتنامي هذه الفرصة لأفصح لك تكرارًا عن عواطف امتنان امتي وحكومتي للحمية الشريفة التي ما فتئت تظهرها سواء في أميركا وفي فرنسا من أجل غايتكم وغايتنا وكنت أودّ لو قبلت منا البرهان الحسي على اعترافنا بجميلك ومع ذلك لا يسعني إلاّ الامتداح من العواطف التي أملت عليك ما قرّرته بشأن الوسام الذي كانت حكومة الجمهورية تعد نفسها سعيدة بمنحك اياه. تكرّم يا سيدي الرئيس بقبول اعتباري الفائق. (ستيفن بيشون)

٢. أساليب العمل التي اتبعها :

لقد استعمل مكرزل عدة أنواع من الأساليب للوصول الى ما كان يعتبره صالحًا لخدمة المسألة اللبنانية.

— استعمل أسلوب الهدايا الشخصية : فعندما زار الماريشال جوفر أميركا قبيل انتهاء الحرب، ليشكر باسم فرنسا الشعب الأميركي على المساعدات المقدّمة منها لفرنسا، وأثناء حفلة استقبال أقامها الماريشال في مبنى المكتبة الوطنية، في نيويورك، لاستقبال وفود الجاليات الفرنسية وممثلي المنظمات السياسية والخيرية التي تربطها بفرنسا صلات الود والصداقة، مثل النهضة اللبنانية نعوم مكرزل وقدّم للماريشال صندوقًا من الفضة وفيه ألف دولار ذهبًا. كما قدّمت له النهضة قلمًا ذهبيًا مرصّعًا بألماس. وقد تقبّل الماريشال الهدايا بامتنان وأكّد على عمق الصداقة مع الشعب اللبناني.

وعندما زار مكرزل، في ٢٢ ايار ١٩١٩، الماريشال جوفر، قدّم له من جديد، باسم النهضة، كرباجًا من الفضة الخالصة مصنوعًا في لبنان مع مبلغ من المال لإعانة أيتام الفرنسيين

١٥٩. تاريخ جريدة الهدى، المرجع السابق، ص ٤٦.

الذين يهتم بمساعدتهم . وكذلك قدّمت الهدايا الى فوش . والى الكاردينال مرسيه البلجيكي (البطل الوطني) قدّم مكرزل هدية مالية لتُصرَف على أيتام البلجيك فكان لها وقعها الكبير في نفسه[١٦٠] .

– واستعمل أسلوب التعبئة الدينية ، فلقد اتصل بمختلف رجالات الدين الفرنسيين وغير الفرنسيين وركّز على القصادة الرسولية في باريس ، وكان للكاردينال الفرنسي ديبوى الدور الكبير في دعم المسألة اللبنانية . أما عن نفوذه لدى الاكليروس اللبناني من مختلف الطوائف فتشهد عليه جملة وثائق في الخارجية الفرنسية ، أبرزها تلك التي تطلب فيها وزارة الخارجية الفرنسية منه التدخّل لدى البطريرك الماروني علّه يضغط على شقيقه الموجود في باريس ، والذي كان من دعاة التيار الاستقلالي عن فرنسا ، بهدف التخفيف من تحرّكاته[١٦١] .

– أما على الصعيد الإعلامي فقد برع مكرزل وأجاد . فبموازرة حملاته الإعلامية المستمرة في جريدة الهدى اتّبع أسلوب البرقيات الكثيفة باتجاه المسؤولين الفرنسيين . فابان وجوده في باريس كان يضغط باستمرار على مؤيّديه لإرسال البرقيات ، والعرائض . ففي ١٧ نيسان كتب الى الهدى يقول : «أبرقوا الى اللبنانيين في كل مدينة واجمعوا أصواتهم وأرسلوها إلي» . وقد لبّت النهضة اللبنانية الطلب وأرسلت لصاحب الهدى عرائض المهاجرين فقدّمها الى المراجع الرسمية . فهذه برقية من مكسيكو تؤكّد على مطالبة آلاف اللبنانيين بالاستقلال الذاتي والحدود الطبيعية والحماية الفرنسية وتأييد نعوم مكرزل في مؤتمر الصلح[١٦٢] .

وهذه رسالة أخرى من فنزويلا تطالب ببرنامج النهضة اللبنانية[١٦٣] .

وقد كان من شأن التحرّك الواسع لمؤيّدي جمعية النهضة اللبنانية ان أرسل القنصل الفرنسي في واشنطن جيسراند (Jusserand) رسالة الى وزارة الخارجية الفرنسية في ١٠ نيسان ١٩٢٠ يبرز فيها قوة التيار الداعي للبنان الكبير والحماية الفرنسية في أوساط الجاليات اللبنانية في أميركا . ويقدّر هذا التقرير مؤيّدي مكرزل بنصف مليون انسان[١٦٤] .

لقد كان نعوم مكرزل شخصية تتمتّع بميزات عديدة أهّلته أن يلعب دورًا بارزًا في مرحلة هامة من تاريخ لبنان المعاصر . ولئن كانت شخصيات كيوسف السودا وخيرالله خيرالله وانطون الجميل وعباس المصري وغيرهم تبدو لنا أكثر نصاعة وأعمق استقلالاً وأشدّ صلابة في وجه الأجنبي ، أيًا كان هذا الأجنبي ، إلاّ ان الحسّ العملي في المجال السياسي والتحرّك الدؤوب ، عند ابن الفريكة ، يبقى مجال تأمّل وتحليل .

---

١٦٠. المرجع السابق، ص ٣٨ – ٤٢.

١٦١. A.E., V. 13, p. 112

١٦٢. A.E., V. 11, p. 185 (2 avril 1919)

١٦٣. A.E., V. 125, p. 11

١٦٤. A.E., V. 125, p. 163 (10 avril 1920)

٣. الرابطة اللبنانية في باريس Le Comité Libanais de Paris

بينما كان حزب الاتحاد اللبناني في مصر وفي بلدان الاغتراب يتحرّك بفعالية ، منذ ١٩٠٩ ، طارحًا المسألة اللبنانية ومطالبًا بجملة إصلاحات يرى ضرورة إدخالها على نظام المتصرفية ، وعلى اثر انطلاق جمعية النهضة اللبنانية في نيويورك عام ١٩١١ ، لبّى بعض المقيمين في باريس من اللبنانيين دعوة موجّهة إليهم من خيرالله خيرالله[١٦٥] وذلك في أول حزيران ١٩١٢.

في هذا الاجتماع انتخب المجتمعون شكري غانم كرئيس وخيرالله خيرالله ككاتم أسرار لجمعية جديدة تمّ إنشاؤها وتحمل اسم «اللجنة اللبنانية في باريس» «Le Comité Libanais de Paris» وقد قدّم خيرالله خيرالله ، في هذا الاجتماع مذكّرة عن الوضع في لبنان واستخلص بعض النتائج. ويبدو ان قيادة «اللجنة» انطلقت من «المذكّرة» التي تمّت مناقشتها في الاجتماع ، الى وضع مذكّرة شاملة حول المسألة اللبنانية ، قدمتها الى ممثلي مختلف الدول الأوروبية[١٦٦]. ويستنتج من مضمون المذكّرة :

– ان خيرالله مطّلع بعمق على جزئيات الأوضاع في المتصرفية.
– انه يسعى لتوسيع حدود لبنان.
– انه يحاول تحقيق برنامج فيه الكثير من الملامح الليبرالية.

في عام ١٩١٣ جاء خيرالله الى لبنان ، بعد ان عرّج على مصر واتصل بالقيادات اللبنانية هناك. وبادر بانشاء عدة فروع للجنة اللبنانية في بعض المناطق اللبنانية وفتح حوارًا عميقًا مع القيادات الإسلامية في بيروت. كما عاد بعرائض شعبية[١٦٧] طالبت بتوسيع لبنان الى حدوده

---

١٦٥. من مواليد قرية جران ، بمنطقة البترون (٢٧ كانون الثاني ١٨٨٢). تلقّى دروسه الأولى في مدرسة القرية وبعدها انتقل الى مدرسة النصر في كفيفان ، فمدرسة مار يوحنا مارون في كفرحي. ومن ثم التحق بمدرسة الآباء اللعازاريين في عينطورا عام ١٨٩٥ ، واختير ليُعَدّ كاهنًا. في عام ١٩٠١ أرسله البطريرك الحويك الى بلجيكا لمتابعة دروسه الفلسفية واللاهوتية ، ولكنه ، بعد سنوات ثلاث ، ترك بلجيكا وعاد الى لبنان رافضًا الانضواء في سلك الكهنوت. في لبنان مارس التعليم في عدة مدارس ، وقام بترجمة بعض الكتب من العربية والفرنسية ، وعمل كترجمان لدى المتصرف مظفّر باشا. ولكنه ما لبث ان استقال وانصرف للكتابة في الصحف والمجلات. عام ١٩١١ سافر الى باريس ، ومارس الكتابة في عدّة مجلات وصحف كانت تهتم بالعالم الإسلامي وخاصة جريدة (Le Temps). كما قُبِلَ كعضو في الجمعية الاسيوية.

يُعتبَر خيرالله ، دون مبالغة ، أبرز الوجوه الفكرية التي طرحت القضية اللبنانية باستقلالية وعمق ، وهو يُعتبَر مهندس فكرة التعايش بين «المسألة اللبنانية» في بُعدها الاستقلالي والديمقراطي ، و «القضية العربية» بما هي قضية تحرّر من الهيمنة الخارجية والتخلّف الداخلي.

١٦٦. K. T. KHAIRALLAH, *Les régions arabes libérées*, Éd. Ernest Leroux, 1919, p. 65

ونصّ هذه المذكّرة نُشر بالعربية في جريدة البرق ، السنة الرابعة ، العددين ١٨٩ و ١٩٠ (١٩١٢) ص ٣٠٣ – ٣١٣.

١٦٧. قيل ان هذه العرائض قُدِّمت باسم ٣٠٠ ألف لبناني ووقّع عليها مئة وثلاثة عشر شيخ صلح و ١٧ مديرية – K. T. KHAIRALLAH, *op. cit.*, p. 66-67.

الطبيعية والتاريخية وقدّمها الى وزارة الخارجية الفرنسية. وباستثناء بعض المحاضرات[١٦٨] والمقالات، لم تقم اللجنة اللبنانية، وزعيمها خيرالله، بالكثير من النشاطات.

ولكن منذ مطلع عام ١٩١٩ جدّدت اللجنة اللبنانية نشاطها وبدأت تحرّكها.

أ) أبرز أعضائها:

يورد تقرير[١٦٩] مؤرّخ في ٦ شباط ١٩١٩ لائحة بأعضاء اللجنة اللبنانية في باريس مع عناوينهم واصفاً اياهم بأنهم «معارضون للتحرّك الفرنسي في سوريا»: عباس بجاني، سيزار باسيم، حبيب زغبي، هـ. هيكل، الياس منسّى، انطوان زوين، فارس حنا، الياس عاد، سعد نجيم، خيرالله خيرالله، جوزف حويك[١٧٠] قزي، ميكال ابو حمد، فرح فرح، هيكل، المونسنيور فارس، نسيب نجيم، جوزف فرح.

ويبدو ان رئيس اللجنة هو عباس بجاني وسكرتيرها العام هـ. هيكل. أما خيرالله خيرالله فهو الموجّه الفكري للجنة.

ب) برنامج اللجنة وتحرّكاتها:

على أثر اجتماعها في ٥ شباط ١٩١٩ قدّمت اللجنة الى وزارة الخارجية الفرنسية المذكّرة التالية[١٧١]:

«باريس ٨ شباط ١٩١٩

السيد وزير الخارجية ستيفان بيشون – الكي دورسه

ان اللبنانيين الموجودين في باريس، والمجتمعين في جمعية عامة بتاريخ ٥ شباط ١٩١٩، قد كوّنوا لجنة هدفها تحقيق استقلال لبنان في حدوده الطبيعية والتاريخية وهذه اللجنة تتمتّع وحدها بصفة التمثيل للبنانيين الموجودين في باريس امام المراجع المختصة.

آملين أن تأخذوا بعين الاعتبار تصريحنا، نرجو منكم، يا سعادة الوزير، ان تتقبّلوا أسمى عواطفنا الممتازة.

السكرتير: هـ. هيكل

الرئيس: عباس بجاني».

---

١٦٨. أبرزها تلك المحاضرة التي ألقاها في الندوة العلمية بباريس حول «المسألة اللبنانية» وقد طُبعت في كتاب مستقل.

١٦٩. A.E., V. 9, p. 128

١٧٠. ربما يكون هو نفسه النحّات يوسف الحويك.

١٧١. A.E., V. 9, p. 148

وفي ٩ شباط ١٩١٩ اجتمعت اللجنة وقرّرت ما يلي :
١. ايصال برنامجها الى القوى الكبرى ، تبعًا لقرارها المتخذ في ٥ كانون الثاني .
٢. الوقوف ضد وفد داود عمون .
٣. الطلب من المؤتمر الاستماع الى اللجنة .
٤. تكليف خيرالله بطرح وجهة نظر اللجنة امام مؤتمر الصلح[١٧٢] .

وانطلاقًا من ذلك وجّهت اللجنة الى مؤتمر الصلح المذكّرة التالي نصّها[١٧٣] :

«باريس ١٤ شباط ١٩١٩ ،

حضرة السكرتير العام

ان اللجنة اللبنانية تتوجّه الى عدالة وتجرّد مؤتمر الصلح ليكون لها حق تقديم وجهة نظرها المطالبة **بالاستقلال** بالنسبة للمسألة اللبنانية .

فلقد استمع المؤتمر الى الأمير فيصل مندوب الحجاز الذي استدرج الكلام عن لبنان في سياق عرضه للقضية العربية وبنوع خاص للقضية السورية .

كما استمع المؤتمر لشكري غانم . رئيس اللجنة المركزية السورية ، والذي يحمل الجنسية الفرنسية ويمثّل وجهة النظر الفرنسية .

وسمع المؤتمر ايضًا للسيد بلس مدير الجامعة الأميركية في بيروت ، وهو شاهد حيادي نقدّر قيمته الأخلاقية العالية .

وسيزمع المؤتمر ان يستمع للوفد المرسل من قبل مجلس الإدارة اللبناني ، وهو الذي يمثّل ايضًا وجهة النظر الفرنسية .

أليس من الإنصاف ان يفسح المجال اللبناني ، أمام المؤتمر لعرض وجهة النظر الوطنية في المسألة اللبنانية؟. وتقبّلوا يا حضرة السكرتير العام أسمى معاني التعبير عن عواطفنا الممتازة .

الرئيس : عباس بجاني

السكرتير : هـ. هيكل»

هذا التحرّك المطالب بالاستقلال للبنان ، والرافض للوفود المؤيّدة للهيمنة الفرنسية أزعج الدوائر الفرنسية المعنية بوضع المنطقة .

ففي ٤ شباط ١٩١٩ قدّمت ملاحظات للسيد (غوت) جاء فيها[١٧٤] :

«لقد طلبت مني – بإحالتك إلي رسالة شكري غانم – أن أكتب للأمن العام والى دائرة

---

١٧٢. K. Khairallah, *op. cit.*, p. 72

١٧٣. A.E., V. 9, p. 229

١٧٤. A.E., V. 9, p. 187

البوليس لفرض مراقبة علانية على هؤلاء السوريين المنشقّين. وأجد من واجبي لفت انتباهكم الى أن الفرصة أضحت مناسبة لتزويد الإدارة بالأسماء والعناوين. ويمكننا كذلك أن نطلب بسرعة ايصال كل الرسائل المرسلة الى هؤلاء السوريين لفحصها لديكم. هذه قضية تُعتبَر مستجابة. يبقى ايضًا أن نترقّب للمستقبل منذ الآن، ما ماهية الإجراءات التي يجب علينا اتّخاذها ضد هؤلاء الأشخاص الذين، برأيي، قد أسرفوا في استغلال كرم ضيافتنا.

قال لي الدكتور سمنه، منذ قليل، ان خير سبيل للقضاء على تحرّكهم، يكون بإرسالهم الى سوريا، حيث يلاقون، كما يقول سكرتير اللجنة المركزية السورية، رفضًا معنويًا من قبل مواطنيهم. ولا أخال ان السيد بيكو يمكن أن يهنأ على هذه الهدية التي نرسلها إليه.

من جهة أخرى أجدني بحاجة لتذكيركم انه ستصل إلينا قريبًا، الرسالة التقليدية من إدارة البوليس بموضوع خيرالله حيث ان بطاقة إقامته قد رُفضت. هل يجب أن نؤكّد على القضاء على جرثومة الفساد هذه. القضية تبدو لي انه من الواجب، منذ الآن، أخذ الحيطة لأنه من الجوهري تحديد المدى الذي يمكن أن نصل إليه لنفهم هذا السوري، ان صبرنا له حدود. ومن البديهي أن يعلم انه اذا كان في بريطانيا واتخذ موقفًا سياسيًا معارضًا لمصالحها ولقضيتها في الخارج، فانه يُطرد خارجًا دون تردّد، ولكننا لسنا هنا في انجلترا».

باريس في ٤ شباط ١٩١٩ السيد ويت[١٧٥] (Wiet)

وفي سياق حملة المضايقة لقادة الحركة الاستقلالية اللبنانية أرسل وزير الخارجية الى وزير الداخلية (إدارة الأمن العام) الرسالة التالية:

«٧ شباط ١٩١٩ [١٧٦].

«لقد نمي الى أجهزتنا انه قامت حديثًا في باريس لجنة من قبل بعض السوريين واللبنانيين. واتجاهات هذه اللجنة مدانة من جانب أكثرية مواطنيهم، وأعضاؤها يسعون للادّعاء بحق التدخّل الرسمي في تسوية المسائل المتعلّقة بلبنان، علمًا أن لبنان أرسل وفدًا خاصًا اعتمد، لهذا الهدف، من قبل الحكومة الفرنسية.

هذه اللجنة التي يترأسّها خيرالله خيرالله[١٧٧]، والتي كانت موضوع اتصالات سابقة من قبل وزارتنا، تقوم حاليًا بحملة معادية ليس فقط لمصالح بلادنا العامة في سوريا، ولكن أيضًا معادية لمصالح السكان اللبنانيين والسوريين. ولقد ثبتت هذه اللجنة مقرّها عند عباس بجاني، ١٣ شارع شابرول، واتّخذت عنوانًا تلغرافيًا مناسبًا، وهو العنوان «اللبناني».

ان أجهزتنا لها مصلحة أن تكون مطّلعة على كافة الاتصالات التي يقوم بها أعضاء هذه

---

١٧٥. الاسم غير واضح تمامًا.

١٧٦. A.E., V. 9, p. 132

١٧٧. ربما يقصد الرئاسة الفكرية والمعنوية.

اللجنة ، وذلك للاستخبار على دسائسها الحالية. ويبدو اننا مجبرون على الطلب منكم إطلاعنا بسرعة على المعلومات اللازمة بما يتعلّق بالاتصالات الموجّهة الى أحد أعضاء اللجنة اما من فرنسا أو من الخارج.

يجب إطلاعنا على كل ذلك في أقرب فرصة لتحليلها من قبل الجهات المختصة (...) ويتمّ ذكر أسماء اللجنة الواجب مراقبتهم.

٤. حركة ربيع ١٩١٩:

كان التيار المسيحي المتشدّد في دعوته لاستقلال لبنان عن كل وحدة مع الداخل السوري يزداد تخوّفه من تصاعد نفوذ القوى الداعية للوحدة السورية في دوائر السياسة الفرنسية ، كما كان يتخوّف هذا التيار من إمكانية الاتفاق بين فيصل والفرنسيين على حساب برنامجه. خاصة وان فيصل عاد من مؤتمر الصلح ، في أواخر نيسان ١٩١٩ ، الى دمشق وألقى فور عودته خطابًا[١٧٨] أعلن فيه إذعان الحلفاء لمطالبه باستقلال سوريا الطبيعية ووحدتها.

انطلاقًا من ذلك قامت حركة شعبية في مختلف المناطق المسيحية ، تجسّدت في مجموعة من العرائض والمظاهرات والبرقيات ، وكلها تؤكّد على استقلال لبنان ، وتوسيع حدوده وبعضها يطالب بالوصاية الفرنسية.

«في ١٩١٩/٣/٢٣ حاكم لبنان ، أفاد مدير جبيل ان أهالي المديرية اجتمعوا وطلبوا استقلال لبنان التام مع إعادة المسلوخ من أراضيه وعدم اندماجه بسواه ويلتمسوا رفع نداهم للمراجع العالية.

قائمقام كسروان ، عزيز[١٧٩]

وفي نفس التاريخ هناك برقية من بلدية جبيل بنفس المعنى[١٨٠]

«٢٥ اذار ١٩١٩ ، حاكم لبنان ، الساعة صفر عندى أعيان ووجهاء القضاء وجمهور الأهالي وطلبوا إلي بكل إلحاح وحماس أن أرفع لناديكم طلبهم استقلال لبنان التام واعطائه حدوده الطبيعية القديمة ويلتمسون شمول طلبهم هذا بالتفاتكم ورفعه الى المرجع الأعلى رجاء إجابته طلبهم.

قائمقام قضاء جزين ، ميشال[١٨١]

---

١٧٨. الخطاب أُلقي في ٥ ايار ١٩١٩.
١٧٩. A.E., V. 13, p. 149
١٨٠. A.E., V. 13, p. 147
١٨١. A.E., V. 13, p. 151

«٢٥ مارس ١٩١٩ ، حاكم لبنان

جمهور غفير أوفر عددًا من الذين تجمهروا اول أمس أقام مظاهرات عظيمة طالبًا استقلال لبنان الكبير غير مندمج بسواه.

عن قائمقام البترون ، ابراهيم ابو سمرا غانم[١٨٢]

الساعة الحادية عشر من هذا الصباح احتشد جمهور غفير من أكثر انحاء القضاء امام مركز الحكومة ومعهم قطعة قماش مصوّر عليها رسم الأرزة وأخذوا ينادون بطلب استقلال لبنان رافضين اندماجه بسواه وإعادة الأراضي المسلوخة عنها ولم ينفكّوا عن الضجيج من أمام المركز إلاّ بعد أن وعدتهم برفع مطاليبهم لمعاليكم.

قائمقام البترون كسروان[١٨٣]

«١٩١٩/٣/٣١ ، حاكم لبنان ،

ترد إلينا الإفادات المتواصلة من المدراء ان الأهالي تجمهروا بمراكز النواحي ونادوا بطلب استقلال لبنان التام وإعادة أراضيه المسلوخة عنه وعدم اندماجه بسواه ويؤيّدون قرار مجلس الإدارة الكبير الصادر مؤخرًا بهذا الشأن وطلبوا بإلحاح رفع نداهم لمعاليكم.

قائمقام البترون كسروان[١٨٤]

«٢٥ مارس ١٩١٩

قوميسيرية فرنسا العليا ،

جمهور الشمال يكرّر طلبه تأييد استقلال لبنان التام وإعادته حدوده المغصوبة وانفراده عن سواه بمساعدته دولتكم الفخيمة لا تنفك عن هذا الطلب مهما كلّفنا.

قوميسيون بلدية اهدن

أصالة ونيابة رئيس ، رشيد معوض[١٨٥]

«٢٩ اذار ١٩١٩ بعبدا حاكم لبنان.

اليوم اجتمع جماهير الأهالي من عموم القرى ونادوا باستقلال لبنان الكبير بحدوده الطبيعية التاريخية والجغرافية استقلالاً تامًا ديمقراطيًا جمهوريًا ولا يقبلون بحدوده الموضوعة سنة الستين.

---

١٨٢. A.E., V. 13, p. 143-144

١٨٣. A.E., V. 13, p. 143-144

١٨٤. A.E., V. 13, p. 156

١٨٥. A.E., V. 13, p. 146

وألّفوا لجنة نابت عنهم لمراجعة دول الحلفاء لتأييد استقلالهم المذكور ولم ينصرفوا حتى استوثقوا بتقديمنا هذه العريضة لسعادتكم.

عن وكيل قائمقام الكورة، يوسف زخريا[١٨٦]

«سعادة المعتمد الفرنسي المسيو بيكو.

تأبى الأمة الافرنسية النبيلة التي تمثّلونها والعدالة ضحية منة شعب هرقت لأجلها دماء أجداده واستشهدت مائتي ألف نفس لتمسّكها بها وهي استقلال جبلنا بامتيازاته وبحدوده الطبيعية المشهورة تحت رعاية الدولة الافرنسية منفصلاً عن سوريا. لا ننفك عن المطالبة بحقوقنا الساطعة واذا تعمّدت السياسة ضررنا وتضحيتنا أعدّوا لنا طرق المهاجرة.

أهالي قرية سرعل – أهالي قرية كفرصغاب – أهالي قرية عين طورين – أهالي قرية طورزا – عربة قزحيا – قرية بان – قرية أيطو – علوان خليل حصر – اسطفان روكز – يوحنا الخوري – داود الياس – طنوس روحانا – وكيل شيخ قرية سرعل الخوري جبرائيل ملكوني[١٨٧]»

«١٩١٩/٥/١٧ بعبدا حاكم لبنان.

نثبت عرايضنا السابقة بإعادة نطاق لبنان لحدوده القديمة على استقلاله الإداري والسياسي والاقتصادي تحت ضمانة دولة فرنسا الفخيمة.

عن عموم أهالي دير القمر – مجلس بلديتها[١٨٨]»

«١٩١٩/٥/٢٠

رفع لنا عريضة من أهالي القضاء على اختلاف المذاهب والطوائف يطلبون فيها ان نبلغكم تمنياتهم بشأن مصير بلادهم وهي تنحصر في طلب استقلال لبنان الكبير استقلالاً تامًا وإعادته الى حدوده الأصلية الطبيعية المغصوبة.

قائمقام زحلة ميخائيل[١٨٩]»

«عريضة من سكان بعبدا الى مجلس إدارة جبل لبنان الموقّر ٢٠ ايار ١٩١٩ تطالب باستقلال

---

١٨٦. A.E., V. 13, p. 138

١٨٧. A.E., V. 13, p. 145

١٨٨. A.E., V. 13, p. 135

١٨٩. A.E., V. 13, p. 133

لبنان استقلالاً تامًا بمساعدة الدولة الافرنسية الفخيمة وان تُعاد إليه الأجزاء التي فُصلت عنه وان لا يكون له علاقة سياسية وإدارية بسواه.

الامضاءات[190]

«١٩١٩/٥/٢١

بعبدا – لجانب حاكمية لبنان.

نسترحم طلب تأييد استقلال لبنان التام بحدوده المغصوبة منه وانفراده عن سواه بمساعدة دولة فرنسا الفخيمة ونرجو رفع طلبنا هذا لجانب المؤتمر العالي في باريس.

بلدية جبيل – أصالة ونيابة[191]»

«٢١ ايار ١٩١٩

بعبدا رياسة مجلس إدارة لبنان

نطلب باستقلال لبنان الكبير بحكومة ديمقراطية على الوجه الذي قرّره المجلس استقلالاً تامًا عن الحكومات المجاورة، شكّلنا لجنة مؤقّتة، الشعب المتني باشر انتخاب وكلائه بالجمعية الوطنية لتحقيق هذه الأمنية، خابر بقية الأقضية بذلك.

سليم ابي ياغي – حنا راشد – ملحم حنا – مخائيل بشير يوسف – الياس مشرق – فؤاد عقل – أسعد طوبيا – طنوس فريحة – منصور ناكوزي – سعيد بليبل – عبدالله بليبل – ابراهيم خليل الرياشي – أسعد زحلان باخوس – توفيق فرسان – يوسف ابي حمد – طانيوس عقل – خليل رستم بدور – حنا نوهرا – حبيب زغزغي – انطوان عبدالله – رشيد الحاج – منصور غانم – قيصر باخوس – بولس بو جوده – نعوم هارون – رشيد أسعد صعب – فؤاد ابي ناضر[192].

«٢ حزيران ١٩١٩ حكومة لبنان

أفاد مديرو غوسطا وجرد جبيل والمنيطرة وجبيل العليا والسفلى وجرد كسروان ان الأهالي تألّفوا جمهرة غفيرة يطلبون استقلال لبنان مع إعادة أراضيه المسلوخة عنه وعدم اندماجه بسواه ويرجون رفع نداهم للمراجع الايجابية. عن قائمقام كسروان بطرس[193].

---

١٩٠. A.E., V. 13, p. 160

١٩١. A.E., V. 13, p. 130

١٩٢. A.E., V. 13, p. 161

١٩٣. A.E., V. 13, p. 157

بالإضافة الى هذه العرائض والتقارير هناك العديد من البرقيات : منها واحدة من بشري[١٩٤] ، وأخرى من برمانا[١٩٥] ، وثالثة من عمشيت[١٩٦] ، ورابعة من البترون[١٩٧] ، وخامسة من بيت الدين[١٩٨] ، وسادسة من طرابلس[١٩٩] ، وسابعة من الدوق (البترون)[٢٠٠] .

١٩٤ A.E., V. 13, p. 136

١٩٥. A.E., V. 13, p. 131

١٩٦. A.E., V. 13, p. 132

١٩٧. A.E., V. 13, p. 159

١٩٨. A.E., V. 13, p. 134

١٩٩. A.E., V. 13, p. 153

٢٠٠. A.E., V. 13, p. 155

مواقف بعض النُّخَب الإسلامية
١٩١٨ — ١٩٤٣
من رفض الدّولة اللبنانية الى التعايش الميثاقي*

* صدر في مجلة الواقع، العدد ٥— ٦، ت[1] ١٩٨٣.

هذا البحث هو جزء من بحث مطوّل يتناول مواقف مختلف النخب الطائفية اللبنانية من مسألة الدولة اللبنانية في مرحلة ما بعد ١٩١٨.

وهدف الباحث هو الإنطلاق من استجلاء المواقف التاريخية لمجمل الكتل الإجتماعية المشكّلة للمجتمع اللبناني، بروح علمية وموضوعية، والخروج من تحليل هذه المواقف بقوانين تاريخية — إذا أمكن — تسمح بالانتقال — تالياً — إلى طرح تصوّر مستقبلي لما يمكن أن يشكل نظاماً سياسياً لبنانياً ينسجم مع حركة التقدّم، ويرسي القضية اللبنانية على أسس السلام والحرية والديمقراطية الحقيقية.

* * *

كانت أغلبية النخب الإسلامية بين ١٩١٨ — ١٩٢٠ تقف إلى جانب الحكومة الفيصلية في الشام. فرياض الصلح كان من بين الذين بايعوا فيصل ملكاً على سوريا. ومختار بيهم وعلي سلام وعمر الداعوق كانوا من مؤيّدي الدعوة الشريفية[١]. وفي رسالة[٢] أرسلها Picot بتاريخ ١٥ ت٢ ١٩١٨ إشارة إلى مظاهرات تحمل علم فيصل قامت في بيروت واجتماع عام عقد عند أحد زعماء المسلمين. وفي تقرير إلى وزارة البحرية مرسل بتاريخ ٢٦ ت٢ حول الوضع في طرابلس إشارة إلى أن قسماً كبيراً من المدينة يؤيّد الإنضمام إلى فيصل[٣]. وفي ٢٩/ ١٢/ ١٩١٨ يذكر جهاز الاستخبارات البحرية أن «مسلمي بيروت هم على أهبة الثورة ويطالبون بسيطرة السلطة الشريفية[٤]، وكذلك تظاهر مسلمو طرابلس وصيدا مطالبين العرب باليقظة وبالنهوض للاستقلال»[٥]. ومن ناحية أخرى وقع وجهاء بيروت السنّة ومتاولة من الجنوب عرائض تطالب بتنظيم سوريا على أساس الكانتونات ذات الشكل الديمقراطي في إطار سوريا الفدرالية[٦].

---

١. وثائق وزارة الخارجية الفرنسية: Levant - E. Syrie - Liban, V9, p. 1 (وسنشير إلى هذه الوثائق من الآن فصاعداً بالمصطلح A.E.)

٢. المرجع نفسه، ج ٧، ص ١٢٦.

٣. المرجع نفسه، ج ٥، ص ٤١.

٤. المرجع نفسه، ج ٧، ص ٢٧٣.

٥. المرجع نفسه، ج ٦، ص ١٨٣.

٦. المرجع نفسه، ج ١٣، ص ٩٠؛ ج ١٢، ص ٢٨٠؛ ج ٩، ص ١٦٦.

وقد جاء في جريدة الحقيقة التي كانت تعكس وجهة النظر الإسلامية «نريد الإستقلال ووحدة سوريا. لبنان كان عثمانياً وحرّره فيصل كما حرر سوريا كلها فلا مناص من بقائه ضمن سوريا»[٧]. ويعتبر راشد طبارة، في نفس الجريدة، أن المسألة اللبنانية داؤنا الحاضر والمسألة الصهيونية داؤنا المقبل، معتبراً أن الوحدة السورية هي الحل[٨].

وذكرت جريدة لسان الحال أن من بين الوفود التي بايعت فيصل عبد الحسين الصادق عن جبل عامل، إبراهيم أفندي الخطيب عن جنوب لبنان، الشيخ عبد القادر المغربي عن طرابلس، رضا بك الصلح عن بيروت، رياض بك الصلح عن صيدا، الأمير أسعد الأيوبي عن مسلمي لبنان[٩].

ويؤكد بيكو لبيشون، في ١٩ أيار ١٩١٩، أن المسلمين ينقسمون إلى فريقين:

من جهة، الأكثرية العظمى تؤمن بضرورة إبقاء سوريا موحدة ومستقلة تحت رعاية فيصل.

ومن جهة أخرى، ثمّة فريق آخر يؤمن بوحدة سوريا الكبرى على أساس الكانتونات المرتبطة اقتصادياً وسياسياً بالوصاية الفرنسية[١٠].

أما الشيعة فلم يعلنوا بعد موقفاً، إنما كامل بيك الأسعد رئيس حزب الأكثرية الشيعية يميل للحكم الفيصلي[١١]. ويورد تقرير إنكليزي[١٢] أن ثمّة مظاهر تمرّد شيعية ضد فرنسا، ففي حزيران ١٩٢٠ قام ٥٠٠ متوالي تقريباً، يقودهم عبد اللطيف بيك، بهجوم على الفرنسيين وقرى دير ميماس والقليعة والخربة، وقتل في الهجوم ٦٦ مسيحياً.

وفي الشوف، رغم الضغط الممارس من قبل الأمير أمين إرسلان ومن مصطفى بيك حمادة على الدروز، فإن هؤلاء يقفون موقفاً حَذِراً باستثناء بعض قرى الباروك (شارون وبتاتر...) حيث يظهر بعض السكان ميولاً شريفية[١٣].

ولا نرى من الضروري التوقف طويلاً عند المؤتمر السوري وما قام به من نشاط في دمشق بين عامي ١٩١٨ ــ ١٩٢٠، وحسبنا عرض أسماء اللبنانيين الذين شاركوا في أعماله، ومنهم:

رشيد رضا (الذي ترأس المؤتمر)، عثمان سلطان وسعيد طليع (عن طرابلس)، عبدالله مالك (عن راشيا)، يوسف نمور (عن البقاع)، توفيق مفرّج (عن الكورة)، جورج حرفوش والأمير أمين أرسلان ورشيد نفاع وابراهيم الخطيب وعلي تلحوق (عن جبل لبنان)، وعبد

---

٧. جريدة «الحقيقة»، ع ١١٢٦، س ١١، تموز ١٩١٩.

٨. جريدة «الحقيقة»، ع ١١٣٨.

٩. جريدة «لسان الحال»، ع ٧٧٩٩، ١٣ أيار ١٩١٩.

١٠. A. E. ج ١١، ص ١٥٧.

١١. المرجع نفسه، ج ١٣، ص ١٦٨.

١٢. وثائق وزارة الخارجية البريطانية: Public Record Office, F.O. 371/5036
(وسنشير إلى هذه الوثائق من الآن فصاعداً بالمصطلح F.O.).

١٣. A. E.، ج ١٥، ص ٨٧.

الفتاح شريف (عن طرابلس)، وتوفيق البيسار وصبحي الطويل (عن عكار)، ورياض الصلح وتوفيق الجواهري (عن صيدا)، وعفيف الصلح (عن صور)، ومراد غلمية (عن مرجعيون)، والحاج خليل عبدالله ومحمد بيك سهيل ومصطفى الأسعد (عن جبل عامل)، ووديع أبو رزق (عن زحلة)[١٤].

وفي جريدة البلاغ مقالات لشخصيات إسلامية، على امتداد أوائل العشرينات، تصرّ على المطالبة بالوحدة السورية[١٥]، معتبرين أنفسهم مظلومين في لبنان الكبير. وعام ١٩٢٢ يوقع أهالي طرابلس والملحقات عرائض يطلبون فيها إلحاقهم بالداخلية لأنهم لم يروا فائدة من إلحاقهم بلبنان[١٦]. وبسبب ربط كلمة لبناني بالمسيحيين استبدلت بطاقات هوية مسلمي بيروت بكلمة بيروتي[١٧]. وحتى حاكم لبنان الإداري حسين الأحدب، عام ١٩٢١، تعرض للانتقاد لأنه أغفل ذكر لبنان الكبير في المأدبة التي أقامها لغورو[١٨]. وتؤكد جريدة العهد الجديد[١٩]، أن مسلماً واحداً لا يمكن ولن يمكن أن يرضى بما يسمونه لبنان الكبير وأن مسلماً واحداً لا يرضى ولن يرضى عن وحدة بلاده بديلاً، إنه سوري ويسعى إلى وحدة سورية وهو استقلالي ويسعى بمختلف الطرق المشروعة لاستقلال سورية.

ومن برنامج تاج الدين الحسيني عام ١٩٢٥، وهو من زعماء سورية، استرداد الأقضية الأربعة وهي البقاع وبعلبك وحاصبيا وراشيا[٢٠]. والدكتور شهبندر وحسن الحكيم وسعيد حيدر يطالبون بضم الأقضية الأربعة للوحدة السورية، في نفس الفترة[٢١]، وكذلك كان موقف الداماد[٢٢].

وعندما طرحت اللجنة النيابية المكلّفة بوضع الدستور أسئلة على القيادات الاجتماعية، عام ١٩٢٦، اجتمع وجهاء المسلمين (أحمد عباس، أحمد نامي، بدر دمشقية، جميل الحسامي... عبدالله بيهم، عمر الداعوق، الحاج عبد القادر قباني، خير الدين الأحدب، وغيرهم...) في نادي جمعية المقاصد الخيرية للبحث في الأسئلة الموجهة بشأن الدستور اللبناني، وتمّ الاتفاق بالإجماع على رفض الإجابة على هذه الأسئلة لأن الأمة الإسلامية لا تقرّ

---

١٤. F.O. 371/5040

١٥. من مقال لمحمد باشا المخزومي، «البلاغ»، ع ١٩٦٤، ٢ تموز ١٩٢١؛ ومقال لمحمد كامل شعيب العاملي: «لا حياة إلا بالوحدة السورية»، «البلاغ»، ع ٢٠٦٩، ٣ كانون الأول ١٩٢١.

١٦. جريدة «المهماز» ع ٤، ٢٨ كانون الأول ١٩٢٢.

١٧. جريدة «لسان الحال»، ع ٨٤٧١، ١٤ تشرين الثاني ١٩٢١.

١٨. جريدة «الحقيقة»، ع ١٤٦٠، ٢٠ نيسان ١٩٢١.

١٩. جريدة «العهد الجديد»، ع ١٥٠، ٢٣ كانون الأول ١٩٢٥.

٢٠. أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى، ج ٣، مطبعة البابي الحلبي، ١٩٣٤، ص ٣٩٣.

٢١. المرجع نفسه: ص ٥١٥.

٢٢. A. E.، ج ١٩٨، ص ١٢١؛ F.O. 371/11505

بلبنان الكبير[٢٣] . وكذلك علماء طرابلس وصيدا وتجارها وعدة نقابات فيها يقاطعون الدستور ويدعون للوحدة السورية[٢٤] . وفي ١٩ شباط يصرّح عمر الدعواق مؤكّداً موقف الطائفة الإسلامية في بيروت برفض الدستور وبالالتحاق بالوحدة السورية على قاعدة اللامركزية[٢٥] .

وفي جلسة ١٩ أيار ١٩٢٦ النيابية ، عند طرح المادة الأولى من الدستور على بساط البحث ، وهي المتعلقة بحدود لبنان ، قدم عمر الدعواق نائب بيروت الاحتجاج التالي : لما كنا من ممثلي البلاد التي ألحقت بلبنان الصغير بدون استفتاء أهلها نحتجّ على المادة الأولى من القانون الأساسي ونطلب فصل البلاد التي ألحقت بلبنان الصغير أي القديم ، وجعلها حكومة مستقلة إدارياً واقتصادياً وسياسياً على أن يكون لها اتحاد مع لبنان الصغير والبلاد السورية :

نائب الجنوب : خالد شهاب ، نائب طرابلس : خير الدين عدرة ، نائب البقاع : صبحي حيدر ، نائب بيروت : عمر الدعواق ، نائب بيروت : عمر بيهم[٢٦] .

وفي عام ١٩٢٧ تابع حزب الاستقلال العربي تحرّكه ، ومن بين أعضائه اللبنانيين البارزين : شكيب وعادل أرسلان ، رياض الصلح ، ورشيد رضا ، وبرنامجه قيام أمبراطورية عربية ضخمة على سوريا أن ترتبط بها . وهذا الحزب ذو عداء دائم لفرنسا ويريد أن يقلص لبنان إلى حدود المتصرفية[٢٧] .

وفي تشرين الأول ١٩٢٧ عقد مؤتمر قومي في دمشق طالب بالوحدة السورية وشارك فيه عن بيروت عبد الرحمن بيهم وعبدالله اليافي ، وعن طرابلس عبد الحميد كرامي ، الدكتور عارف البيسار ، عارف الرفاعي[٢٨] .

وفي حزيران ١٩٢٨ عقد مؤتمر حضرته أغلب القيادات الإسلامية :

- من صيدا وجبل عامل : محمود زنتوت ، الحاج اسماعيل خليل ، الشيخ أحمد رضا ، أحمد عارف الزين ، محمد علي الحوماني ، يوسف أبو ظهر ، توفيق الجوهري ، سامي زنتوت ، بديع الزين ، سعيد عسيران .
- من بيروت : عمر بيهم (عمر الدعواق تخلف بسبب المرض) ، عبد الرحمن بيهم ، الحاج بشير جبر ، عبدالله اليافي ، صلاح بيهم ، محمد خرما ، أنيس نجا ، أحمد الدعواق ، عزت قريطم .

---

٢٣. جريدة «العهد الجديد» ، ع ١٥٩ ، ٦ كانون الثاني ١٩٢٦ .
٢٤. المرجع نفسه ، ع ١٦٣ – ١٦٦ ، ١٢ – ١٦ كانون الثاني ١٩٢٦ .
٢٥. المرجع نفسه ، ع ١٩١ ، ١٩ شباط ١٩٢٦ .
٢٦. المرجع نفسه ، ع ٢٣٥ ، ٢١ أيار ١٩٢٦ ؛ وأنور الخطيب ، **المجموعة الدستورية** ، القسم الثاني – دستور لبنان ، ١٩٧٠ ، لا اسم للمطبعة ، ص ١١ و١٢ .
٢٧. **A. E.** ، ج ٢١٤ ، ص ١٨ .
٢٨. أمين سعيد ، المرجع السابق ، ص ٥٣١ .

- من طرابلس: عبد الحميد كرامي، عبد اللطيف بيسار، سعدي المنلا، مصطفى الهندي، حسن رعد، صبحي الملك، عارف حسن الرفاعي.
- من عكار: عثمان باشا المحمد، عبد الفتاح الشريف، حسني عطيّة.
- من بعلبك: صبحي حيدر، نجيب حيدر، أديب الرفاعي، لطفي حيدر، عباس ياغي، أديب قانصو، حمد حسين شومان.
- من وادي التيم: فؤاد الشهابي وغيره.
- من البقاع والمعلّقة: إبراهيم القيّم، الدكتور أمين قزعون، قاسم الهيماني[٢٩].

ومن القرارات التي اتخذها المؤتمرون:

١. يؤيد المؤتمر ميثاق البلاد الوطني ويطلب إلى الجمعية التأسيسية تحقيق وحدة البلاد السورية العامة بضم جبل الدروز والبلاد المسماة بلاد العلويين والبلاد التي ضمت إلى لبنان القديم ١٩٢٠ إلى سوريا وذلك بوضع مادة خاصة في صلب الدستور تنص على أن سوريا المؤلفة من البلاد المذكورة هي دولة واحدة لا تتجزأ مستقلّة ذات سيادة.
٢. إرسال تحية إلى الجمعية التأسيسية السورية وتأييد الكتلة الوطنية... وشكر الوفد السوري في أوروبا.
٣. يبلغ هذا القرار إلى صاحب الدولة رئيس الجمعية التأسيسية وبواسطته إلى فخامة المفوض السامي وإلى وزارة خارجية فرنسا وإلى جمعية الأمم[٣٠].

وبموازاة هذه القرارات من القيادات الإسلامية، قدمت عرائض من البقاع وراشيا تطلب الوحدة السورية ورفعت للمجلس التأسيسي السوري[٣١].

وفي عام ١٩٣١، على أثر زيارة فيصل ملك العراق لفرنسا، شاعت إشاعة باتحاد القطرين العراق وسوريا. وقد لقيت الدعاية لاتحاد القطرين في هذه الفترة تأييداً كبيراً فوضعت دمشق وحلب وحمص وحماه وبيروت وطرابلس وجبلة وصيدا وصور وجبل عامل مضابط بوحدة القطرين[٣٢]. كما قامت مظاهرات في طرابلس تهتف للوحدة السورية والعربية[٣٣]. الأمر الذي أدّى إلى اعتقال الكثيرين فقام وفد من عبد الحميد كرامي، البيسار، وعارف الحسن لمقابلة المندوب الفرنسي. وقال الحسن إذا كنتم تريدون توقيف كل من ينادي بالوحدة السورية لوجب توقيف أعضاء الوفد[٣٤].

---

٢٩. جريدة «العهد الجديد»، ع ٥٠١، ٢٦ حزيران ١٩٢٨.
٣٠. المرجع نفسه.
٣١. المرجع نفسه، ع ٥٣٨، ١٨ آب ١٩٢٨.
٣٢. أمين سعيد، المرجع السابق، ص ٥٧٨.
٣٣. جريدة «العهد الجديد»، ع ١١٤٩، ٢٦ نيسان ١٩٣١.
٣٤. المرجع نفسه، ع ١١٥٥، ٣ أيار ١٩٣١.

وفي ٢٣ ت٢ ١٩٣٤ قدم وجهاء بيروت عريضة إلى وزير الخارجية الفرنسية (مسيو لافال)، من أهم ما جاء فيها[٣٥]:

«نحن الموقعين على هذه العريضة من الطائفة الإسلامية في بيروت والسواحل السورية اللبنانية نرى من واجبنا عرض الأمور الآتية:

لقد شعر المسلمون غداة الاحتلال بأن حكومة الانتداب نفرت إلى معاملة المسلمين في منطقة لبنان والأراضي الملحقة بها قهراً معاملة لا تنطوي على شيء من مبادئ العدل والمساوات (كذا) فأوجبت علينا الغرم ولخلافنا الغنم فمع كوننا ندفع الماية خمسة وستون من إيرادات هذه الدولة نرى خلافنا ينعم بالمأموريات العالية وعوضاً عن ذلك فالسلطة المحتلة بسطت سلطانها على محاكمنا الشرعية وتسلطت على أوقافنا في حين أن في لبنان طوائف عديدة تتمتع بحريتها الكاملة واستقلالها الديني والطائفي التامّ لا أثر لتدخل أية سلطة زمنية في شؤونها الخاصة... (ثم تحتج العريضة على وضع المحاكم الشرعية وتطرح قضية الحج إلى أن تشير) هذه حالة المسلمين منذ خمسة عشر عاماً في عهد السلطة المنتدبة بسطناها قبل اليوم ولفتنا في مواقف شتى إلى عواقبها الوخيمة وقد رسخ في الأذهان أن الطائفة الإسلامية سائرة إلى الإضمحلال بتأثير الضربات المتوالية التي تنزل عليها من السلطة القائمة. وأن لا حياة لها في هذه البلاد.

وتطلب العريضة أخيراً «انتداب لجنة محايدة للتحقيق في جميع الأمور التي سردناها آنفاً وتفضلوا بقبول فائق احترامنا».

ومن بين الذين مضوا العريضة سليم علي سلام، عبد الحميد كرامي، محمد عمر بيهم، أمين أرسلان، حليم قدورة، و١٣٠ توقيعاً بينهم ملاكون وصيادلة ومحامون وأطباء ومقاولون و٦١ تاجراً.

وثمّة رسائل عدّة لاحقة أرسلها أبو علي سلام إلى بول بونكور تشرح مطالب المسلمين وتشدّد على الوحدة.

وفي عام ١٩٣٦، بعد التغييرات التي طرأت على السياسة الأوروبية (بروز المدّ الفاشي والنازي)، وانطلاقاً من عوامل داخل سوريا ولبنان من جهة وداخل فرنسا من جهة أخرى (خاصة وصول الاشتراكيين إلى السلطة) بدأت المشاورات لوضع معاهدة بين سورية وفرنسا أولاً وفرنسا ولبنان ثانياً.

منذ حزيران ١٩٣٦ بدأت التحركات في الأوساط الإسلامية تتخذ طابعاً تصاعدياً. ففي ١٤ حزيران يرسل رئيس مؤتمر الساحل سليم سلام برقية إلى وزارة الخارجية الفرنسية يؤكد فيها أن «المناطق السورية التي ضمت إلى لبنان برغم معارضة سكانها يطالبون، من خلال مؤتمر

---

٣٥. A. E.، ج ٥٠٧، ص ٧٤.

عقدوه ، بالوحدة السورية الشاملة»[٣٦] . أما رياض الصلح ، في ٢٩ حزيران ، فيطلق تهديداً بالانضمام إلى سوريا ، عبر وحدة فدرالية ، إذا استمر الفرنسيون بدعم المسيحيين[٣٧] .

وفي ٥ تموز اجتمع مندوبون من صيدا ، وطرابلس ، وصور ، ومرجعيون ، والنبطية ، وبنت جبيل وباقي مناطق جبل عامل ، وأدانوا سياسة التجزئة . وذكّروا بمضابطهم ومظاهراتهم ضد التجزئة . «وبمناسبة المحادثات الجارية في باريس بين الوفد السوري والسلطات الفرنسية ، يقرر المجتمعون — مدفوعين بعامل القومية العربية ، وبعامل المصالح الاقتصادية والإجتماعية — المطالبة من فرنسا ، أم الحريات ، ومن حكومة التكتل الشعبي تحقيق المطالب التالية :

١. تحقيق مطالبهم بالوحدة والاستقلال القومي ورفض كل موقف معاكس لذلك.
٢. إذا كان الوفد الفرنسي على شك من ذلك ليقم باستفتاء جزئي.
٣. تكليف الوفد السوري بالدفاع عن قضيتنا وبمتابعة ذلك. ثم تلي التواقيع ...»[٣٨] .

وعلى أثر هذا المؤتمر حصلت أحداث دموية في صيدا ، فقد تمَّ احتلال مخافر الدرك ورفع العلم السوري ، وكان المطلب الأساسي : تحقيق الوحدة مع سوريا[٣٩] . وحصل إضراب عام ابتدأ في ١٢ تموز واستمر لاحقاً ، واتهم رياض الصلح بأنه يشرف على هذا التحرك بالتنسيق مع شكري القوتلي[٤٠] . وفي النبطية أعلن الإضراب حداداً على أرواح شهداء الوحدة مع سوريا الذين سقطوا في صيدا وبنت جبيل ، وذلك أثناء احتفال فرنسا بعيد سقوط الباستيل ١٤ تموز ، وأرسلت برقية وقّعها جورج رحال ، سعيد جابر ، محمد علي رضا ، حيدر بدر الدين ، محمد فقيه ، بهاء الدين بو خدود ، علي زين ، بشير جابر[٤١] . وبنت جبيل هي الأخرى أضربت تأييداً للوحدة السورية وأرسلت برقية موقعة من محمد سليم بزي ، نجيب حسن عبدالله ، علي حسن بري ، الحاج علي بيضون[٤٢] . أما جب جنين فقد وقع برقيتها سليم غندور ، محمد حسين حيمور ، بركات رأفت ، صالح صالح ، محمد مراد[٤٣] . ومن قادة التحرك في صيدا تذكر البرقيات : أحمد اسماعيل القط ، توفيق جوهري ، صلاح الدين بزري ، صلاح الدين قدورة ، عارف زين ، كامل قاسم ، رامز أبو ظهر ، شريف أنصاري ، محمد مجذوب ، مصطفى بساط ، محمود سنيورة ، محمد رضا قط ، محمد علي علايلي[٤٤] .

---

٣٦. المرجع نفسه ، ج ٥٠١ ، ص ٦٩.
٣٧. F.O. 371/35176
٣٨. **A. E.** ، ج ٥٠١ ، ص ٨٥ – ٨٧.
٣٩. من تقرير لـ Meyrier وكيل المفوّض السامي دي مارتل ، **A. E.** ، ج ٥٠١ ، ص ١٠٦ – ١٠٧ .
٤٠. المرجع نفسه ، ص ١٠٩.
٤١. المرجع نفسه ، ص ١٢٦.
٤٢. المرجع نفسه ، ص ١٢٩.
٤٣. المرجع نفسه ، ص ٢٩.
٤٤. المرجع نفسه ، ص ٢٩.

وبعد أن تجدّدت الإضطرابات في صيدا في ٢١ تموز [٤٥] ، مع الإصرار على تحقيق الوحدة السورية ، طرحت الدوائر السياسية في وزارة الخارجية الفرنسية تساؤلاً حول الموقف الفعلي للشيعة وطلبت من موظفي المفوضية الفرنسية في بيروت توضيح هذه النقطة . فأرسل Meyrier بتاريخ ٢١ آب ١٩٣٦ تقريراً جاء فيه [٤٦] :

هناك ١٥٥ ألف شيعي في لبنان ، والتجمعات الأساسية لهم هي في بعلبك والهرمل (والجنوب) ، مع وجود أقلية صغيرة في المدن . ودعاة الوحدة السورية والعربية أقلية بين الشيعة . الوجهاء المحليون ، من إقطاعيين وأعيان ، يسيرون وراء رجال الدين ، وأغلبية الفلاحين الشيعة يسيرون غريزياً وقلبياً وراء زعمائهم الروحيين والزمنيين . للشيعة ٤ نواب في البرلمان اللبناني ، كلهم طالبوا في ٧ تموز بالعودة إلى دستور ١٩٢٦ . وقد أكّدوا ، من جهة أخرى ، على تمسكهم بسلامة لبنان ضمن حدوده الحالية . والزعيم الديني الأساسي للطائفة السيد مغنيّة ، من لبنان الجنوبي ، أكّد للرئيس إده — بعد اجتماعهما — أنه مع استقلال لبنان ضمن حدوده المعروفة . ويختم التقرير بقوله إن ٩٨٪ من شيعة لبنان هم مع لبنان الكبير الحرّ المستقل ، وتحت الحماية الفرنسية .

بعد صيدا انتقل ثقل التحرك إلى طرابلس ، فأخذت بعض اللجان تهيّئ للتظاهر والإضراب ، وقام وفد من : عبد الحميد كرامي وأمين المقدّم بمطالبة السلطات الفرنسية بالإنضمام إلى سوريا (١٥ تموز ١٩٣٦) [٤٧] .

وفي ١٧ تموز قدمت لسلطات الإنتداب مذكرة هامة من القيادات الطرابلسية (حسين عويضة ، دكتور بيسار ، عبد الحميد كرامي ، رفعت شنبور ، تحسين ثمين ، سعدي المنلا ، حسني ذوق ، محمد علي ضناوي ، كميل خلاط) ، وقد طالبت هذه المذكرة بالوحدة مع سوريا ، وبالاستقلال ، وبرفع الغبن الذي حصل لطرابلس منذ ١٩٢٠ [٤٨] . وعندما زار إميل إده سراي طرابلس في أواسط أيلول استقبل أمام السراي بهتافات (تحيا سوريا ، تحيا الوحدة السورية) ، ورفعت الأعلام السورية على المآذن ، وقامت تظاهرات في مختلف أنحاء المدينة ، إلا أنها قمعت ووقع العديد من الجرحى [٤٩] . وكانت قبل ذلك قد حصلت انتفاضات في سير الضنية وبعض مناطق عكار [٥٠] . وفي تقرير رفعته المفوضية إلى وزارة الخارجية الفرنسية يمكن استخلاص النقاط التالية عن موقف سنّة لبنان :

---

٤٥. المرجع نفسه ، ص ١٣٤ .
٤٦. المرجع نفسه ، ص ١٨٢ – ١٨٣ .
٤٧. المرجع نفسه ، ص ١٠٩ .
٤٨. المرجع نفسه ، ص ١١٢ – ١١٥ .
٤٩. المرجع نفسه ، ص ٢٤٢ ، وجريدة «بيروت» ، ع ٤٤ و٤٥ .
٥٠. A.E. ، ج ٥٠١ ، ص ١٣٦ .

– عفيف الصلح أرسلته الكتلة الوطنية في سوريا لتحريك الشعب اللبناني تأييداً للوحدة السورية.
– رياض الصلح يتمنى توسيع التحرك نحو شمال إفريقيا.
– في بيروت، المفتي وسليم سلام يتزعمان التحرك.
– طرابلس السنية تقف مع الوحدة السورية[٥١].

وإذا كانت مفاوضات الوفد السوري مع الفرنسيين جارية في باريس (وكان رياض الصلح عضواً في الوفد)، وبينما كان يطالب هذا الوفد بإعادة النظر بالحدود اللبنانية وإعادة المناطق التي ضمت إلى لبنان بحيث لا يستطيع الجبل أن يصمد إزاء الإبتلاع السوري[٥٢]، عقد من جديد مؤتمر في صيدا. وقد طالبت، فيه، صيدا بإعادة النظر بحدود لبنان والإنضمام إلى سوريا. وعائلة آل الصلح بدا وكأنها تلعب الدور المحوري في تنظيم الاضطرابات داخل هذه المدينة. وكاظم الصلح نفّذ ميدانياً ما كان يوعز إليه رياض الصلح من باريس. وإذ يبادر عبد الحميد كرامي بالإنضمام لمؤتمر صيدا، فقد بدا أن سكان جبل عامل لم ينضموا إلى التحرك. أما النائبان الشيعيان في جبل عامل فقد انتخبا ضد إرادة آل الصلح، بينما كان عادل عسيران يقف مع آل الصلح. أما سنّة بيروت فقد اجتمع مندوبون عنهم في صوفر تأييداً للوحدة السورية[٥٣].

وفي ٢٥ أيلول ١٩٣٦، استقبل رياض الصلح العائد من باريس من قبل جماهير تتراوح بين ٤ و٥ آلاف على مرفأ بيروت، وقامت تظاهرات ابتهاج في البسطة، ورفعت أعلام سورية بكثافة، مع أعلام فرنسية قليلة جداً، مع بعض الأعلام اللبنانية النادرة. وقد خطب رياض في المتظاهرين، وكذلك خطب فخري البارودي[٥٤].

وبعد عودة دي مارتل إلى لبنان، من باريس، في تشرين الأول تألفت لجنة لبنانية لمفاوضته من أجل وضع معاهدة بين لبنان وفرنسا، وقد دامت المفاوضة شهراً كاملاً[٥٥]. والأعضاء المسلمون في لجنة التفاوض كانوا: خالد شهاب، محمد عبود عبد الرزاق، حكمت جنبلاط، نجيب عسيران[٥٦].

ما هو موقف النخب الإسلامية التي احتجت على مبدأ تشكيل الوفد، وعلى مبدأ ومضمون المعاهدة؟

---

٥١. المرجع نفسه، ص ١٣٧ – ١٤٤ (والتقرير مؤرّخ بتاريخ ٢٤ تموز ١٩٣٦).
٥٢. المرجع نفسه، ج ٥١٦، ص ٦٩.
٥٣. المرجع نفسه، ج ٥٠١، ص ٢٤٠.
٥٤. المرجع نفسه، ص ٢٨١ – ٢٨٢.
٥٥. تمّ التوقيع في قاعة السراية الصغيرة يوم الجمعة في ١٣ تشرين الثاني ١٩٣٦.
٥٦. الأعضاء المسيحيون كانوا: إميل إده، بشارة الخوري، أيوب ثابت، بترو طراد، وهرام ليليكيان، أما الوفد الفرنسي فكان مؤلفاً من المفوّض السامي دي مارتل، والمساعدين له في المفوضية: ميريه، أوستروروغ، لافون، كيفر.

عندما طلب رئيس الجمهورية، ورئيس الوفد اللبناني المفاوض، إميل إده، من مفتي الجمهورية اللبنانية محمد توفيق خالد إبداء رأيه في المعاهدة، قدم المفتي إلى الرئيس مذكرة جاء فيها [٥٧] :

«بعد أن اجتمعت بوجهاء المسلمين في أنحاء لبنان جميعاً وتحدّثت إليهم وأخذت آراءهم بدا لي أن رغبة المسلمين في لبنان تتلخص في ما يلي:

أولاً: الإستقلال التام.

ثانياً: السيادة القومية.

ثالثاً: الوحدة السورية بطريق الإستفتاء.

وبتاريخ ٢٤ ت١ ١٩٣٦ عقد ما يزيد عن ٢٥ شخصية إسلامية مؤتمراً في منزل عمر بيهم (من أبرزهم سليم سلام، عمر بيهم، رياض الصلح، عبد الحميد كرامي، الشيخ عارف الزين، الشيخ أحمد رضا، الأمير أمين أرسلان...) . وقد صدر عن هذا المؤتمر مقررات عدة أبرزها [٥٨] :

١. إن المسلمين هم من جملة طلاب السيادة القومية من أبناء هذه البلاد، مرتكزة على وحدة شاملة لأجزاء سوريا أولاً وللأقطار العربية ثانياً، وهم يتخذون من هذه المبادئ دستوراً أعلى لهم يعملون في سبيل تحقيقه بكل الوسائل المشروعة.

٢. لما كان فريق من أبناء الوطن لا يرون تحقيق الوحدة السورية اليوم فإن المسلمين حباً منهم في إيجاد روح الإلفة (...) لا يرون بأساً في وضع الصلة بين الجمهورية اللبنانية والجمهورية السورية على أساس الاتحاد بأوسع ما يمكن من أشكاله.

٣. أن تتضمن المعاهدة فصلاً ينص على اللامركزية بحيث تضمن المساواة بين الطوائف في الحقوق والواجبات.

---

٥٧. **بعض الخطب والمذكرات** لصاحب السماحة المفتر الأكبر الشيخ محمد توفيق خالد، مطبعة الكشاف، لا تاريخ، ص ٤.

٥٨. وجدت في وثائق وزارة الخارجية الفرنسية نصّاً مغايراً بعض الشيء للنصّ الذي نشرته الصحف في ذلك الوقت، فقد ورد في وثيقة الكي دورسه ما يلي:

١. المسلمون الذين يؤلفون أكثرية اللبنانيين لم يتوانوا عن الطلب من سلطات الإنتداب أو عصبة الأمم الانضمام إلى سوريا سياسياً واقتصادياً.

٢. الوحدة مع سوريا هي مقدّمة لوحدة عربية شاملة.

٣. هناك تمايز بين طوائف البلاد مما يعزّز الحقد، من هنا يطالب المسلمون باللامركزية الإدارية والمساواة بين الطوائف.

٤. الاحتجاج على كيفية تأليف الوفد اللبناني لعقد المعاهدة مع فرنسا، كونه أبعد مؤيدي الوحدة السورية.

٥. تألفت لجنة برئاسة أبو علي سلام.

٤. الاحتجاج على الوفد الذي تألف للمفاوضة باسم لبنان باعتباره أقصى طلاب الوحدة[٥٩].

بموازاة تقديم هذه المذكرات قامت مظاهرات في طرابلس طالبت بالوحدة السورية (١ ت١)[٦٠] وأعلن فيها الإضراب العام[٦١]. ولم يتوقف إلا بعد تدخل رجال الكتلة الوطنية السورية (جميل مردم بك، سعدالله الجابري، ورياض الصلح)[٦٢].

أما في بيروت فقد بادر رياض الصلح إلى تنظيم قبضايات المدينة، وتمت الدعوة إلى تظاهرة من مسجد البسطة ضد المعاهدة— وكان ذلك إبان شهر رمضان— وممن تزعموا المظاهرة رياض الصلح، فؤاد قاسم من محرري جريدة بيروت، وأنيس النصولي شقيق رئيس التحرير. وقد تسلحوا بالعصي والحجار والسكاكين، ومن هتافاتهم: «فلتسقط الوحدة اللبنانية ولتحيا الوحدة السورية، الوحدة أو الدم». وعند وصول التظاهرة إلى الأحياء المسيحية، أخذ المتظاهرون يكسرون الواجهات وينهبون المحلات ويقلبون عجلات الترامواي والسيارات[٦٣]. بعدها أصدر وجهاء بيروت بياناً مشتركاً يشجبون فيه أعمال العنف ويطالبون بالهدوء[٦٤]. وكان لدى مارتل الدور الكبير في إقناع المسيحيين والمسلمين على إمضاء بيان التهدئة. وقد وقع عن المسلمين رياض الصلح، علي سلام، عمر بيهم. وعن المسيحيين وقع حبيب طراد، جورج ثابت، بشارة الخوري، وهنري فرعون[٦٥]. أما في صيدا وبنت جبيل فقد جرت معارك وهوجمت مراكز الحكومة[٦٦].

وفي إطار هذا الجوّ المضطرب نشأت منظمتان سياسيتان هما الكتائب اللبنانية التي طرحت مسألة الاحتفاظ بحدود الدولة اللبنانية كأساس لعملها[٦٧]، ومن جهة أخرى نشأ حزب النجادة الذي وضع مسألة الإنتماء العربي للبنان القاعدة الأولى لعمله.

إن الإنقسام الطائفي الذي تبلور في المواقف الأساسية المتعلقة بمصير البلاد، والذي وضح أيضاً في الإضطرابات التي اتخذت طابعاً دموياً، حملت الرئيس إميل إده على التشاور مع المفوضية الفرنسية للتوصل إلى الصيغة الفضلى التي من شأنها أن تخفف من معارضة مسلمي لبنان للدولة اللبنانية، فاستقر الرأي على أن توكل رئاسة الوزراء إلى مسلم[٦٨]. ولما كان خير الدين

---

٥٩. جريدة «النهار»، ع ٩٤٧، ٢٥ و٢٦ تشرين الأول ١٩٣٦.
٦٠. **A.E.**، ج ٥٠٢، ص ٢٢.
٦١. جريدة «بيروت»، ع ٦٦، ٢٥ و٢٦ تشرين الأول ١٩٣٦؛ F.O. 371/20848
٦٢. جريدة «النهار»، ع ٩٧٢، ٢٤ تشرين الثاني ١٩٣٦.
٦٣. **A.E.**، ج ٥٠٢، ص ٨٢– ٨٤.
٦٤. المرجع نفسه.
٦٥. المرجع نفسه، ص ٧٥– ٧٦.
٦٦. **محاضر مجلس النواب** (١٩٣٧– ١٩٣٨)، ص ٢٦– ٢٧.
٦٧. المرجع نفسه، ص ٢٩.
٦٨. **A.E.**، ج ٥٠١، ص ٢٦٦.

الأحدب هو المعارض الوحيد للمعاهدة الفرنسية — اللبنانية في البرلمان[٦٩] ، وانطلاقاً من مناقشات مطوّلة كان قد أجراها معه فيريه ، حيث استشف فيها ألماً من الأحدب ضد هاشم الأتاسي والكتلة الوطنية السورية التي ضمت — في رأيه — بالمناطق الإسلامية في لبنان مقابل إقرار المعاهدة. كما نقل عنه ما حرفيته :

"...Ainsi , a ajouté avec quelques amertume M. Khair Eddine Ahab, les musulmans du Liban sont pour les syriens seulement une monnaie d'échange".

لذلك[٧٠] كلف الأحدب بتأليف وزارة جديدة ، فتشكلت منه ومن ميشال زكور وحبيب أبو شهلا وأحمد الحسيني[٧١] . وبالرغم من استقبال تجار ووجهاء طرابلس هذا الحدث بالترحيب الحار[٧٢] ، فقد أصدت الجبهة الشعبية في طرابلس بياناً أكّدت فيه ، مجدّداً ، على حق الشعب في تقرير المصير ، ورفض التجزئة ، والانضمام إلى سوريا ورفض الحكم اللبناني ، وانطلاقاً من الأحداث الدموية الأخيرة طالبت الجبهة بإعطاء طرابلس حكماً ذاتياً[٧٣] . إلا أن العديد من وجهاء طرابلس ،بمن فيهم عبد الحميد كرامي ، أكّدوا أنهم سيضعون من الآن فصاعداً ، المصلحة اللبنانية فوق كل مصلحة[٧٤] . بيد أن برقيات أرسلت لاحقاً طالبت بضم طرابلس إلى سوريا. ومن بين الذين مضوا عليها :

عبد الحميد كرامي ، الدكتور البيسار ، راشد سلطان ، محمد خالد ، حسني ذوق ، محمد مصطفى ، سعدي منلا ، تحسين ثمين ، محمد علي ضناوي ، شوقي دندشي كبارة[٧٥] ... بالرغم من ذلك ، فقد اعتبر الأحدب ، أن البلاد دخلت — مع وصوله إلى رئاسة الوزارة — عهداً جديداً هو عهد المساواة في الحقوق والواجبات وعصر الإنصاف للجميع ، وكل ذلك ينبثق من روح المعاهدة اللبنانية — الفرنسية[٧٦] . وعليه فقد شدّد الأحدب على رفض ضم طرابلس إلى سوريا وأكّد على ضرورة وحدة لبنان[٧٧] ، كما أرسل — مع الرئيس إميل إده ، رسالة مشتركة إلى ليون بلوم — رئيس الوزراء الفرنسي ، تحتج على المطامع السورية في طرابلس وعكار[٧٨] .

---

٦٩. **محاضر مجلس النواب** (١٩٣٦ — ١٩٣٧) ، ص ٢٢٨.
٧٠. **A.E.**، ج ٥٠١ ، ص ٨١ — ٨٢.
٧١. المرجع نفسه ، ج ٥٠٢ ، ص ١٢٥ .
٧٢. المرجع نفسه ، ص ١٧٥ و١٧٧ .
٧٣. المرجع نفسه ، ص ١١٨ — ١١٩ .
٧٤. المرجع نفسه ، ص ١٨١ (وكان ذلك في شباط ١٩٣٧).
٧٥. المرجع نفسه ، ج ٥٠٣ ، و٥٠٤ ، بتاريخ ١١ حزيران ١٩٣٧ .
٧٦. جريدة «بيروت» ، ع ١١١ ، ٦ شباط ١٩٣٧ ، وF.O. 371/20848.
٧٧. **A.E.**، ج ٥٠٣ — ٥٠٤ ، ص ٢٦ — ٢٧ (١١ حزيران ١٩٣٧).
٧٨. المرجع نفسه ، ج ٥٠٢ ، ص ١٧٧ .

يمكن اعتبار نهاية العام ١٩٣٦ وبداية العام ١٩٣٧ نقطة تحوّل هامة في موقف الأيديولوجية الإسلامية الغالبة من لبنان الكبير كدولة وكوطن. فبعد هذا التاريخ خفت الدعوات الرافضة للإنضمام إلى الدولة اللبنانية واتجهت إتجاهاً جديداً.

فبعد أن تعرض مذكرة من المجلس الإسلامي (يرأسه سليم علي سلام) إلى وزير الخارجية الفرنسية وضعَ المسلمين الذين ألحقوا قسراً بلبنان، مشيرة إلى أنهم يعانون من اللامساواة في المعاملة، وأن فرنسا الليبرالية هي مع التوازن الطائفي في لبنان، تؤكد المذكرة إلى أن المعاهدة أرست قاعدة ٦ و٦ مكرر، وأن النصوص تؤكد نظرياً وعملياً مبدأ المساواة.

وفي ضوء ذلك تأمل المذكرة «استفادة البقاع وعكار وجبل عامل (وهي مناطق محرومة) من خيرات الدولة. وفي ضوء تحقيق المساواة، فالمسلمون يعتبرون أن بالإمكان التكيّف مع النظام السياسي الجديد»[٧٩].

إذن يبدو من الواضح أنه بدلاً من الإستمرار في رفع شعار الوحدة مع سوريا أصبح المطلب الإسلامي السائد: التنسيق مع الأشقّاء العرب من ضمن الكيان اللبناني. ولكن هل لنا أن نتوقف بإيجاز عند العوامل الدافعة والأسباب التي أدّت بغالبية المسلمين إلى اتخاذ الموقف الذي عرضنا (١٩١٨ — ١٩٣٧).

تكاد الأسباب التي أثرت في الموقف الإسلامي تختصر بالنقاط التالية:

أولاً: السبب الديني

بالرغم من وجود نخب إسلامية متنورة وضعت فكرة الولاء للوطن في مرتبة أولى من الولاء الطائفي، بيد أن فئات غير قليلة من المفكرين ومن عامة المسلمين ظلت تعتبر الشريعة الإسلامية هي القاعدة التي يجب أن تنظم الدولة والمجتمع على أساسها.

فهذا رشيد رضا يعتبر أن «المسلمين لا يعتقدون بحق ولا واجب إلا إذا كان مبنياً في شريعتهم ومأخوذاً من أصول دينهم. فإذا فصل بين الدين والدولة كان جميع ما تكلفهم به الدولة من الحقوق والواجبات غير واجب الاتباع في اعتقادهم فإذا أخذوا به في العلانية لا يأخذون به في السر»[٨٠]. ورابطة «الجامعة الوطنية» — في اعتقاده — هي نتاج الأجانب من فرنسيين وإنجليز تبنّوها لينالوا ما وسعوا من حلّ رابطة المسلمين الدينية وصرفهم عن تشريعهم وسلطانه[٨١].

---

٧٩. إن هذه المذكرة المرفوعة بتاريخ ٢ حزيران ١٩٣٧ تعتبر من الوثائق البالغة الأهمية لجهة التحوّل السياسي في موقف الإيديولوجية الإسلامية من المسألة اللبنانية (A.E.، ج ٥٠٣، ص ١١ — ١٦).

٨٠. مجلة «المنار»، س ٢، ١٨٩٩، ص ٣٥٩.

٨١. المرجع نفسه، ج ٢٦، ١٩٢٦، ص ٦٩٩ — ٧٠٦.

ومن جهة أخرى فقد اعتبرت نسبة كبيرة من الرأي العام الإسلامي أن مشروع لبنان الكبير هو مشروع مسيحي. فهذه جريدة الحقيقة الإسلامية[٨٢] تتساءل: إذا كان اللبنانيون يريدون إقليماً مسيحياً، لماذا ضم مقاطعات معظم سكانها غير مسيحيين، لماذا إخضاع المسلمين لهذه الدولة المسيحية؟ وتعتبر الجريدة أن المسألة اللبنانية سببها الأول والوحيد: الدين[٨٣].

وخطباء الجمعة، في المساجد، كانوا يدعون لاسم السلطان حسين. الأمر الذي أوجد إشكالات مع سلطات الانتداب الفرنسي[٨٤].

ومن ضمن الإحساس الديني بالتفوق تتساءل جريدة البلاغ[٨٥] الإسلامية: «والغريب في هذا الأمر أن مسلمي بيروت الذين هم أرقى مسلمي سوريا دون شك... كانوا كالكرة في يد من هم أقل رقياً وعلماً ومدنية».

ثانياً: السبب الاقتصادي

لقد لعب العامل الاقتصادي دوراً هاماً في وقوف الأكثرية الإسلامية ضد لبنان الكبير، وحسبنا الإشارة إلى النواحي التالية:

أ. **قضية الضرائب**: لقد كانت الشكوى المستمرة للنخب الطائفية الإسلامية في المناطق التي ضمت إلى لبنان الصغير تدور حول تفاوت الضرائب: منها الضريبة العشرية على تلك المناطق، ورسم الـ١٥ بالألف على أثمان العقارات المباعة، وهي ضرائب لم تكن موجودة في أراضي المتصرفية[٨٦]. مع العلم أن بعض القيادات السنّية كانت تذكر المسؤولين أن من جملة الدعايات التي أُغري بها أبناء الملحقات للإنضمام للبنان الكبير كانت المساواة في دفع الضرائب[٨٧].

إن الصحف التي تعكس مواقف التيارات الإسلامية فيها إشارات مستمرة إلى قضية الضرائب على امتداد العشرينات والثلاثينات. فجريدة الحقيقة تطالب بالمساواة في دفع

---

٨٢. جريدة «الحقيقة»، ع ١١٨٩، ٦ تشرين الثاني ١٩١٩.
٨٣. المرجع نفسه، ع ١١٤٣، ٢٩ تموز ١٩١٩.
٨٤. المرجع نفسه، ١٨ و١٩ آب ١٩١٩.
٨٥. جريدة «البلاغ»، ١٩ آب ١٩٢٠.
٨٦. راجع كلمة خير الدين الأحدب، **محاضر مجلس النوّاب** (١٩٣٤ ـ ١٩٣٥) ص ١٩٨ ـ ١٩٩، وكلمة خالد شهاب في جلسة ٢٣ تشرين الثاني ١٩٣١ (**محاضر مجلس النواب**، ١٩٣١ ـ ١٩٣٢، ص ٦٩)؛ و**محاضر مجلس النواب** ١٩٢٧، ص ١٧ ـ ١٨.
٨٧. راجع كلمة خالد شهاب، **محاضر مجلس النواب** (١٩٣١ ـ ١٩٣٢)، ص ٧٠.

الضرائب مشيرة إلى أن الملحقات ليست مستعمرة للبنان[٨٨]. وجريدة الحوادث تورد تقريراً عن أهالي عكار الذين يشعرون أنهم إنما ألحقوا بلبنان لأجل تأدية الضرائب[٨٩].

وجريدة العهد الجديد تؤكد أن لبنان الصغير معروف بضعف موارده حتى يكاد يصح فيه القول أن لا مكلف فيه، ولم يبق أحد منا يشك من أن لبنان الكبير إنما خلق لنفع الصغير وأبنائه[٩٠]. وتورد الصحيفة، نقلاً عن رئاسة الوزراء، أرقام ما تدفعه المحافظات من الضرائب سنوياً، فيبدو أن البلاد الملحقة بلبنان كانت تدفع ما مجموعه ١.١٥٩.٣٩٦ ليرة بينما محافظات لبنان القديم كانت تدفع ٢٦٢,٦٨٢ ليرة[٩١].

وجريدة بيروت تفسر الرغبة بالوحدة مع سوريا من أهالي صيدا قسم من جبل عامل بعدة أسباب في طليعتها:

١. الهرب من الإجحاف في توزيع الحقوق الطائفية... ندفع مئة ألف ليرة ذهباً ولكننا لا نستفيد بأكثر من سبعة آلاف...

٢. الوحدة تغني عن جمهوريتي (السورية واللبنانية) وبالتالي تقلّ التكاليف وبالتالي الضرائب[٩٢].

ب. **قضية الغبن من الوظائف**: بالرغم من أن جريدة لسان الحال[٩٣] قد أشارت إلى وجود مساواة في عدد الموظفين المسلمين (٢٧٣) والمسيحيين (٢٧٤)، إلا أن الاحتجاجات الإسلامية على الغبن في وظائف الدولة كانت مطروحة باستمرار.

محمد باشا المخزومي يعتبر أن المسلمين مظلومون في لبنان وهم يعاملون بعدم المساواة[٩٤]. وتؤكد البلاغ[٩٥] أن المسلمين هم الأكثرية ولا يوجد سبب وجيه لإبعادهم عن الوظائف، لأنهم الأكثر تمرّساً بها منذ العهد التركي. وترى «الحقيقة» أن الإفرنسيين يساعدون الموارنة أكثر من غيرهم ويغيّرون الموظفين المسلمين بموظفين مسيحيين وذلك باسم التعصب[٩٦]. كما يقوم

---

٨٨. جريدة «الحقيقة»، ع ١٤٤١، ٢٤ آذار ١٩٢١.
٨٩. «الحوادث»، ع ٩٣٦، ١٥ أيار ١٩٢٥.
٩٠. جريدة «العهد الجديد»، ع ١٠٧، ٢١ آب ١٩٢٥
٩١. المرجع نفسه، ع ٣١٠، ٦ أيلول ١٩٢٧.
٩٢. جريدة «بيروت»، ع ٦، ١ آب ١٩٣٦.
٩٣. جريدة «لسان الحال»، ع ٨٣٩٩، ١٣ آب ١٩٢١.
٩٤. جريدة «البلاغ»، ع ١٩٥٩، ٢٥ حزيران ١٩٢١.
٩٥. المرجع نفسه، ع ١٩٦٧، ٦ تموز ١٩٢١.
٩٦. جريدة «الحقيقة»، ع ١٤٤٠، ٢٣ آذار ١٩٢١؛ وجريدة «العهد الجديد»، ع ١٥٧، ٣ كانون الثاني ١٩٢٦.

دعاة لبنان الكبير في رأي «العهد الجديد» بفرض تفوق فريق على الآخر وإذلال العنصر الإسلامي من كل الوجوه[٩٧] ، الأمر الذي يؤدي إلى الشكوى من وضعية المسلمين عامة في لبنان الكبير ومن سخط غير المسلمين في سائر مجالس الحكومة[٩٨] . وتشتكي العهد الجديد قائلة : لنا حقوق مهضومة في كل فروع الإدارة ، فموظفونا قلائل وهم في أدنى الوظائف ولغتنا تكاد تضيع في زوايا المعاملات[٩٩] .

إن الغبن الذي لحق بالمسلمين على صعيد وظائف الدولة ، في فترة الإنتداب ، ربما ارتبط بإحجام أكثرية المسلمين عن كل ما من شأنه الدلالة عن موافقتهم على قيام الكيان السياسي اللبناني[١٠٠] ، وبعد عام ١٩٣٦ بدا أن هناك تغيّراً في الموقف الإسلامي إزاء قضية الوظائف.

ج. **الحرمان من المكاسب والمشاريع** : كانت قضية المساواة ورفع الغبن والحرمان وتحقيق المشاريع في المناطق الإسلامية من المطالب المحورية بالنسبة للنخب الإسلامية. فعند بحث الدستور اللبناني عام ١٩٢٦ ، وخاصة المادة «٧» التي تنص على المساواة بين اللبنانيين ، يطلب بعض نواب المناطق الإسلامية تحديد القول «إن المساواة بين المناطق». ويعلّق محمد الرزّاق «نائب عكار» أن عدم المساواة هو الذي حمل خمسة من الزملاء «النواب» أن يطلبوا الانفصال[١٠١] . وتحت عنوان: «المساواة أمر مفقود في لبنان» ، ندّدت جريدة «العهد الجديد» بالغبن اللاحق ببعض الجماعات في الوظائف وفي الترقيات والإعانات المالية التي توزعها الحكومة على المؤسسات الخيرية والمعاهد الخاصة[١٠٢] . وفي هذا المجال نشير إلى الإحتجاج الذي قدمته جمعية اتحاد الشبيبة الإسلامية في ١٤ آب ١٩٣٤ حول الحيف اللاحق من جرّاء توزيع المنح المدرسية[١٠٣] . وفي العام ١٩٣٦ احتجت جريدة بيروت على نيل $\frac{١}{٧}$ فقط من المساعدات المدرسية للمسلمين بينما من الواجب أن ينالوا النصف[١٠٤] . وتحت عنوان «الأرقام تتكلم» تشير الجريدة نفسها إلى أن «الطوائف المسيحية تنال ٨٢٪ من مخصصات مديرية العدلية»[١٠٥] .

د. **ترابط المصالح مع الداخل السوري** : لقد تضررت البورجوازية الإسلامية في المدن بشكل بارز من عملية التجزئة التي حصلت ، واعتبرت أن تجارة الساحل ستبور إذا ضايقها

٩٧. جريدة «العهد الجديد» ، ع ١١٦ ، ١٠ أيلول ١٩٢٥.
٩٨. المرجع نفسه ، ع ١٠٨ ، ٢٣ آب ١٩٢٥.
٩٩. المرجع نفسه ، ع ٥٨ ، ٣١ أيار ١٩٢٥.
١٠٠. جريدة «بيروت» ، ع ٦٠ ، ١٩ تشرين الأول ١٩٣٦.
١٠١. أنور الخطيب ، **مراحل الدستور اللبناني** ، ص ٩ـ ١٠.
١٠٢. جريدة «العهد الجديد» ، ع ١١٨٨ ، ٣٠ تموز ١٩٣١.
١٠٣. **محاضر مجلس النواب** (١٩٣٤ـ ١٩٣٥) ، ص ١٨.
١٠٤. جريدة «بيروت» ، ع ١ ، ٢٧ تموز ١٩٣٦.
١٠٥. المرجع نفسه ، ع ٥٨ ، ١٦ تشرين الأول ١٩٣٦.

الداخل. والحل، في رأيها، أن الوحدة هي أكبر عامل على صيانة اقتصاديات البلاد. في الساحل التجارة وفي الداخل الزراعة التي لا غنى عنها[١٠٦]. ولا غنى للإثنين عن بعضهما البعض[١٠٧]. وأفضل معبر عن موقف البورجوازية الإسلامية كان عمر الداعوق الذي قال[١٠٨]: «بيروت كانت قبل الحرب العالمية مركزاً تجارياً له مكانته وكان يرتاده جميع تجار البلدان الداخلية والأقطار العربية والشرقية كالعراق وفلسطين والعجم والأناضول وسواها، أما الآن فقد تضعضع مركز بيروت التجاري بسبب هذا الانفصال السياسي وما لحق ذلك من عراقيل قضت على العلاقات التجارية مع تلك الأقطار، وليس في إمكان بيروت أن تستعيد مركزها التجاري إلا إذا ارتبطت بالأقطار المذكورة بإنشاء خطوط سكك حديد». ورد سبب جذور الأزمات الإقتصادية التي عرفتها مدن الساحل إلى التغييرات الجغرافية التي حصلت في المنطقة[١٠٩]. وفي مجال تعداد أسباب الرغبة في الوحدة مع سوريا يورد بعض أهالي صيدا، عام ١٩٣٦، جملة أمور منها: إن الوحدة تؤدي إلى السيطرة على التشريع الجمركي في كل ناحية، وبالتالي حماية المنتوج الوطني، وانتظار التحسن في الأحوال التجارية، وانتظار أن تصبح صيدا أسكلة الشام. وهم يعلقون على هذا آمالاً جساماً ليعوضوا ما خسروه في كساد الزراعة[١١٠].

بالإضافة إلى هذه الجوانب الإقتصادية التي استعرضنا ثمة جوانب أخرى لم نتطرق إليها وساهمت في وقوف تيار إسلامي واسع مع الوحدة السورية وضد لبنان الكبير. وحسبنا أن نشير إلى سيطرة سلطات الإنتداب على الأوقاف[١١١]، وتغلغل الرساميل والسلع الغربية إلى المنطقة، الأمر الذي أدى إلى تراجع المهن المحلية بالإضافة إلى قضايا النقد وغيرها[١١٢].

---

١٠٦. جريدة «البلاغ»، ع ١٩٦٥، ٤ تموز ١٩٢١.
١٠٧. جريدة «الحقيقة»، ع ١١٠٠، ٢٢ أيار ١٩١٩.
١٠٨. جريدة «العهد الجديد»، ع ١٠٣٠، ١٧ تشرين الأول ١٩٣٠.
١٠٩. جريدة «البلاغ»، ع ٢١٠٨، ٢٨ كانون الثاني ١٩٢٢.
١١٠. جريدة «بيروت»، ع ٦، ١ آب ١٩٣٦.
١١١. جريدة «العهد الجديد»، ع ٢٨٠، ٢٣ تموز ١٩٢٧؛ وع ٣٧٣، ١٠ كانون الأول ١٩٢٧.
١١٢. يمكن مراجعة جاك كولان حول الحركة النقابية في لبنان؛ وبدر الدين السباعي، **أضواء على الرساميل الأجنبية في سورية**؛ وسعيد حمادة، **النظام الاقتصادي في سوريا ولبنان**.

ثالثاً : السبب السياسي

ثمة عوامل سياسية متشعبة حدت بأغلبية التيار الإسلامي أن يقف بحذر إزاء الكيان اللبناني الجديد وسنتوقف عند اثنين من أهمها :

أ. **المطالبة بالاستقلال ورفض التجزئة** : منذ مطلع الإنتداب ونسبة غير قليلة من الشخصيات والقوى الإسلامية تشدّد على مطلب الإستقلال. وفي هذا الصدد يقول رياض الصلح : أكون أول المتقدمين وأول المدافعين عن لبنان وكيانه على شرط واحد وهو الاستقلال التام الناجز. وها يدي ويدكم في سبيل الاستقلال التام. أما انفصال واستعباد فلا وألف لا ، لا أقبله أبداً[١١٣] . وفي خطاب ألقاه في صيدا ، يقول : «إنني أعمل معكم كجندي في سبيل لبنان على أن تجمعوا أمركم على طلب الإستقلال الحقيقي»[١١٤] . وتعكس جريدة «العهد الجديد» الموقف من التجزئة : إن إنشاء لبنان الكبير كان بالنسبة للمسلمين بوادر سياسة التجزئة... وقد ساء المسلمين أن تهمل رغباتهم وأن يقرّر مصيرهم بصورة «كيفية» دون استشارتهم... إذن إنشاء لبنان الكبير مبني على هضم حق أساسي لا تصفو القلوب ولا ترتاح إلا إذا أعيد هذا الحق لأصحابه[١١٥] . ولو فرضنا وحافظنا على الوضع الحاضر بحدوده التي ينص عليها الدستور اللبناني نصف سكان الجمهورية اللبنانية غير راضٍ عن وطنه ، يخنق في صدره حب هذا الوطن ويعلّم أولاده كراهيته ، ويقول لهم إنهم غرباء فيه وان وطنهم الحقيقي يمتد إلى أبعد من لبنان ويجتاز هذه الحدود إلى ما وراءها حيث يرفرف علم جميل له قدسيته وجماله وتاريخه وجهاده[١١٦] (العلم السوري).

ب. **التخوف من الخطرين الأوروبي والصهيوني** : كان هناك تصوّر في الأوساط الإسلامية أن استقلال لبنان عن سوريا والاستغناء عن مواردها يوقعه فريسة في يد الأوروبي[١١٧] . ويصرح الأحدب الذي سيصبح رئيساً لوزراء لبنان عام ١٩٣٧ : نعتقد أنه

---

١١٣. جريدة «العهد الجديد»، ع ٤٤٢ ، ٢٨ آذار ١٩٢٨.
١١٤. المرجع نفسه، ع ٤٨٥ ، ٢٩ أيار ١٩٢٨.
١١٥. المرجع نفسه، ع ٣٨٣ ، ٢٤ كانون الأول ١٩٢٧.
١١٦. جريدة «بيروت»، ع ٢ ، ٢٨ تموز ١٩٣٦.
١١٧. جريدة «الحقيقة»، ع ١١١٤ ، ١٤ حزيران ١٩١٩.

ليس بإمكان الجماعات المختلفة في لبنان التنازل عن عروبتها لتدين بها البقعة الصغيرة من الأرض التي لا تكاد تكفي لغذاء أهلها ، والتي ليس بمقدورها أن تكون إلا دولة إقليمية صغيرة معرّضة في كل حين لنزاعات السياسة الأوروبية ، من هنا تحقيق الوحدة يشعر بالعزة القومية . وبالاتحاد يصبح لهذه المنطقة شأن في مواجهة السيطرة الأوروبية[١١٩] . ومن جهة أخرى فالإتحاد ضروري لمواجهة الخطر الصهيوني الذي يهدّد المسلمين والمسيحيين[١٢٠] على السواء.

• • •

١١٨. جريدة «العهد الجديد» ، ع ٩٢٥ ، ٢١ أيار ١٩٣٠.
١١٩. جريدة «بيروت» ، ع ٦ ، ١ آب ١٩٣٦.
١٢٠. جريدة «الحقيقة» ، ع ١١٣٨ ، ٢٣ تموز ١٩١٩.

بعد مشروع المعاهدة الفرنسية... اللبنانية ، عام ١٩٣٦ ، حدث تطور هام في موقف النخب الإسلامية من الكيان اللبناني وعلاقته بسورية ، علماً أن بذور هذا الموقف كانت موجودة قبل هذا التاريخ. فبالإضافة إلى محمد الجسر الذي دافع عن الخصوصية اللبنانية وعبد الحليم الحجار والحزب الجنبلاطي وغيرهم الكثير ، وقد تعاونوا جميعاً مع الانتداب ، نلاحظ بروز أصوات إسلامية من مثل عادل[١٢١] وكاظم الصلح وغيرهما تدعو للتفاهم مع المسيحيين على قاعدة استقلال لبنان عن الفرنسيين والتخلي عن مطلب الوحدة مع سوريا. وفي نظر الدكتور ألبرت حوراني[١٢٢] أنه كان هناك سببان لاندماج المسلمين في الكيان السياسي اللبناني :

الأول : تأثير مدينة بيروت النامي. وهي التي جذبت إليها ، بعد أن أصبحت عاصمة لبنان ، عدداً كبيراً من عائلات الجبل ، الأمر الذي أوجد روابط صداقة وعلائق مصلحية بين البورجوازية الجبلية والبورجوازية المدينية.

الثاني : إدراك القوميين العروبيين أن السبيل الوحيد للتخلّص من الانتداب الفرنسي كان القبول ببعض التنازلات لقاء تنازلات مسيحية مقابلة. ومهما يكن من أمر فإن المرتكزات الأساسية التي تمحورت حولها بشكل عام إيديولوجيا النخب الإسلامية ، في الفترة التي تهمنا ، يمكن اختصارها بالنقاط التالية :

أ) القضية العربية تتطلب رضى المسيحيين وعدم المعاداة بين الطوائف

لقد تفهم بعض النخب الإسلامية أن ثمة جدلية بين الموقف السياسي المصطبغ بالصبغة الإسلامية وبين استمرار الخوف عند الفئات المسيحية الأمر الذي كان يعزز استجارة هذه الفئات بالقوى الخارجية وبخاصة فرنسا.

وكان رياض الصلح الأكثر وضوحاً وفهماً بالنسبة لهذه القضية. فقد صرح عام ١٩٣١ أن المسلمين لا يقصدون عداء لطائفة من شقيقاتهم في لبنان أو لحكومة لبنان نفسها ولا لغاية سياسية ، إنما هم رواد مصلحة عامة لا أكثر ولا أقل"[١٢٣]. وقبل ذلك في عام ١٩٢٨ نقل عنه

١٢١ . [illegible] الصلح ، حزب الاستقلال الجمهوري ، دار الطليعة ، ١٩٧٠
١٢٢ . [illegible] دوفي ١٩٤٣ . [illegible] ١٩٧٠ ، ص ٦٨ (نقلاً عن بايندر ، Politics in Lebanon نيويورك ، ١٩٦٦ ، ص ٢٧).
١٢٣ . جريدة «العهد الجديد» ، ع ١٢٧٤ ، ٢٢ كانون الثاني ١٩٣١.

قوله : «إنني آثر أن أعيش في كوخ داخل وطن لبناني مستقل من أن أعيش مستعمراً في أمبراطورية عربية»[١٢٤] . وبعد ذلك بـ١٦ سنة صرّح في دمشق قائلاً : إنني أفضل اتفاق المسيحيين والمسلمين على أمبراطوريات عظيمة ليست مستقلة[١٢٥] . وفي جو التقارب الذي حصل بين البطريرك الماروني وقيادات الكتلة الوطنية في دمشق في منتصف الثلاثينات برز رأي صلحي آخر (كاظم الصلح) يدعو لتخطّي الانقسام التقليدي (لبناني تعني مسيحي ، والوحدة وسوريا تعني مسلم) بحيث يتم اللقاء المسيحي - الإسلامي في إطار المواطنية اللبنانية ، ومن ضمن الإنتماء العربي الشامل الذي يعلو على الرواسب الطائفية[١٢٦] . كما أن جريدة بيروت لصاحبها محي الدين النصولي كانت منبراً للمواقف الهادفة للتقارب بين الطوائف . فهذا مقال لمحمّد علي بيهم يعتبر أن «المسلم والمسيحي كانا تحت رحمة الظروف والظلم للإثنين ولم تأخذ الدولة بناصر المسلم إلا لمجابهة مساعدة الدول الأوروبية للمسيحيين . المسلمون أصبحوا يعون خطر بقاء الأقليات في يد أوروبا وهم مستعدون للتساهل[١٢٧] . ويشير مقال آخر على أنه من الواجب أن لا ننسى نصف سكان البلاد (أي المسيحيين) ونحاول أن نندغم معهم لنوصلهم إلى الوحدة لئلا نصل في المستقبل إلى أمور يصعب إصلاحها[١٢٨] .

ب) الالتقاء يجب أن يتم على مبدأ الاستقلال

لقد كان تحقيق الاستقلال من المطالب الجوهرية التي استقطبت أغلبية النخب الإسلامية منذ بدء الانتداب . وكان ثمة ترابط ، في منطق هذه النخب ، بين الاستقلال عن فرنسا من جهة ، والإندماج بالداخل السوري من جهة أخرى . لكن معادلة الميثاق الوطني ربطت الاستقلال عن فرنسا بعدم الاندماج مع سوريا مع تعاون وثيق مع البلدان العربية . وهذا التعاون لا يضير الاستقلال ولا ينتقص منه[١٢٩] . إنه استقلال ناجز تام للبنان بحدوده الحاضرة[١٣٠] ، إنه استقلال يتحفظ إزاء كل الدعوات الإندماجية بمشاريع الوحدات العربية أو السورية ، كما فعل رياض الصلح في ٢٠ ك٢ ١٩٥١ عندما رفض مشروع رئيس الوزراء السوري للوحدة

١٢٤. المرجع نفسه ، ٢٦ كانون الثاني ١٩٢٨ ؛ ونجلا عطية ، **موقف اللبنانيين السنّة من الدولة اللبنانية** ، أطروحة ، لندن ، ١٩٧٣ ، غير منشورة ، ص ١٣٠ .

١٢٥. جريدة «بيروت» ، ع ٢١٠٦ ، ١٥ آب ١٩٤٤ .

١٢٦. باسم الجسر ، المرجع السابق ، ص ٤٧٥ .

١٢٧. جريدة «بيروت» ، ع ٣٩ ، ٩ أيلول ١٩٣٦ .

١٢٨. المرجع نفسه ، ع ٣٣ ، ٢ أيلول ١٩٣٦ .

١٢٩. من خطاب رياض الصلح بعد عودته من الاسكندرية حيث تم تصديق ميثاق الجامعة العربية ، **محاضر مجلس النواب** (١٩٤٣ - ١٩٤٤) .

١٣٠. من خطاب عبد الحميد كرامي ، **محاضر مجلس النواب** (١٩٤٤ - ١٩٤٥) ، ص ٢٧٠ .

العربية[١٣١] . إنه استقلال ارتضيناه إلى الأبد[١٣٢] . وعندما اختل مبدأ التمسك بالاستقلال في الخمسينات ، إن من جهة القيادة الشمعونية ، باتجاه الأحلاف الغربية ، أو من جهة القيادات الإسلامية ، باتجاه الموجة الناصرية ، اختل الوضع وكان من العوامل التي أدت إلى فتنة ١٩٥٨ .

ج) التشديد على شعاري العدل والمساواة

هناك تقليد قديم ، في الفكر السياسي الإسلامي ، أساسه التشديد على مبدأي العدل والمساواة. ولا مجال للتطرق لذلك من الفكر المعتزلي ، في مطلع التاريخ الإسلامي ، حتى التيارات الإصلاحية في العصور الحديثة .

ففتي الجمهورية اللبنانية محمد توفيق خالد يقول أمام بيو إن المسلمين هم دعاة إلفة وإخاء صحيح ، وهم طلاب عدل ومساواة لأن العدل أساس الملك[١٣٣] . وأمام الجنرال ديغول في بحمدون عام ١٩٤٢ : نحن المسلمين لا ننشد إلا التمتع باستقلالنا وكرامتنا الوطنية ، وكمواطنين لا نريد إلا العدل والمساواة التامة المعنوية والمادية بيننا وبين أبناء الوطن[١٣٤] . وأمام دانز يشير إلى أن أماني المسلمين تستند إلى التاريخ والكرامة والعدل وإلى شغفهم بمبادئ الحرية والمساواة[١٣٥] . وأمام كاترو يؤكد المفتي أن المسلمين ينشدون في بلادهم وبين بني قومهم المساواة والعدل بصفتهم مواطنين مخلصين[١٣٦] . ووسيلة الاستقرار الاجتماعي والسياسي— يضيف المفتي— هي إقامة المساواة والعدل بين جميع الطوائف[١٣٧] . وعندما كلف خير الدين الأحدب برئاسة الوزارة عام ١٩٣٧ اعتبر أن البلاد دخلت عصراً جديداً هو عصر العدل والمساواة في الحقوق والواجبات[١٣٨] .

وفي المؤتمر الذي عقدته الطوائف المحمدية في ٢١ حزيران ١٩٤٣ طالب المفتي خالد بالعدل والمساواة لمصلحة الجميع ، وكذلك رياض الصلح اعتبر بأن العدل الذي يطالب به إنما هو في مصلحة الطوائف اللبنانية كلها ، لا في مصلحة طائفة واحدة .

---

١٣١. الشيخ بشارة الخوري ، **حقائق لبنانية** ، ج ٣ ، منشورات أوراق لبنانية ، ١٩٦١ ، ص ٣٥٠ .
١٣٢. جريدة «الإيمان» ، ع ١٠١ ، ٦ كانون الثاني ١٩٤٦ .
١٣٣. جريدة «بيروت» ، ع ٦٩٣ ، ١١ شباط ١٩٣٩ .
١٣٤. محمد توفيق خالد ، **بعض الخطب والمذكرات** ، المرجع السابق ، ص ١٧ .
١٣٥. المرجع نفسه ، ص ٩ .
١٣٦. المرجع نفسه ، ص ١٠ .
١٣٧. المرجع نفسه ، ص ٢١ .
١٣٨. جريدة «بيروت» ، ع ١١١ ، ٦ شباط ١٩٣٧ .

مؤسسة خليفة للطباعة
بولفار الدورة - البوشرية
تلفون: ٨٩٤٨٣٧١